الجزء الأول المجلد الحادي والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



صفر ١٤٠٠ هـ
كانون الثاني ١٩٨٠ م

مجلة المجمع العلمي العراقي





صفـــــر ١٤٠٠ هـ
كانون الثاني ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة المجمع ودوره في التوجيه الفكري

كلمة رئيس المجمع في الجلسة الافتتاحية للمجمع العلمي العراقي

السادة الأجلاء والزملاء الأفاضل

باسم الله العلي القدير الذي علم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم ، والذي يرفع الذين أوتوا العلم درجات ، وباسم العربية التي نزل بها القرآن الكريم نفتتح الجلسة الأولى لمجلس المجمع العلمي العراقي بتكوينه الجديد وهو يضم نخبة من خيرة رجال الأمة ، وأوسعهم علما ، وأغناهم تجربة ، وأكثرهم خبرة ، وقد اختيروا بعد تأمل طويل وتمحيص دقيق ، ليعملوا بعلمهم ومواهبهم من أجل الحفاظ على سلامة اللغة ، ولتقدم الثقافة والفكر وانمائهما على الأسس القويمة، وبالاتجاهات السليمة التي تضمن تحقيق ما نصبو اليه من تقدم وازدهار .

واني أفخر شخصيا بمكاني الذي وضعت فيه بينكم ، وما أنا بأفضل منكم ، وأرى ان هذا تكليف بقدر ما هو تشريف ، وهو يتطلب مني اعمالا أقدر جسامتها ويلقى علي أعباءً أحس بثقلها ، وأنا أقطع على نفسي عهداً بأن أبذل كل ما في وسعي للعمل على تحقيق ما نصبو اليه ، وعليَّ تيسير كل ما أستطيع لكل منكم في عمله من أجل المجمع وتحقيق أهداف الأمة ، فأنتم المجمع ، وأعماله ومنجزاته هي أعمالكم ومنجزاتكم ، وعليكم تتوقف مكانته وأعماله التي على ضوئها تحكم الأمة والأجيال المقبلة.

إن الثقافة والفكر، هما ميدان عملنا ،وهو لا ينحصر في العراق وحده ،بل يمتد الى الأمة العربية جمعاء ،انه الميدان الذي تبرز فيه وحدة العرب، فعلينا أن نضع نصب أعيننا ان رسالتنا لا تنحصر في العراق وحده، بل تمتد الى أبناء الأمة العربية كافة حيثما كانوا وأينما وجدوا ، وإنها لن تظفر بالتقدير والخلود ما لم تعن بالكيف دون الكم ، وبالتوعية دون المقدار، وما لم يتوفر التفهم الصحيح للحاضر ، أو تقدم الحلول الجديرة بتقدير الناس لها واستجابتهم لها . واني أرجو أن يكون انتاج الزملاء الأفاضل باسم المجمع متسقا مع ما للمجمع من مكانة رفيعة واحترام عظيم .

لقد أظهرت الأمة العربية ، منذ أزمنة سحيقة ، وفي قرون مديدة ، وخلال تطورات منوعة ، قدرة على الاستمرار والبقاء ، والتقدم والازدهار ، وكفاية في الابداع والعطاء . واذا كانت بعض الملمات والأخطار التي واجهتها في بعض العهود قد أثرت في تحديد طاقاتها ، وتجميد بعض نشاطها ، فانها لم تفلح في ازالتها من الوجود ، أو ضعضعة ثقتها بنفسها . واذا كانت روحها العظيمة وصدرها الرحب قد أتاح المجال لتعدد جوانب الثقافة،وتنوع الأفكار ، وظهور بعض الأصوات الناشزة ، فان الأمة لم تقطع قط ذلك الخيط الوحدوي الذي يربط أبناءها بعضهم ببعض ، ولا فقدت ايمانها بقدرتها على البقاء .

والأمة العربية اليوم تعيش عهد يقظة واسعة ، وتمر بمرحلة تتسم بالحيوية والنشاط والطموح ، وتتعرض لمؤثرات عنيفة،وتنساب فيها تيارات متلاطمة ، وتشهد توسعاً كبيراً في الانتاج الفكري ، فيه الغث والسمين ، والفاسد والطيب ، والخبيث والصالح ، معظمه فردي أو اعتباطي ، والقليل منه موجه بخطة مرسومة . واذا كان في اختلاف الرأي رحمة ، وفي تعدد التيارات مجال لنمو الفرد وفرصة للمقارنة والنقد وتقليب الأمور على أوجهها ، فاننا يجب أن نذكر ان التسيب في الانتاج الفكري يؤدي الى التشتت والتفكك والتناحر ،وقد يؤدي الى فقدان الشخصية الثقافية والى إضاعة الجهود، فضلا عن أنه كثيراً ما يفسح في المجال لنشر آراء وأفكار ليست مغلوطة فحسب ، بل تكون أيضا مصدر خطر على كيان الأمة ووحدتها وطموحها .

اننا بسبب هذا التشتت لا نعاني من الجهل بكثير مما ينشر فحسب، بل نعاني من التسيب فيه ، ومن انتشار كتب لا لسبب نضج أفكارها بل لأسباب أخرى ، من أبرزها عدم وجود مرجع يطمأن الى حكمه يشير الى القيّم والمفيد ، ويميزه عن التافه والضار .

وأراني مضطراً أن أشير هنا الى وضع جديد يواجهنا ، وخطر مهدد يطل علينا ، وهو الناجم من الموقف الاستسلامي الذي يقفه حاكم مصر ، ويريد أن يجر معه مصر اليه ، وهو ليس الصلح المطلق مع اسرائيل فحسب بل الاستسلام لها أيضاً، وترحيبه بالتعاون معها ، وتوفيره لها الفرص في التوجيه في مختلف الميادين ، ومنها الثقافة والفكر .

لقد كانت مصر تقوم بالقسط الأكبر من الانتاج الفكري ، وكان ما ينشر فيها يقرأ ويقوّم تبعاً لمستواه، مع الاطمئنان الىالدوافع التي وراءه،أما اليوم ونحن نعلم ما لاسرائيل من خطط متقنة وأهداف تدميرية ، فاننا نتوقع تسللها الى مراكز التوجيه الثقافي والفكري في مصر ، مما يجعلنا نشكك حتى فيما قد يكون قيّماً ومهمّاً ، وأنتم تدركون ما يولده التشكيك من أخطار وقلق قد لا تتم ازالته الا بسدّ الباب في وجهه واعتباره فراغـــا .

أما لبنان فقد طالما قدّم إلينا كتباً ودراسات متأثرة بالتيارات الغربية ، وفيها كثيرمن الطرافة على ما فيها من اضطراب وتشويش وتشويه ،غير أن ما منيت به من أحداث يحملنا على الافتراض بأنها لن يكون لها في السنوات المقبلة ما كان لها من نشاط ودور .

وفي أرجاء الوطن العربي مراكز متعددة تعمل اليوم على ملء الفراغ الثقافي والفكري ، وبعضها يبذل بسخاء على النشر . ولا بد أن تكتسب هذه المراكز ، اذا سارت الأمور على مجراها الحالي ، مكانة أساسية في تغذية الفكر والثقافة . وليس مما يرضى المخططين الحريصين على تقدم الأمة وازدهارها أن يكون دور العراق سلبياً أو ضئيلا ، وأن يرسو في مركز المتسلم ، ويبقى توجيهه الثقافي خارجاً عن إرادته ، فيقتصر غذاؤه الثقافي على ما يقدمه اليه غيره ، في الوقت الذي له امكانيات مادية غنية، وطاقات

بشرية كبيرة ، وتراث فكري غني ضخم جعله في الماضي رائد الأمة وقائدها بمن أخراج من علماء ومفكرين ، وبما أنتجه من مؤلفات وكتب ، وما قدمه من أفكار وآراء اتسمت بالدقة والعمق ، وبالنظرة الانسانية والسمة الكونية ، مع الاحتفاظ بالخصائص الأساسية للأمـــة .

وفي العراق اليوم مؤسسات رسمية عدّة تعمل بجد في نشر الثقافة وتنمية الفكر ، من أبرزها وزارة التربية ، والجامعة ، ووزارة الثقافة والفنون . وكل من هذه المؤسسات تبذل جهودا كبيرة ، وقد حققت منجزات جديرة بالتقدير والثناء ، وكل هذه المؤسسات تهدف الى تثبيت وحدة الأمة وتقدمها الفكري . غير أن لكل من هذه المؤسسات ميدانها الخاص ، فوزارة التربية تركز على تعليم الناشئة المعلومات الأساسية ، وتصب الجامعات اهتمامها على تدريب الشباب وتدريس موضوعات الفكر الأدبية والاجتماعية والعلمية والتقنية ، أما وزارة الثقافة والفنون فتعنى بنشر الثقافة بين الجماهير .

أما المجمع فان له مكانه الخاص الذي ينفرد به ، فيكمل ولا يكرر أعمال تلك المؤسسات ، وعليه رسم الصورة العامة الشاملة ، وتحديد النسب بين الأجزاء والجوانب التي تكون حصيلتها تلك الصورة العامة ، ثم تحديد الوسائل والطرق التي يؤدي السير عليها الى تحقيق هذه الأهداف ، وأخيراً المساهمة في العمل على تحقيقها . انه يقوم بدور المخطط والمهندس للبناء الثقافي الشامل الذي يضمن للأمة مستقبلا غنيا زاهرا . تلك هي رسالة المجمع فيما أرى ، وهذا هو دوره ومكانه الطبيعي بين المؤسسات المتعددة . وهي رسالة خطيرة ، تتطلب من كل منكم ، أيُّها الزملاء ، أن يفكر في وضع اختصاصه العميق ضمن الهيكل العام ، وبما يساعد على توسيع المعرفة ، وإثارة التفكير ، وتنمية شخصية ثقافية غنية منسجمة .

ان في الأمة العربية اليوم كثيراً من الاختصاصيين المتبحرين في اختصاصهم ، ولكن المعنيين بالنظرة الشاملة قليلون ، وإن مما يستحق الفخر أن تكون رسالة العراق الثقافية الاهتمام ببحث هذه الصورة الشاملة .

إن لكل منكم أيها الزملاء الأفاضل من سعة الاطلاع وعمق التفكير وشمول النظرة ،

ما يكون أساساً لرسم هذه الصورة المثالية وتحديد طرق تحقيقها . وإن اجتماعنا معاً سيساعد كلاً منّا على زيادة الاهتمام بالأمر ، وسيوضح بعض ما غمض منه ، ويقدّم صورة أوضح تفيد منها الأمة حيثما كان أبناؤها وأينما عاشوا .

ان الصورة الشاملة المثالية تتطلب معرفة عناصرها وجزئياتها ، ومكونات الأمة ومقوماتها ، ولكنها لا تقتصر على معرفة الماضي أو تفهم الحاضر فحسب،وانما تذهب الى أبعد من ذلك ، انها تعمل على توجيه تراثه ومقوماته نحو بناء مستقبل مزدهر ، وهذا يتطلب توضيح الأهداف السليمة والغايات البناءة،وتفهم ما يؤدى الى تماسك الأمة ونموها من عوامل أخلاقية وروحية وجمالية إضافةً الى المعرفة .

ان البحث عن كل جانب من الثقافة ، أو عن تحديد مثلنا الثقافية ، وهو الذي يكون جوهر رسالة المجمع وهو موضوع واسع أرجو أن تتيح الجلسات التالية الفرصة لكل منكم بالادلاء بآرائه فيها ، ولكن أرى لزاماً عليّ أن اخصّ هنا اللغة وأهميتها ، فمن المعلوم أن اللغة وسيلة التعبير ، وأداة التفاهم ، ومستودع الأفكار ، ومظهر الثقافة، وانها أمتن أسس الوحدة وأقوى مقوماتها . وان العربية بما لها من غنى في المفردات ومرونة في الاشتقاق ، وبما عرف به أهلها من رحابة صدر في مواجهة التطورات الحضارية ، مع التمسك بلغتهم ، قد مكن لها أن تكون لغة العلم والثقافة طوال العهود التاريخية ، بل انها كانت اللغة العلمية العالمية الوحيدة خلال عصور طويلة ، وقد كان أهلها أوفياء لها ، فظهر فيهم كثير من المخلصين المتبحرين الذين عملوا على الحفاظ عليها وتمكينها من مواجهة متطلبات التطورات الحضارية .

واللغة العربية اليوم تواجه تطورات ، وتتعرض الى تحديات سيؤدى طغيانها وتغلبها الى تشويه أقوى دعائم الثقافة وأبرز مظاهرها ، وإن العمل على الحفاظ على سلامة اللغة العربية كان وسيبقى الواجب الأول للمجمع الذي يتحمل في ذلك المسؤولية الكبرى ، وهذا يتطلب منه تحديد مفاهيم الكلمات ، وايجاد مقابل لبعض المستجدّ من الماديات والأفكار ، واذا كانت مشكلة تحديد الكلمات لمستجدات الابداعات والتطورات هي الأبرز والأظهر ، فاني أود الاشارة الى جانب قد لا يقل أهمية عمّا سبقه،ألا وهو تحديد المعاني وتثبيتها ،لننقذ الأمة من أحد أسباب البلبلة والتناقض والتفكك .

ان اللغة العربية خالدة،وستبقى كذلك . وعلينا الحفاظ على سلامتها مع مراعاة التجدد ، والابقاء عليها مع ملاحقة التقدم ، والعمل على اغنائها وتوسيعها مع الاحتفاظ بسماتها الأساسية . إنها يجب أن تبقى لغة الأمة وجماهيرها ، وليس لغة فئة محدودة معزولة ، وهذا يتطلب التوفيق بين فهم التراث والتطورات الحديثة الشاملة . انه يتطلب العناية بالتراث اللغوي والحرص عليه والافادة منه للاستجابة لحاجات العصر بما يحفظ العربية ، ويبقيها المظهر الأساس لوحدة الأمة .

ان عناية المجمع العلمي العراقي باللغة العربية تنبعث من حاجة اساسية في خدمة الثقافة وتنميتها،واذا كانت الحضارة العربية قد أفسحت للاكراد في الماضي في مجال التقدم ووفرت لهم الفرص ، حتى لا أكون مبالغا في القول ان أروع مساهمات الأكراد تمت بمشاركتهم في الحياة العربية وحضارتها ، وبأفذاذ من أبنائهم نفخر بهم جميعا ، وبهذه الروح الرحبة الواسعة التي طالما اتسمت بها الأمة العربية ، وسعت لأخواننا الأكراد مجال التقدم والازدهار ، وهي تتخذ اليوم تعبيراً لها في تأكيد قانون المجمع العلمي العراقي الاهتمامَ بدراسة اللغة الكردية وأصولها ومكوناتها والعمل على تطويرها ، واذا كان هذا العمل من واجب الأكراد ، فانه ليظفر بكل عون ممكن، مع الاعتزاز بمساهمة أخواننا الأكراد في تنمية الثقافة والفكر العربي على الأسس التي ترضيهم . انها ثقافة عامة لا تعارض تعدد اللغات .

والسريانية ، وهي غصن من الدوحة الكبرى ، وفرع من الأرومة العظمى بذل المتكلمون بها في الماضي جهوداً كبيرة موفقة في اظهار قدرة العربية على استيعاب ثمار العلوم الصرفة النظرية البعيدة عن التطبيقات العملية . ومنجزاتهم في الماضي لا تظهر حماسهم للعلم وحبهم للبحث عن الحقيقة فحسب، بل تبين التعابير الكثيرة التي أوجدوها مما يمكن الافادة منه اليوم في موقفنا من العلم الحديث وتعريبه ، وأنا واثق أن زملائي أعضاء الهيئة السريانية سيتابعون نشاطهم الحي في دراسة دور السريانية والمتكلمين بها في تطور اللغة والثقافة العربية .

هذه خواطر وآراء شخصية ، وليست أحكاماً وقواعد رسمية ، أعرضها عليكم ، وأنا واثق أن لكل منكم أفكاراً وآراء في الموضوع . ولأهمية مثل هذه الأفكار ،

في توجيه عمل المجمع ، أرى أن تخصص لبحثها جلسة أوجلسات يعرض فيها كل منكم أفكاره عن رسالة المجمع ومهمته ، تحريرية أو شفهية ، ليكون من كل ذلك صورة أوضح ، وأسس أوثق لعمل المجمع وتوجيهاته .

أيها الزملاء : أنتم قوام المجمع وكيانه ووجوده ، وعلى مقدار منجزاتكم ونوعها سيتوقف الحكم عليه . إن الواجب عظيم ، والعبء ثقيل ، ولكم أن تستعينوا بمن تختارونه من ذوى القدرة والكفاية ممن ترونه يعاون في تحقيق أهداف المجمع وتنفيذ خططه وأعماله ، ولكن تبقى عليكم المسؤولية الكبرى . وإن الأمة في مرحلتها الثقافية الدقيقة اليوم تنظر اليكم في التوجيه والتنمية ، وأنا واثق أنكم لن تخيبوا ظنها ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

ومن الله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي



البحوث والمقالات

الرواية والأسانيد

وأثرهما في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام

الدكتور صالح أحمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

استاذ بكلية الاداب / جامعة بغداد

درج الباحثون في دراسة الحركات الفكرية على الاعتماد على الكتب واتخاذها المعيار الرئيس والاساس لمعرفة تطور المعرفة ومدى الابداع فيها . ويرجع هذا الاعتماد الى ما للكتب من اهمية كبيرة في دراسة الفكر حيث انها تسجل المعلومات وتدونها فتقدم للقارئ في اي زمان او مكان مادة معتمدة اذا اجيد فهمها . غير ان الاقتصار على الكتب وحدها في دراسة التطور الفكري يوقع الباحثين في اخطاء كبيرة نظراً لان ازدهار الحركة الفكرية قد لا يتطابق مع كمية الكتب المؤلفة ، وان المعلومات واساليب التفكير ومدى المشاركة العامة وانتشارها قد يكون اوسع واعمق بكثير مما تعبر عنه الكتب ؛ وهذا يصح على كافة البلاد والعصور التي سبقت انتشار الورق بصورة خاصة ، حيث وفر انتشاره مادة جيدة ورخيصة للكتابة لحفظ المعلومات بالكتب بالشكل المألوف لدينا ، مما يمكن نقل هذه الكتب او حفظها ؛ اما قبل انتشار الورق الذي ظهر في العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، فكانت مواد الكتابة على الحجارة او العظام او سعف النخل او القماش ، وكلها لا تيسر كتباً عامة بالمعنى المفهوم ؛ وقد يشذ عن هذا البردى ذى الصفحات الكبيرة الذي يمكن به تأليف الكتب ، رغم انه اغلى كلفة واقل دواماً من الورق ؛ والواقع ان معرفتنا بالانتاج الفكري المدون بالاغريقية ، ترجع بالدرجة الاولى الى انه كان مدوناً على اوراق البردى ، وان معظمه كتب لمكتبات الملوك والحكام ممن لهم امكانيات مالية وافرة تيسر للعلماء الحصول عليه ، ومكتبات تيسر حفظه .

غير انه لا يصح باى حال الاقتصار على المدون في الكتب للحكم على مدى تطور الحركة الفكرية التي قد تزدهر وتنشط بالمحاضرات والمناقشات والسماع، فتصل مستوىً عالياً قد لا نفلح في رسم صورة دقيقة له، ولكننا نستطيع الحكم على مداه بما يتوفر عليه من دلائل. ولعل اوضح مظهر على هذا هو في دراسة الحركة الفكرية عند العرب قبل الاسلام حيث تدل لغتهم الغنية، وما نظمه شعراؤهم من قصائد واسعة في مفرداتها، دقيقة في تعابيرها، محكمة في اساليبها، غنية بصورها واخيلتها وافكارها منتشرة في شعبيتها، مما تقدم دليلاً لا ينكر على مدى النشاط الفكري، بالرغم من اننا لا نستطيع رسم معالمه بدقة، لقلة توفر المكتوب، وربما لقلة انتشار الكتابة ايضاً.

ومجيء الاسلام حدث فاصل في تاريخ العرب وتطورهم الفكري؛ فقد اكد على اهمية المعرفة والعلم، وحث على الاستزادة منها، ودعا الانسان الى استعمال البصر والنظر والعقل والفكر لدراسة احوال البشر في الماضي والحاضر والمستقبل وللتمعن في ظواهر العالم والتفكير فيها، وقدم نظرة كونية ذات سمات معينة، وبذلك خلق دوافع ومحفزات قوية، وقدم صوراً جديدة، ووضع اطاراً عاماً لافاق الفكر، واصبحت معارف العرب وخبراتهم السابقة مجرد مادة اولية في بناء الهيكل الفكري الاسلامي الجديد.

والمصدر الاول للمعرفة الدينية في الاسلام هو القرآن الكريم، وهو الكتاب المنزل باللفظ والمعنى، ونصه ثابت بالتدوين والحفظ، ومصون من اي تلاعب او تزوير، وكان الرسول (ص) يقرئ المسلمين ايات القرآن الكريم بعد نزولها، ويحثهم على حفظها وكتابتها، وكان له كتاب للوحي.

وقد حث الرسول (ص) على كتابة ايات القرآن الكريم، و يروى ابو سعيد الخدري ان الرسول (ص) قال « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن » (المصاحف للسجستاني ٤ ؛ تقييد العلم للخطيب ٢٩ — ٣١ ؛ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٦٣/١ ؛ مسند ابن حنبل ٣٩/٣ ؛ سنن الدارمي ٣٩/١) ؛ ويبدو ان القرآن الكريم كان عند وفاة الرسول (ص) مكتوباً في قطع متفرقة، وعدد نسخه محدوده، وقد جمعها الخليفة الاول ابو بكر الصديق، ثم ثبت المصحف في خلافة عثمان، وكتبت

ست نسخ من مصحفه وزعت على الامصار فكانت المرجع الاساس لحفظ النص واستنساخه ، وهو بالصورة التي يقرؤها المسلمون الى ما شاء الله .

وقد شجع الخلفاء الاولون الناس على قراءة القرآن وتدارسه ، واهتم الخليفة عمر بن الخطاب بالقراء ، وولاهم ابو موسى الاشعري عندما كان على امارة البصرة عناية ورعاية ، فازدادت مكانتهم الفكرية وقوتهم السياسية وكان لهم دور في كثير من الاحداث في صدر الاسلام (انظر كتابي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في في البصره ص ٥٦ ــ ٥٨) ويدل هذا على الدور الكبير الذي قام به القراء في دراسة القرآن وفى نشاط الحركة الفكرية في هذا الدور المبكر .

غير ان الحركة الفكرية بين القراء كانت قائمة على السماع والحفظ ، ولم تشجعهم الدولة على كتابة ارائهم وتدوينها ، وحرصت على ان تقتصر الكتابة على القرآن الكريم ؛ وقد اورد الخطيب نصوصاً كثيرة عن كراهة عدد غير قليل من الصحابة كتابة غير القرآن ، واستخلص من ذلك « ان كراهة من كره الكتاب من الصدر الاول انما هي لئلا يضاهى بكتاب الله غيره ، أو يشغل القرآن بسواه ، لقلة الفقهاء في ذلك الوقت والمميزين بين الوحي وغيره ، لان اكثر الاعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ، ولاجالسوا العلماء العارفين فلم يؤمن ان يلحقوا مايجدون من الصحف بالقرآن ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن » (تقييد العلم ٥٧) ؛ ويتبين من ذلك ان الصحابة الاولين ارادوا ان يكون القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المدون ، وان كل الدراسات عنه ، وعن غيره ، ينبغي ان تقوم على المشافهة والسماع ، وسبب ذلك في رأي الخطيب صيانة القرآن ، وعدم افساح المجال لاحتمال ان يدخله ما ليس فيه .

غير ان عوامل اخرى دفعت الى عدم تشجيع كتابة الكتب ، في ذلك العهد المبكر من تاريخ الاسلام ، ومن هذه العوامل منع الخطر المحتمل من اهتمام الناس بهذه الكتب وتعلقهم فيها وانصرافهم اليها ، مما قد يؤدي الى ان تكتسب هذه الكتب اهمية كبيرة فتشغل الناس عن القرآن الكريم ودراسته ؛ ومن المعلوم ان القرآن الكريم فيه كثير من التعابير والافكار التي يصعب على العامة فهمها بدقة وسهولة ، كما ان اسلوب تنظيمه خاص يتطلب فهمه دراية خاصة ، هذا فضلاً عن انه كتاب منزل غرضه الاساسي

وضع المبادئ العامة لتوجيه حياة الامة وافكارها . وان هذه الخصائص هي التي قادت الى ظهور علم التفسير والتأويل في وقت مبكر جداً ، نظراً لشدة الحاجة اليه ، كما ادى الى ان تنمو علوم كثيرة اخرى تتصل بالقرآن وضبط كتابته وفهم محتواه .

والكتب التي يؤلفها البشر ، بمافيهم العلماء ، قد تتحاشى الصعوبات التي في قراءة القرآن الكريم ، فتكون اقرب الى فهم الجماهير وميولهم ورغباتهم ، فيزداد انتشارها بين الناس ، وتعظم مكانتها عندهم ، وتأثيرها عليهم ، مما قد يؤدى الى ان تصبح هذه الكتب مصدراً لفهم الاسلام دون القرآن . وقد اشارت المصادر الى مخاوف عدد من الاولين من مثل هذه الاخطار ، فيروي ابو هريرة ان الرسول (ص) قال : ما اضل الامم من قبلكم الا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله (تقييد العلم ٣٣ ـ ٣٤ ، مسند ابن حنبل ١٢/٢ ـ ١٣) . ويروي الزهري عن عروة ان عمر بن الخطاب اراد ان يكتب السنن ثم تردد ثم قال « كنت اردت ان اكتب السنن ، واني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، واني والله لا البس كتاب الله بشيء ابداً » (تقييد العلم ٤٨ ـ ٥٢ وانظر ايضاً : الطبقات الكبير لابن سعد ٣ـ ١ / ٢٠٦ ، ابن عبدالبر : جامع بيان العلم ٦٤/١ ؛ كنز العمال ٢٣٩/٥) .

ويروى عن ابن مسعود انه قال « فانما اهلك اهل الكتابين قبلكم انهم اقبلوا على كتب علمائهم واساقفتهم وتركوا كتاب ربهم ، او قال : تركوا التوراة والانجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من الفرائض والاحكام » (تقييد العلم ٥٦ ، وانظر ايضاً ص ٥٣)

ويروى عن ابى موسى الاشعري انه قال « ان بني اسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة » (تقييد العلم ٥٦ وانظر ايضاً : سنن الدرامى ١٢٤/١) .

ويقول محمد بن سيرين « انما ضلوا بكتب ورثوها » (تقييد العلم ٦١) .

ويروى عن اسماعيل انه قال » انما كرهوا الكتاب لان من كان قبلكم اتخذوا الكتب فاعجبوا بها ، فكانوا يكرهون ان يشتغلوا بها عن القرآن » (تقييد العلم ٦١) .

ومما يزيد في خطر ذلك ان معظم الناس ، وخاصة اهل الجزيرة وسكان الامصار كانوا حديثي عهد بالاسلام ، فلم يكونوا قد تفهموه وتشبعوا بروحه وافكاره بعد ، الامر

الذي قد يؤدي الى ظهور كتب لا يطابق ما فيها احكام القرآن ومبادئ الاسلام ، وهذا بدوره قد يجعل القيادة الفكرية والتوجيه بيد اناس لما يتشبعوا بروح الاسلام ، وقد يكونون ممن طغت عليهم روح البداوة او الثقافات الاعجمية ، فيفقد الخلفاء واهل المدينة ، وهم ركيزة الاسلام ، السيطرة والتوجيه . والى هذا اشار الخطيب بقوله الذي ذكرناه قبلاً « ونهى عن كتب العلم في صدر الاسلام وجدته ، لقلة الفقهاء في ذلك الوقت وللميزين بين الوحي وغيره ، لان اكثر الاعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين .. » (تقييد العلم ٥٧) ؛ وقال ايضاً « نهى عن الكتب القديمة ان تتخذ لانه لا يعرف حقها من باطلها ، وصحيحها من فاسدها ، مع ان القرآن كفى منها ، وصار مهيمناً عليها » (تقييد العلم ٥٧) .

ثم ان ازدياد الكتب التي يؤلفها الناس ، واكتسابها شعبية وتاثيرا على الجماهير قد يؤدى الى تعاظم التيارات المتعارضة ، والى انقسام الناس وتفككهم ،ومما يزيد في خطر هذا الانقسام هو استمراره حتى بعد وفاة مؤلف الكتاب ، لان الكتاب قد يبقى طويلاً ، وقد تنقل نسخه الى مناطق بعيدة ، فيتسع اثره عبر الزمن والمكان ، وبذلك يوسع خطر الانشقاق . ولعل هذا الامر هو وراء ما روى عن عمرو بن ميمون الأودى قوله « ان رجلاً جاء بكتاب دانيال فكادوا يقتتلون (تقييد العلم وانظر ايضاً ذم الكلام للهروى ٦٧)

عنى العلماء المهتمون في الحديث بدراسة تطور التدوين ،وذكروا نصوصاً كثيرة فيها ، وضم كتاب « جامع بيان العلم وفضله »لابن عبدالبر ، وكتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادي كثيراً من هذه النصوص ؛ ويمتاز كتاب الخطيب بكثرة نصوصه وتنظيمها ، وبالتعليقات القيمة التي دونها المؤلف مما استنبطه من النصوص .

ويتبين من هذه النصوص ان كثيراً من الصحابة والتابعين الاولين كرهو االكتابة ، وقد ذكر الخطيب منهم ابا موسى الاشعري ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبا هريرة ، وعبدالله بن مسعود ، وابا العالية الرياحي ، وأبا سعيد الخدري ، وأبا ادريس الخولاني ، والقاسم بن محمد ، والمغيره ، ومنصوراً ، والاعمش ، والضحاك ، والليث ،

وابراهيم (تقييد العلم ٣١ ــ ٤٨ ، وانظر ايضاً عن موقف ابى سعيد الخدري: ابن حنبل ٣٩/٣ ، جامع بيان العلم وفضله ٦٣/١ ، وعن موقف ابى هريرة : ابن حنبل ١٢/٢ ؛ وعن موقف زيد بن ثابت: جامع بيان العلم وفضله ٦٣/١) . ولعل من المفيد ان نذكر ان ابن عون قال « فكان محمد والقاسم واصحابنا لا يكتبون» (تقييد العلم ٤٧).

ترجع كثرة النصوص المتعلقة بالحديث الى الاهتمام الخاص الذي اولاه اهل الحديث قضية الكتابة ، ولا ريب في ان هذا الموقف لم يقتصر عليهم وحدهم ، وانما امتد الى ميادين المعرفة الاخرى ؛ وخاصة ما يتصل بالدين والحياة العامة . وقد اورد الخطيب نصاً يظهر ان الكراهية كانت لا تقتصر على كتب الحديث بل تمتد الى كتب الجدل والعقائد التي قد يؤدي نشرها الى البلبلة والاضطراب ، وهي لا تعنى باية حال موقفاً معادياً للكتابة ؛ اذ من المعروف ان الرسول (ص) كان يحث على تعلم القراءة والكتابة ، وانه كان له كتاب يكتبون له الوحى والرسائل والعهود ، وان الكتابة كانت ضرورة لازمة لسير دواوين الدولة وحفظ سجلاتها ، وان العرب كانوا يعتبرون من شروط الكمال للرجل ان يعرف الكتابة .

كما ان كراهية الكتب لا يصح ان تتخذ دليلاً على موقف معاد للحركة الفكرية ، ذلك ان الاسلام كما ذكرنا دين يقوم على عقيدة تتطلب تفهماً عقلياً وادراكاً فكرياً ، بقدر ما تتطلب سلوكاً معيناً ، وان كثرة تردد العلم وما يتصل به في القرآن الكريم انما هو دليل واضح على مدى اهتمام الاسلام بالعلم والحث على الاستزادة منه ونشره ، ولعل من اجلى ثماره واوضح مظاهره هو العدد الكبير من المسلمين الذين اشتغلوا في مختلف ميادين العلم والمعرفة ؛ وهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك لولا حث الاسلام على ذلك.

ان كراهية الكتب تعبر عن ان اسلوب الدراسة كان في اوائل الاسلام لا يعتمد على الكتب وانما يعتمد على المحاضرات والابحاث الشفهية وعلى السماع دون القراءة .

والواقع ان الرسول اعتمد في توضيح معالم الدين ونشر الاسلام ، وكان النجاح العظيم الذي حققه في نشر الدعوة دليلاً على الفوائد الكبيرة التي يمكن ان تجنى من الاعتماد في نقل العلم وتدارسه على المشافهة والسماع .

فاتباع اسلوب السماع والمشافهة والاعتماد على الحفظ هو سير على سنة الرسول واساليبه ؛ ويروى ان ابا سعيد الخدري قال لمن اراد ان يستكتب الحديث « لا نكتبكم ولا نجعلها مصاحف ؛ كان رسول الله (ص) يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا عنا كما حفظنا عن نبيكم »(تقييد العلم ٣٦) ، وعندما قال له ابو نضره « اكتبني احاديث » اجابه « اتتخذونه قرآناً : اسمعوا كما نسمع » (تقييد العلم ٣٨) .

والمشافهة والسماع في دراسة العلم تتيح المجال للاستطراد والانطلاق والتوسع ؛ وقد عبر عن هذا ابو سعيد الخدري بقوله « تحدثوا فان الحديث يذكر بعضه بعضاً » (المحدث الفاصل للرامهرمزى ٥٤٥ ــ ٧،تقييد العلم ٣٧) ؛ واسلوب المشافهة سلس واضح عادة ، فهو اقرب الى فهم الجماهير والعامة من الكتب المعقدة .

والحفظ يقوم على نشاط الانسان وفعالياته ، فهو لا يتم بدون الانسان ، ولا يحدث الا على اساس الرغبات الذاتية ، فهو يربط بين العلم والانسان ، ويجعل بقاء العلم حياً نامياً معتمداً على الانسان ومدى حماسه في التعلم وحرصه على الاستزادة منه ؛ اما الكتب فهي تجعل العلم بمتناول الذين يستطيعون « مالياً »الحصول عليها ، اي الذين يمتلكون المال اللازم لاقتنائها بصرف النظر عن حرصهم على التعلم . وهكذا يصبح المال اساس الحصول على اداة العلم ؛ ويصبح العلم متوفراً لمن له مال وقد لا يكون له حرص ذاتي على العلم ؛ وقد عبر الاوزاعي عن ذلك بقوله « كان هذا العلم شريفاً اذ كانوا يتلقونه ويتذاكرونه بينهم .. فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار الى غير أهله »(تقييد العلم ٦٤ ،جامع بيان العلم ٦٨/١ ،سنن الدارمى ١٢/١ مقدمة ابن الصلاح ١٧١) .

والاعتماد على الروايات الشفهية والسماع تزيد من قيمة العلماء وترفع من مكانتهم وتجعلهم مقصد الراغبين في العلم ؛ اما اذا كان الاعتماد في الحصول على العلم على الكتب ، فان الناس يصبح همهم جمع الكتب وتقديرها ، وقد يندفعون في ذلك فيتناسون المؤلف رغم ان هذا هو صاحب الفضل في تأليف الكتاب .

والتأكيد على الكتب قد يؤدي الى اعتماد المرء على الكتاب والحصول عليه دون دراسته

وتفهم معلوماته ، مما قد يؤدي الى ان يشعر بعدم ضرورة دراسته ما دام الكتاب في ملكه وبمتناول يده ؛ وهذا بدوره يؤدي الى ان يصبح المرء جمّاعة للكتب وليس عالماً ، فلا يتقن العلم ولا يتشرب روح العلماء . وقد اشار الرامهزمزي الى خطر تدوين العلم في الكتب ثم اهماله ، فقال « ولا خير في علم يودع الكتب ثم يهمل » ؛ ونقل الرامهرمزي في ذلك عدة ابيات شعرية منها قول احدهم :

لا خير في علم وعي القمطر ما العلم الا ما وعــاه الصدر

وقال الاعمش :

تستودع العلم قرطاساً تضيعه وبئس مستودع العــلم القراطيس

وانشد ابراهيم بن حميد :

اذا ما غدت طلابة العلم مالها من العلم الا ما يدون في الكتب

غدوت بتشمير وجد عليهم فمحبرتي اذني ودفترها قلبي

وقال ابن بشير الازدي

أأشــهد بالجهل في مجلس وعلمي فــي الكتــب مستودع

اذا لم تكن عالماً واعيــــاً فجمعــك للكتــب لا ينفع

(المحدث الفاصل ٣٨٧ — ٨)

والعلم المعتمد على المشافهة والحفظ والسماع يجنب العالم مشاكل الكتابة العربية وصعوبة ضبطها ، خاصة وان كثيراً من الحروف العربية متشابهة ، ولا تتميز الا بالنقط (ب ، ت ، ث) او بمقدار الالتواء (ر د) فضلاً عن انها لا تدون عادة الحركات القصيرة ،

ويبدو ان الخط الكوفي كان شائع الاستعمال في العهود الاولى ؛ وهو خط تبرز فيه الزوايا الحادة ، فتجعل الكتابة فيه غير يسيرة نسبياً . ويقول القلقشندي : « ذكر صاحب اعانة المنشىء ان اول ما نقل الخط العربي من الكوفي الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في اواخر خلافة بني امية واوائل خلافة بني العباس . قلت : على ان الكثير من كتاب زماننا يزعمون ان ابا علي بن مقلة هو اول من ابتدع ذلك ، وهو غلط ، فانا نجد من الكتب بخط الاولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي ، بل يتغير عنه

الى نحو هذه الاوضاع المستقرة ، وان كان هو الى الكوفى أميل لقربه من نقله عنه » (صبح الاعشى ١١/٣)

واقدم كتاب وصلنا هو « الرسالة » للشافعي بخط الربيع ، وهي مكتوبة في سنة ٢٦٥ وخطها يشبه خط برديات كتبت في زمن يقارب ذلك التاريخ (انظر المقدمة التي كتبها احمدمحمدشاكر لكتاب«الرسالة»للشافعي،وانظر راي مورتز في دائرة المعارف الاسلامية ٣٩١/١) ؛ ثم كتاب المسائل لاحمد بن حنبل ، وقد كتب في سنة ٢٦٦ ، وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية (٣٢٤ حديث) .

ان التدوين يقيد العلم ويحصره ويضيقه ، لان الكاتب يشعر ان كتابته ستكون مستمسكاً مادياً وحجة عليه ، يحاسب بموجبها على اقواله ؛ مما يدفعه الى الحذر والتردد من اجل تدقيق الكلمات التي يستعملها ، والافكار التي يعرضها ، والمعلومات التي يدونها ؛ فاذا ظهرت له بعد ذلك اخطاء ، فانها تكون وصمة عليه . وكثيراً ما يكتشف المؤلف بعد تأليفه كتاباً خطأ بعض ارائه او عدم دقتها ، فلا يستطيع جمع نسخ المكتوب ، مما قد يحدث له ازمة نفسية ، او يدعوه الى اعادة كتابة كتابه بشكل جديد ؛ وفي التاريخ امثلة كثيرة على كتب اعيدت كتابتها مع تعديلات اساسية ، لعل اشهرها مقدمة ابن خلدون حيث وصلتنا اكثر من صورة لها مدونة بخط مؤلفها ؛ ومن الامثلة عليها مروج الذهب للمسعودي الذي اشار فيه مؤلفه الى انه اعاد كتابته وطلب عدم استعمال النسخة القديمة .

واعتماد دراسة العلم ونقله على المشافهة والحفظ والسماع يؤدي الى حصر الحركة الفكرية في اماكن اقامة العلماء ، وبالتالي الى تنمية الاقليمية ؛ اذ ان كثيراً من العلماء ، وخاصة المتقدمين في السن منهم ، كانوا لا يميلون الى السفر لمافيه من عناء ، فتحدد اثرهم في مدنهم ، الا لمن كان يرحل اليهم . والواقع ان العلم ازدهر في العهود الاولى في اماكن محدودة هي البصرة والكوفة والمدينة بالدرجة الاولى ، ثم في بغداد بعد انشائها (وسنبحث عن اسباب واثار ذلك في مقال تال) ؛ وادى هذا الى ان تؤثر العوامل المحلية في توجيه الحركة الفكرية في كل مركز ، فيزداد الاهتمام بعلم دون آخر ، او باتجاه تفكير خاص في مكان معين دون آخر ؛ وقد عرفت البصرة بالزهد والاعتزال (حلية

الاولياء ٩٤/٢) وعرف عن البصريين اهتمامهم باللغة « فان علم العربية عنهم اخذ » (الفهرست ٩٦) و « قال ابو سعيد لا اعلم احداً من علماء البصريين في النحو واللغة اخذ عن اهل الكوفة شيئاً من علم العرب الا ابا زيد (الانصاري) فانه روى عن المفضل الضبيّ (الفهرست ٨١) . وكان مذهب البصريين امتناعهم عن الكتابة وكراهتهم لها» (تقييد العلم ٧٩ وانظر ايضاً ص ١١١) ، اما اهل الكوفة فكانوا « اعلم بالاشعار من اهل البصرة » (الخصائص ١٩٢/١ لسان العرب ١٤٠/٣) . غير ان هذه الاقليمية اضعف اثرها رحلات العلماء وتتبعهم للنشاط الفكري العام ، مما ساعد على ظهور هيكل عام موحد في كل علم ، واصبحت « الاقليميات » فروعاً ثانوية فيه .

ان اعتماد العلم على المشافهة والسماع والحفظ يمكن السلطة من مراقبة العلماء ورصدهم وحصر نشاطهم اما الكتب فيسهل اخفاؤها ونقلها الى مناطق بعيده واخفاء استعمالها بين الناس .

والاعتماد على المشافهة والسماع يؤدي الى قصر الحفظ على جمل قصيرة واحكام عامة خالية من الشروح والتوضيحات ؛ فهي لا تخلد الا « قمماً » واحكاماً عامة ، مهما كانت دقتها وروعتها ، فهي لا تمثل كافة معلومات وا راء واساليب تفكير العالم الذي نقلت عنه هذه الجمل .

والحق ان كثيراً من العلماء والمفكرين لم ترو لنا عنهم الا جمل او نبذ قصيرة ، ولا يعقل ان تكون هذه المرويات شاملة لكل معلوماتهم او لكل ما قالوه ؛ علماً بان بعض هؤلاء العلماء كانوا رؤوساً في العلم او في الفرق الكلامية ، ولهم اتباع يسيرون على توجيهاتهم أو هديهم ، وان الاقتصار على هذه المرويات القليلة في تقييم افكار اولئك العلماء او في تقدير مدى انتشار الحركة الفكرية ، لا يمكن ان يقدم صورة دقيقة وصحيحة وكاملة عنهم .

ونقل العلم بالمشافهة والحفظ يفسح المجال للحرية والتبسط ،ويؤدي الى التبديل والتحوير ، عمداً أو عفواً ، فناقل الخبر مهما توخى الدقة فانه يدخل تبديلات يختلف مقدارها في المفردات اللغوية ، فيستعمل المفردات المألوفة لديه محل المفردات التي قد يراها غريبة عليه ، وقد يبدل اسلوب المروى ليتناسب مع اسلوب الكلام الذي يتميز

عادة بالسلاسة والوضوح ؛ ولعل اوضح ما يتجلى هذا في الاشعار والقصائد التي لا يكاد يخلو بيت فيها من اختلافات ناجمة من تصرف الرواة في رواية تلك الاشعار .

ثم ان الروايات الشفهية والنقل عن السماع كثيراً ما تتعمد الاختصار ، فيحذف الراوي ما يصعب حفظه لطوله او تعقد اسلوبه او غرابة مفرداته ، او لانه يرى معلوماته مناقضة لمعاييره الخلقية او الدينية او الفكرية او السياسية او الاجتماعية ؛ وقد يبرز منها ما ينسجم مع معاييره ؛ او قد يضيف من عنده شروحاً وتفصيلات ، ويصوغها بشكل يصعب تمييزه عن المروى ، فتختلط اراء الراوي مع اراء من روى عنه .

ولا ريب في ان كل هذه الظواهر كان لها اثر في توجيه الحركة الفكرية ، ولكنها كانت مصدر خطر على عدم الحفاظ على التراث على حقيقته ، الامر الذي قد يولد اخطاراً فكرية ، واثاراً سيئة خاصة فيما يتعلق بالدين ؛ وقد ادرك العلماء هذه الاخطار فعملوا على تلافيها ، ومن اهم الوسائل التي ابتدعوها هي الاهتمام بالاسناد .

الاسناد واهميته

ان الاعتماد على السماع دون الكتب ، وعدم وجود قيد يحصر الناس المشتغلين فيه ادى الى انتشاره بين عدد كبير جداً من الناس الذين يتباينون في فهمهم وحفظهم وخلقهم . وقد اتاح هذا التوسع والانتشار المجال الى عدم ضبط حرفية النصوص والى الاختلاق . حتى في الحديث النبوي

فاما عدم ضبط حرفية النصوص فقد كان من مظهرها ان ينقل الحديث النبوي بالمعنى.

واما الاختلاق فقد كان مبعثه اهتمام الناس بالسنة وتعظيمهم لها واعتبارها الانموذج الامثل الذي ينبغي السير عليه اذا اراد المرء الفلاح في الدنيا والاخرى. وقد دفعت هذه المكانة الرفيعة للسنة عدداً من الناس الى اختلاق اقوال واعمال ينسبونها للرسول فيها تمجيد لما يحبونه وذم لما يكرهون . وقد تعددت مواضيع الاختلاق بتعدد اهتمامات الناس واتجاهاتهم فكان منها ما يتعلق بالمثل الاخلاقية او بالحياة المادية بما في ذلك الملبس والمأكل او التصرف الشخصي في الحياة اليومية ، ومنها ما يتعلق بتمجيد الاماكن والبلدان او الاشخاص ، ومنها ما يتعلق بالتشريعات وقوانين الاحوال الشخصية او المدنية او التجارية

او المعاملات، ومنها ما يتعلق بالاراء الفلسفية او المذهبية او السياسية . ولما كانت السياسة مرتبطة بالدين وممتزجة به فقد كان تأثيرها اوسع في خلق الاضطرابات والقلق والثورات في المجتمع، لذلك كان الاختلاق فيها اشد اثارة، اذ ان الحديث المختلق لمصلحة اي حزب او فريق يثير كافة الفرق الاخرى (انظر في دوافع الوضع والاختلاق في الحديث « بحوث في تاريخ السنة المشرفة » للدكتور اكرم العمري ١٦ — ٤٢)ان ازدياد مكانة السنة وتوسع مادتها لتشمل مختلف جوانب نشاط الفرد والمجتمع وتزايد الاختلاق المتعمد للافساد كان من اهم الدوافع لمحاولة ايجاد وسيلة لمنع الاختلاق ولتمييز الحديث الصحيح عن المختلق .

ولما كانت المعرفة في هذه الفترة تنقل سماعا، لذلك فمن وسائل التحقق من صدق المروى هو التثبت من الاتصال الشخصي بين المحدث ومصدر حديثه . ولا ريب في ان هذه الوسيلة سليمة واولية، فان كذب الشخص في ادعائه الاتصال بمحدثه، وهو امر مادي واضح يكون دليلاً على تخلقه بالكذب وعلى احتمال اختلاقه في الامور الاخرى . ومما يزيد في اهمية هذا المعيار هو ان معظم الصحابة واولادهم الذين كانوا يعرفون سنة الرسول (ص) وسمعوا احاديثه كانوا يقيمون في المدينة في الوقت الذي تزايد الاهتمام بالحديث في الامصار الاسلامية الاخرى . فرواية اهل الامصار الاحاديث النبوية تكون معرضة للشك اذا لم يتصل الراوي بمصدره شخصيا، وقد عبر عن ذلك عبدالله بن المبارك في قوله « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (معرفة علوم الحديث للرازي ص ٦) ويفترض في هذا الاتصال ان يكون كل من المصدر والراوي ثقة اي عالماً دقيقاً واميناً، والا انتفت اهمية الاسناد. وقد اهتم العلماء المسلمون بالتثبت من الصلة بين المصدر والراوي وهذا ما يسمى « الاسناد » اي ان يذكر الراوي الاشخاص الذين سمع منهم الحديث .

تنقل كثير من الكتب قولا لمحمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) عن زمن وسبب ظهور الاسناد . فقد قال « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم، فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى اهل البدع فلايؤخذ حديثهم »

(مسلم : الصحيح ١٥/١ ابن عدي: الكامل ٣٩/١ آ ، ابن حبان : المجروحين من المحدثين ٢٧/٢ ب — ٢٨ ب الرامهرمزي : المحدث الفاصل ٢٠٩ الخطيب: الكفاية ٢٢ ابن حجر: لسان الميزان ٧/١) .

لقد حدد ابن سيرين سبب الاهتمام بحادثة معينة معروفة في زمنها وهي « الفتنة » غير أن لا ابن سيرين ولا الكتب التي ذكرت هذا النص اوضحت هذه الفتنة التي لا بد وانها كانت واسعة الاثر بحيث امتدت الى الحركة الفكرية والزمت المشتغلين فيها على تطبيق اسلوب خاص معين لم يكن تطبيقه مشترطاً قبل تلك الفترة.ويتضح من كلام ابن سيرين ان هذه الفتنة قد رافقها ظهور اهل البدع بقوة ، بحيث اصبحت في العالم الاسلامي كتلتان : احداهما اهل السنة والاخرى اهل البدع ، وان هذه الفتنة تمس في طبيعتها او في اثرها ظهور تيارات عقائدية تقر بالمكانة الفائقة للسنة ولكنها تعمل على اخضاعها للبدع الجديدة التي تناقض ما يعرفه اهل الحديث عنها .

لقد ظهرت في القرن الاول الهجري الذي عاش فيه ابن سيرين (ت ١١٠ هـ) عدة فرق اسلامية في اوقات متفاوتة ، كما حدثت اضطرابات سياسية غير قليلة سمت المصادر التاريخية كلا منها فتنة واولها الاحداث التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان ، كما وصف مالك بن انس حركة عبدالله بن الزبير (٦٤–٧٢ هـ) بانها فتنة (الموطا . كتاب الحج٩٩)وذكر ابن سعد فتنة ابن الاشعث (٧ — ١ / ١١٩) واطلقت الفتنةعلى الاحداث التي رافقت مقتل الوليد بن يزيد (١٢٨ هـ) وقد اعتبر شاخت الفتنة الاخيرة هي التي سببت ظهور الاسناد (اصول الفقه الاسلامي ٣٦ — ٣٧) وهذا يناقض نسبة القول لابن سيرين الذي توفى سنة ١١٠ هـ ، ويرى اكرم العمري انها مقتل عثمان (ابحاث في تاريخ السنة المشرفة ص ٤٤ فما بعد)غير ان هذا التاريخ مبكر جداً لم تظهر فيه الا فرق قليلة ضعيفة الاثر .

ويلاحظ ان الحوادث التي مرت بالعالم الاسلامي وخاصة في العراق بين موت يزيد بن معاوية وتولية الحجاج العراق كانت من ادق الفترات، فقد ظهرت فيها اضطرابات سياسية وبرزت عدة فرق عقائدية تصارعت بعنف فيما بينها ، فلا بد ان تكون الفتنة

هي في مجموع هذا الاحداث او حدث واحد منها كان يقدر ابن سيرين انه اخطرها والتي لم تحددها المصادر .

نقل ابن ابي حاتم ان مالكاً قال اول من اسند الحديث الزهري (تقدمة المعرفة ٢٠) وقد نقل عن الوليد بن مسلم ان الزهري قال : يا اهل الشام مالي ارى احاديثكم ليس لها ازمة ولا خطم ، وتماسك اصحابنا بالاسانيد من يومئذ (مصطفى السباعي السنة ومكانتها في التشريع ٢٩٣) .

غير ان روايات اخرى تذكر ان الاسناد بدأ بالعراق، وقد نسب الرامهرمزى نشأته الى الشعبي حيث يروي ان الربيع بن خيثم قرأ عليه حديثاً قال الشعبي فقلت من حدثك؟قال عمرو بن ميمون،وقلت من حدثك،فقال ايوب صاحب رسول الله(ص).قال يحيى بن سعيد وهذا اول ما فتش عن الاسناد (المحدث الفاصل ٢٠٨) ويذكر ابن سعد « وحدثنا انس فاخبر بالاسناد » (ابن سعد ٧-٢/٢) والراجح ان الاهتمام بالاسناد بدأ بالعراق حيث ظهر كثير من الفرق كما ظهر فيه عدد كبير من علماء الحديث.

لقدبدأ الاسناد ونما فيدراسة الحديث النبوي والسنة،وكان الهدفمنه التوصل الى حقيقة اقوال الرسول وافعاله ، فهو يقوم على فكرة تمجيد الماضي وضمان ضبط معرفته فهو يعبر عن روح المحافظة وتقديرها ، ويفترض ضمنياً وجوب ابقاء الماضي حيا فلا ينسى او يندثر . وتقدير الماضي ينسجم مع النفسية العربية منذ الازمنة القديمة،وقد اشار القرآن الكريم الى تمسكالعرببسنة ابائهم الاولين وانهم يقتدون اثار ابائهم،فلماجاء الاسلام ازال المثل العليا البدوية القديمة واحل محلها مثلاً اسلامية جديدة اعتنقها العرب وظلوا يتمسكون بها ، وهذه المحافظة التي يعبر عنها الاسناد ويقويها تفيد عندما تكون معتدلة في استقرار المجتمع واستمراريته وحفظ المجتمع متماسكاً .

وترجع اهمية الاسناد الى المكانة الكبيرة المتميزة التي تشغلها سنة الرسول في الحياة الفكرية والاخلاقية والعملية ، والى ان الصحابة هم الذين عاشوا فيها ولمسوها وتفهموها ، فهمالمصدر الاولالوحيد عنها،وهم جميعاًعاشوا في المدينة فالاسناد في الحديث يثبتلأهل المدينة ونظمها مكانة متميزة في الدولة الاسلامية،ويجعلهم المثل العليا والمرجع الاكبر في الحياة الاجتماعية والفكرية وقد ادرك الخلفاء الامويون والعباسيون الاولون المكانة التي

اكتسبها اهل المدينة فلم يحاولوا هدمها بل ابقوها رغم ان أهل المدينة كانوا يتخذون احيانا مواقف سياسية عدائية قد تصل الى حد شهر السلاح ضد الخلافة ، ويبدو ان الخلفاء ادركوا الفوائد التي تجني من وجود مركز محايد نسبياً ومتصل بمنبع الاسلام يكون مثلاً اعلى للمجتمع الاسلامي ، وان هذا من عوامل التوحيد الفكري والروحي للمجتمع الاسلامي ، فحرصوا عليه رغم موقف اهل المدينة ،وكان من مظاهر حرصهم اهتمامهم بعلماء المدينة وعدم اتخاذهم اية خطوة قد تعرقل نمو الاسناد .

والاسناد قائم على اساس ان الرسول والصحابة لم تكن لهم في البداية وثيقة مكتوبة معتمدة غير القرآن ، وان معرفة الاجيال التالية اقوالهم ونظم مجتمعهم لا تتم الا عن طريق السماع . والاسناد في الحديث يفترض الثقة المطلقة بالصحابة الاولين باعتبارهم مصدر معرفة الاسلام وبانهم لا يكذبون فيما يقولون ،وهذه فكرة يعبر عنها حديث ينسب الى الرسول (اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) غير انه على مر الايام انقرض الصحابة فيروى ان اخر المتوفين ممن شهد بدرا قد توفى في اوائل العصر الاموي . ولكن فكرة ان العلم تتوقف صحته على مدى الثقة بقائله او ناقله ظلت ثابتة ،فما دام الشخص عندهم موثقا ، فعلمه صحيح ، فالعلماء هم معيار الصحة ، والخبر الصحيح هو المنقول عن عالم موثق ، وهو يفترض ان الشرط الاساس هو الاتصال الشخصي بين الراوي والمحدث فهو يقوم على ضمان وسيلة امينة لمعرفة الماضي وان اساس المعرفة هو الاشخاص الذين عن طريقهم فقط تنتقل المعرفة ، اما ابناء الجيل الاول فمتساوون بالعدالة لانهم جيعا رأوا الرسول وعاشوا معه .

لقد انتشر العلم بين الناس واهتم به وبدراسته عدد كبير من الناس في مراكز متعددة فقد روى ان عدد طلاب الحديث في الكوفة قبيل الجماجم (٨٢ هـ) بلغ اربعة الاف (المحدث الفاضل ٥٦٠) ومن المعلوم ان العلم كان مفتوحا للجميع يستطيع كل من اراد ان يطلبه ،فلم يكن هناك ما يقيد حضور الطلبة او يحصر عددهم وبذلك صار عدد اهل العلم كبيرا لان حلقات العلماء مفتوحة ،والتقاليد السائدة ان لا يبخل الرجل في علمه ،لذلك كان من الممكن ان يسمع من الشيخ عدد كبير يختلفون في مستواهم وفهمهم ودقتهم وامانتهم .

غير ان التمسك بالاسناد القائم على اساس ان المعيار الاساسي لصحة العلم هو كفاية الراوي وامانته ادى الى ضرورة تقييد المعتمدين وحصرهم واختيار عدد منهم ، وقد حدث بالفعل ان أخذ التقدير ينحصر باشخاص معينين محدودي العدد، وصار رجال علم الحديث يعطون الافضلية لرواة معينين وابتدعوا ما سموه الاسناد العالي ويروى ان علي بن المديني وهو من اوائل علماء رجال الحديث واعظمهم قال: نظرت فاذا الاسناد يدور على ستة : لاهل المدينة ابن شهاب (ت ١٢٤) ولا هل مكة عمرو بن دينار (تـ ١٢٦) ولا هل البصرة قتادة بن دعامه السدوسي (تـ ١١٧) ويحيى بن ابي كثير (تـ ١٣٢) ولا هل الكوفة ابو اسحق السبيعي (تـ ١٢٧) وسليمان بن مهران الاعمش (تـ ١٤٨) ثم صار هولاء الستة الى اصحاب الاصناف: فممن صنف من اهل المدينة مالك بن انس ، ومن اهل البصرة سعيد بن ابي عروبة (تـ ١٥٨) وحماد بن سلمة (تـ ١٨٢) وابو عوانة (تـ ١٧٩) وشعبة بن الحجاج (تـ ١٦٠) ومعمر بن راشد (تـ ١٦٤) ، ومن اهل الكوفة سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١) ، ومن اهل الشام عبد الرحمن ابن عمرو الاوزاعي (تـ ١٥١) ، ومن اهل واسط هشيم بن بشير (تـ ١٨٣) . ثم انتهى علم هولاء الستة وعلم الاثني عشر الى ستة نفر : الى يحيى بن سعيد القطان (تـ ١٩٨) ويحيى بن زكريا بن ابي زائدة (تـ ١٨٢) ووكيع بن الجراح (تـ ١٩٧) وعبدالله بن المبارك (تـ ١٨١) وعبدالرحمن بن مهدي الاسدي (تـ ١٨٨) ويحيى بن ادم (تـ ١٨٨) (العلل ٣٩ — ٤٣، المحدث الفاصل ٦١٤ — ٦١٩، تذكرة الحفاظ ١-٣٦٠ وانظر الخطيب ٤٠١/١٠ باختصار).

ويتضح من هذا ان التمسك بالاسناد قد رافقه حصر التقدير بعلماء محددين معينين اعتبروا موثقين، اما الباقون فقد رتبت لبعضهم درجات متباينة من التوثيق ، وهكذا اصبحت بجانب شعبية العلم وانفتاحه طبقية في العلماء يقررها علماء رجال الحديث تبعا للمقاييس التي يرونها ولطريقة تطبيقهم لها .

ادى الاهتمام بالاسناد الى نمو علم الرجال الذي يدرس اسماء الرواة من الرجال والنساء وسني ولادتهم ووفياتهم، فذكرت كتب الرجال قائمة ضخمة منهم كما ذكرت

العدد الكبير الذي كان يحضر لسماع بعض العلماء البارزين الامر الذي يبين مدى اهتمام الناس بالعلم وكثرة المشتغلين بدراسته .

وذكرت هذه الكتب كنى المترجمين والقابهم ونسبهم الى العشائر او المدن او الحرف والى بعض الحوادث التاريخية والى ابرز شيوخ المترجمين والوظائف التي اشغلوها والى رحلاتهم ،مما يقدم مادة ثمينة عن الاصول الاجتماعية والقبلية والعرقية والحرفيةللعلماء وكذلك عن نشاط العلماء وسفراتهم واتصالاتهم ومراكزهم العلمية والاجتماعية والادارية وقد الف عدد من العلماء كتبا ركز كل منها على جانب من الجوانب المتعلقةبرجال الحديث او نظموها على اسس خاصة (انظر اكرم العمري بحوث في تاريخ السنة المشرفة) .

ولا بد من الاشارة الى انه رغم كثرة عدد من ذكرتهم كتب الرجال فانها لم تستوعب كل المشتغلين بعلم الحديث كما ان كثيراً ممن ذكرتهم لم ترو تفاصيل عن علمهم او نشاطهم العلمي غير ان مجرد ذكرهم يدل على انه كان لهم نشاط علمي ملحوظ لم تسجل اخباره .

وعلم الرجال يوضح المثل العليا الاخلاقية للعلماء المسلمين ،وهي مثل دقيقة شاملة ، وقد ساهمت دقته في تمكين هذه المثل العليا عند المسلمين باعتبارها الوسيلة الرئيسة لتقدير الناس لهم ولا حتلالهم مكانتهم في العالم . وقد اهتمت كتب الرجال بالعقائد باعتبارها من اهم الامور الواجب ملاحظتها لمعرفة امانة العالم،وبذلك كشفت عن كثير من العقائد ومدى انتشارها وتغلغلها وموقف الناس منها،وساهمت كتب الرجال في نمو بعض جوانب النقد التاريخي وفي وصوله مستوى عاليا من الرقي والدقة .

والاسناد وسيلة يدافع عنها الشخص عن صدقه بطريقة غير مباشرة وينفي عنه مسؤولية الكذب الذي هو من الصفات الذميمة التي انذر القرآن الكريم مقترفها بالخزى في الدنيا والنار في الاخرة ، كما ان الاوساط العلمية كرهته . ففي الاسناد يتخلص الراوي من مسؤولية الكذب ويلقي تبعيتها على غيره ان وجدت .

غير ان التأكيد على الاسناد كان سببا في ضياع كثير من الحقائق المهمة لمجرد انه لم يكن لها اسناد . والواقع ان عدداً من العلماء الاولين المعتمدين مثل مالك بن انس

والشافعي والاوزاعي وابي يوسف يوردون معلومات واخباراً دون المحافظة على دقة الاسناد وقد أوردوا هذه الحقائق دون ضبط الاسناد لانهـم يعتقدون بصحتها واهميتـها وقد الزمت المكانة الكبيرة لهؤلاء العلمـاء الناس على دراستها ، ولكن لا بد ان كثيراً من الاخبار والمعلومات ضاعت لا لخطئها وانما لان رواتها لم يضبطوا سند رواياتهم ، والواقع ان بعض العلماء ادرك خطر التزمت في التمسك الحرفي بالاسانيد على العلم فحاول اباحته ولو الى حد محدود .

و الاسناد يؤدي الى تثبيت مكانة عدد محدود من العلمـاء ويقوى مكانتهم ، فتضعف مكانة غيرهم ،وخاصة من المتاخرينالذين يصبح دورهم مجرد نقلة غير مبدعين ، وقد تولد فيهم عقدة النقص ، وبذلك تؤدي الى طبقية صلبة في العلم . كما ان التزمت في النقد لا بد انه ادى الى كثير من الضحايا من العلماء الذين جرحوا لاسباب واهية اولشكوك او لمجرد حادثة قاموا بهااوجانب ضعيف ضيق فيهم. وادى الاهتمام بالاسناد الى ان يصبح العمل الاكبر للعلماء هو ضبط مصدر النصوص وضبط حرفية النقل وتقوية ملكة الذاكرة دون اعطاء اهتمام مماثل للتعليل والتحليل او لمقارنة محتوى النصوص بالاحوال العامة ، مما يضعف ملكة التفكير . وهذه الدقة الزائدة ولدت شيئاً من ضعف الثقة والجمود عند العلماء،فصار كثير من العلماء مجرد نقلة ،وصارت شخصياتهم تكمن وراء اختيارهم او تنظيمهم لما ينقلون . كما ان الاهتمام بالسند ادى الى كثير من الانتحال لان الاسانيد اعتمدت على تقديس الرواة،فشجع ذلك على ان تنسب كثير من الاراء اليه لكي تروج ويقول الجاحظ انه كثيراً ما كان يؤلف الكتب وينحلها غيره لتروج .

وهكذا اضيف مصدر لتقوية مكانة بعض العلماء وطمس اخرين .

والحرص على الاسناد يؤدي احيانا الى تكرار ذكر نص واحد ، او تكرار كثير من رجال اسناده وذلك لاظهار السبل المتعددة التي وصلت الراوي ، ثم ان بعض الاسانيد تكرر ما تروي مع اختلافات ضئيلة في بعض الحروف او الكلمات ، وان تكرارها يؤدي الى الاملال دونما فائدة كبيرة . وقد ادرك الاولون من العلماء ، وخاصة المؤرخين خطر الاطالة المملة من تكرر المساند ، فكانوا يجمعون اسانيدهم احيانا ، فيذكرون

كلا منها ، ثم يذكرون اجمال ما رووا ، وقد يقتضيهم ذلك ادخال بعض التحويرات في التعابير والمفردات ، وادماج النصوص القصيرة بالطويلة ، ويكثر جمع الاسانيد عند عدد من المصادر القديمة مثل طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، حيث يذكر في الخبر عدة اسانيد ثم يقول « كلهم قد حدث بعض الحديث عن كذا وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقته من هذا الحديث عن كذا ، قالوا .. »

وكان بعض العلماء يحذف الاسانيد فلا يذكر ويكتفي بالقول « حدثني من اثق » « حدثني بعض شيوخنا » . (انظر كتاب الخراج لابي يوسف . فهرس الاسانيد ، وكذلك الموطأ لمالك) . وقد اسقط الصولي ذكر الاسانيد من كتابه (ادب الكاتب) ، وبرر ذلك بقوله « وقد اختصرت كتابي هذا جهدي غير تارك ما يحتاج اليه فيه ، ولكني اخرجت المعاني في اقواتها من الالفاظ واسقطت من اكثرها الاسانيد ليقرب على طالبه وينال بغير كلفة ما أراه تبعد انظاره عنه » (ادب الكاتب ٢١) .

وقد ادرك ابن قتيبة الصعوبات التي يواجهها القارئ في ايراد الاسناد والحرص على ابقاء الكلمات القديمة على ما هي ، فحذف بعض الاسناد وبدل بعض الكلمات واعترف بذلك فقال « ولم يجزلي ان انص بالاسناد الى من له اصل التفسير ، اذ كنت لم اقتصر على وحي القوم حتى كشفته ، وعلى ايمائهم حتى اوضحته ، وزدت في الالفاظ ونقصت ، وقدمت واخرت وضربت لبعض ذلك الامثال والاشكال حتى يستوى في فهمه السامعون (تأويل مشكل القرآن ص ١٨) .

وقد ادى الاهتمام بالسند وصرامة نقد الرجال الى تحرج بعض العلماء من دراسة الحديث والى الاهتمام بدراسة مواضيع اخرى من المعرفة ، وخاصة الادب والشعر فقد روى ان شعبة كان يهتم بالشعر ، فلما سأله اصحاب الحديث عن سبب اهمال رواية الحديث قال والله لانا في الشعر اسلم مني في الحديث ، وقال ايضاً ما انا مغتم على شيء اخاف ان يدخلني النار غيره ، يعني الحديث (ابن سعد ٧ ـ ٣٨/٢) وكان الاصمعي يتحرج من تفسير شيء ورد في القرآن الكريم أوالحديث ولذلك لم يرفع من الحديث الا احاديث يسيرة (مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ورقة ٤٨) .

الاسناد في العلوم الاخرى

لم يقتصر استعمال الاسناد على الحديث النبوي ، بل امتد الى عدد من ميادين المعرفة الاخرى . غير ان الهدف منه فيها يختلف عما في الحديث ، اذ ان الغرض من تطبيقه في الحديث هو ضمان التحقق من تسلسل وصول المعلومات من الرسول،فالنهاية العليا في سند الحديث هو الرسول (ص) ، وقيمة الاسناد تتوقف على استمرار السلسلة والثقة بكل حلقة منها ، اما المواضيع الاخرى ، فان نفس العوامل التي ادت الى اهتمام الاسناد في الحديث ، قادت الى تطبيقه في تلك المواضيع ، وخاصة التي اعتمدت دراستها على الروايات السماعية ، غير ان النهاية العليا للسند في هذه العلوم هو العلماء البارزون في الموضوع المعين،فغايته اظهار اهمية هؤلاء العلماء.ومن الطبيعي ان الصحابة كانوا المعتمد الموثق في استقاء المعرفة المتعلقة بالرسول والاسلام وخاصة فيما يتصل بالحديث والفقه والتفسير . اما في المعارف الاخرى فان سلاسل الوثائق كانت تنتهي بالعلماء الموثقين من حيث دقتهم وسمعة اطلاعهم وامانتهم وفهمهم في تلك العلوم .

وقد ظهر معظم العلماء الموثقين منذ القرن الثاني الهجري ، ويدل ظهورهم على ازدياد التخصص في العلوم ، والى ادراك الناس ضرورة تطبيق معايير معينة لتمييز المشتغلين بكل علم ، والى تقرير العلماء الموثقين في كل موضوع . ومن المعروف ان العرب كان لهم في الصحراء شعر متميز وثقافة انسانية عامة تعبر عنها لغة وصلت مستوى عاليا من التقدم ، ثم جاء الاسلام فاثار التفكير في ميادين انسانية واسعة ، وبذلك رفع من مستوى ونطاق الثقافة والتفكير ، غير ان تزايد المعرفة والتساؤلات اتاحت المجال لاظهار وتنمية القابليات والميول ، فبدأت تتوضح اتجاهات علمية هي نواة التخصص العلمي ، رغم العلاقات الوثيقة والتداخلات بين العلوم ، وهكذا بدأت الاشارات الى التفسير كعلم مستقل ، رغم علاقته بالحديث واللغة والشعر والتاريخ ، وكذلك الى الفتيا ، وهي نواة الفقه ، رغم صلتها الوثقى بالقرآن والحديث .

ان أزدياد المعرفة وتقدم العلم وكثرة المشتغلين فيه لا بد ان يؤدي الى ان يحدث بين المشتغلين فيه تمايز يستند الى معايير يقررها المجتمع والعاملون في الميادين العلمية ، نظراً لان العلم والمعرفة في الاسلام لم يسر طبقا لقواعد ونظم ترسمها وتنفذها السلطات ،

بل كان « شعبياً » في تكوينه ونموه ، فلم تستخدم الحكومة أو تستشر الاعددا محدوداً جداً من الذين « نضجوا » في اوساط العلم الشعبية .

ومن الطبيعي ان يختلف سير تقدم كل علم سواء في مضمونه أو اسلوبه او سرعة تقدمه أو زمنه، غير انهذا الاختلاف لم يكن واسعاجدا، بل يكاد يكون متوازنا، علما بأننا لا نستطيع رسم خط زمني دقيق لسير كل علم وتقدمه ، لان المصادر اهتمت بتاريخ ميلاد ووفاة كل عالم وبعض الاحداث البارزة القليلة في حياته، ولا يخفى ان طبيعة تقدم العلم تطورية وقلما تحدث فيها احداث مميزة حاسمة .

وقد رددت المصادر اسماء عدد من العلماء البارزن المتعاصرين في كل علم ، ووصفتهم بانهم « انتهى اليهم العام » وكان عددهم محدوداً جداً في كل علم ، ولكن اسماءهم كانت تتردد ، فكثر النقل عنهم ، وخصت كتب التراجم كثيراً منهم بتفاصيل وافية ؛ وكان معظمهم يتميز منذ القرن الثاني الهجري باراء واتجاهات خاصة . وكون علماء بعض المدن الرئيسية اراء سادت في مدنهم ، فظهر ما دعى علم اهل تلك المدينة ، كعلم اهل البصرة او علم اهل الكوفة ، او علم اهل الحجاز ؛ ولكن هذه الاقليمية في العلم لم تتعد الفروع في المعرفة وفي اساليب المعالجة ؛ وظل كل منها يسير ضمن النطاق العام لكل علم ؛ وهو نطاق واحد يعبر عن وحدة الفكر ويميزه بميزات خاصة نرجو ان نبحثها وندرس اسباب واثار تكوينها في مقال آخر .

واغلب العلماء الاولين لم يضعوا كتباً الى ان بدأ التصنيف في اواسط القرن الثاني الهجري حين بدأ التصنيف (انظر من ذلك ملاحظة الذهبي في تاريخ الاسلام ج٦ ص ٥ حوادث سنة ١٤٣) .

فلما بدأ التصنيف ، شارك فيه اكثرهم ولكن معظم هذه المصنفات فقدت والقليل الباقي منها يظهر ان كلا من غالبيتهم المطلقة لم يصنف اكثر من كتاب واحد صغير نسبياً ، ولكن منذ زمن الرشيد ، اي في اواخر القرن الثاني الهجري يظهر عدد من العلماء الذين يؤلف كل منهم عددا كبيراً من الكتب والرسائل في ميدان تخصصه الصميم او فيما يقرب من صميم تخصصه .

ويختلف مقدار ما وصل الينا من آراء هوالاء العلماء البارزين ، فبعضهم لم يصل الينا من آرائهم الا نص أو نصوص قليلة جدا ، وبعضهم نقلت عنهم نصوص كثيرة جداً ، جاءت عن طريق ما اقتسبه معاصروهم أو المتأخرون عنهم ، لذلك يصعب علينا تقييم علمهم او معرفة مقدار مساهمتهم في نشر العلم وتقدمه .

ان ترديد الكتب المعتمدة في تقدير العلماء الاشادة بمكانة هؤلاء « المتميزين » لا بد ان يكون مستنداً على عوامل اوسع من مجرد عدد محدود من النصوص والآراء، اذ لا يعقل ان يخلد الانسان في مكانويسمو على معاصريه على اساس عبارة او عبارات محدودة ، فلا بد ان هؤلاء المتميزين ، بل وغيرهم ممن سجلت كتب التراجم، اسماءهم كانت لكل منهم نشاطات علمية ، ومساهمات اوسع بكثير مما وصلنا ، ولذلك ينبغي عند دراسة الحركة الفكرية في الاسلام ان يلتفت الى هذا الامر في تقدير مدى امتداد وسعة هذه الحركة .

لقد عرفنا أسماء المرموقين ومكانتهم عن طريق علماء متأخرين عنهم ، ولا بد ان هؤلاء المرموقين توفرت فيهم الشروط التي كان يراها هؤلاء المتأخرون والتي كانت مستقرة في بيئاتهم ومقبولة عند معظم معاصريهم ، وقد تبلورت بدورها خلال فترة غير قصيرة من الزمن بعد ان سارت عليها واقرتها ضمنيا اجيال من المشتغلين بالعلم في امصار متعددة ، فهي معايير علمية شعبية استقرت نتيجة ممارسات طويلة واعترف بها عمليا في الاوساط العلمية بعيدا عن الضغط او التخطيط الرسمي الجامد . وهي تعبر عن الاتجاهات والمثل السائدة بين اوساط المختصين بذلك العلم في فترة معينة . ومن المعلوم ان بعض هذه الاتجاهات والمثل هي عامة عند الجميع كالصدق والدقة والامانة ومطابقة العقل ، وبعضها خاص في بيئات معينة في ازمنة معينة كالتهجم على القدرية او اتخاذ انكار فكرة خلق القرآن معيارا لعدالة المرموقين عند نقاد القرن الثالث الهجري ، وهي مقاييس لا يمكن ان تقربها اوساط المعتزلة والقدرية .

ولما كانت هذه المقاييس شعبية عملية ، وليست قائمة على قوانين صلبة جامدة ، فهي بدورها خاضعة للتطور ، كما ان تطبيقها غير موحد ، ولذلك كثيراً ما نجد في

علم رجال الحديث تباينا في الاحكام على مكانة الشخص الواحد وعلى درجة توثيقه .

ان الاهتمام بالاسانيد ، والعناية بذكرها في ميادين العلوم المتعددة ، ساعد على تثبيت مكانة العلماء المرموقين ، وقدم مادة اساسية لدراسة تطور تاريخ العلوم والعلماء عند العرب ؛ والواقع ان كل دراسة في نشأة وتطور تاريخ اي علم او عالم لن تكون مقبولة ما لم تأخذ بنظر الاعتبار دراسة هذه الاسانيد ؛ ولا يتسع المجال هنا لدراسة مثل هذه التفاصيل او الاكثار من الامثلة عليها ؛ ولكن اقتصر على ذكر اهميتها في دراسة تاريخ الطب ، فبفضل عناية الرازي بذكر اسانيده في كتاب « الحاوي » العظيم استطعنا ان نعرف اسماء واراء ومكانة عدد كبيراً جداً من الاطباء الاغريق والسريان والعرب ، ما كنا لنعرف عن آرائهم او حتى اسماءهم لو لم يذكرهم الرازي في اسانيده (انظر في ذلك تاريخ الطب الاسلامي لاولمان (بالالمانية) وتاريخ المؤلفات العربية للاستاذ فؤاد سزكين ج ٣) .

غير ان الاهتمام بالاسانيد ادى الى تحديد مقدار ما نقل الينا من المعلومات واقصى كثيراً من معلومات واراء من لم يعتبرهم المؤلفون « معتمدين » او « مرموقين » . كما انه لم ينقل من اراء المرموقين والمعتمدين الا ما يلائم افكار أو اراء او اساليب المتأخرين ؛ فهو بذلك يقدم الماضي « بمنظار معاصر » ، ويختار من التراث ما يلائم الاذواق الفكرية في الازمنة المتأخرة ، ومن دون ان يشير الى مقدارضخامة تراث الماضي أو الى طبيعة وقيمة ما لم يروه من ذلك التراث .

ان العناية بالاسناد تعبر عن الصدق والامانة والتواضع عند العلماء لانها تجعل الراوي يصرح بمصدر افكاره فلا يدعيها او ينسبها لنفسه ، وهي معيار لتقدير غير مباشر لمكانة العلماء الاقدمين وابداعاتهم ؛ كما انها ضرورية في الازمنة التي كانت الوسيلة الكبرى لنقل المعرفة هي المحاضرات الشفهية والسماع ؛ وقد ظلت العناية بها قائمة في اوائل ظهور الكتب ، ولكن انتشار الكتب ادى بالتدريج الى تناقص اهميتها ، والى ان يصبح الاسناد فيما بعد قائماً على الكتب لا على السماع . ويمكن القول بان العناية بالاسناد ظلت ظاهرة واضحة حتى اواخر القرن الرابع الهجري .

الدكتور صالح احمد العلي

عناية العرب بالهيدروليك

في العصور الاسلامية

الدكتور جميل الملائكة

عضو المجمع العلمي العراقي

كلية الهندسة – جامعة بغداد

لقد تمثل العرب بعد الاسلام علوم اليونان والهند بعد ترجمتها الى العربية ، ثم زادوها بالكثير من عندهم ، ومن ذلك ما أضافوه الى معرفة اليونان بالهيدروليك ، التي طوروها وأثروها باكتشافات استقلوا بها حتى اوصلوها الى درجة من النمو والتقدم جديرة بالاعجاب لتسليمها الى العصور الحديثة . ولكن كثيرين من مؤرخي الغرب يهملون كل ذلك ويغفلونه فيعبرون من الحضارة اليونانية الى النهضة الاوروبية الحديثة متجاوزين الاسهامات الكثيرة للحضارة العربية الاسلامية في هذا المجال .

فقد وضع العرب قواعد اساسية في الهيدروستاتيك ، فوسّعوا قانون القوة الدافعة وبينوا انطباقه في الغازات والهواء مثل انطباقه في السوائل ، وعللوا ارتفاع النافورات المائية ، وطوروا الدواليب المائية الى درجة متقدمة ، وشرحوا حركة المياه الجوفية ، وكتبوا في الخاصية الشعرية ، وبحثوا في اسباب الشدّ السطحيّ ، ووضعوا بعض العلاقات بين البعد الذي يقطعه الجسم الساقط وزمن السقوط ، ومهدوا لوضع قانون الجذب العام ، وبحثوا في مقاومة حركة الاجسام المغمورة في الموائع ، وشرحوا قوانين القوة والحركة ، ودرسوا مقاطع قنوات المياه والانحدارات اللازمة لها ، وعملوا الكثير من الآلات الهيدروليكية المعقدة التي تدل على مهارة ومعرفة عظيمتين في هذا الاختصاص . وكانت لهم في كل ذلك مبادرات باكرة في محاولة استنباط القوانين الطبيعية من المشاهدة والتجربة والتحليل .

وبحث الرياضي المهندس ابو بكر محمد ابن الحسن **الحاسب الكرجي** (ت : نحو ١٠٢٠ م) في كتابه (انباط المياه الخفية)[١] في حركة المياه الجوفية في التربة ، وتجمع مياه الآبار بالرشح من الجوانب وجنوح سطوح ما يجتمع منها ليكون موازيا لسطوح المياه القريبة منها ، وفوران الماء في العيون ، واصعاد مياه الآبار في الانابيب ، والانحدار الواجب استعماله في البرابخ وانابيب نقل المياه وقنواته ، ووصف آلات استنبطها هو لوزن الارض واعمال التسوية ، وبحث في انشاء القنوات والانفاق لجمع المياه الجوفية ونقلها ، وطرائق حفظ استقامتها تحت الارض ، كل ذلك بقدر كبير من الدقة والوضوح . انه مثلا ، بعد ان يؤكد كون الارض كرية بقوله[٢] « . . ان الارض كرية بجميع ما عليها من جبال ووهاد وحدود وصعود . . » يقول مدللا على موازنة السوائل والجاذبية الارضية « . . فلو كانت الارض صحيحة التدوير صلبة لا يتخللها الماء وتكون الخطوط الخارجة من المركز الى سطحها متساوية كلها لاحاط الماء بها احاطة بياض البيضة بصفرتها قليلا كان الماء ام كثيرا وكان سطح كرة الماء موازياً لسطح كرة الارض ولم يكن للماء جرية البتة وكانت الارض بحرا واحدا من غير برّ . .». ثم يقول بعد شرح ما ذكره[٣] « . . وانما ذكرت ذلك ليتصور منه طبع الماء وانه في جريته يتطلب شكله الكري فاذا وجده لم يجر بتّة وكذلك الأبنية والامكنة المرتفعة عن وجه الارض تنهار وتقع طلبا للمركز واستدارة الارض . . » . وفي معنى تحول الطاقة الكامنة (طاقة الارتفاع) الى الطاقة الحركية يقول[٤] « . . وليس على وجه الارض ماء جار او فائر ولا في بطنها الا ومادته من مكان هو أبعد من المركز من موضع ظهوره وجريه وفورانه لا يجوز غير ذلك بوجه من الوجوه . . » . وفي ازدياد الطاقة الحركية مع

---

(١) « كتاب انباط المياه الخفية » ، تصنيف ابي بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي (الصواب : الكرجي) ، الطبعة الاولى ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٩ ﻫ .
(٢) « كتاب انباط المياه الخفية » ، ص ٣ .
(٣) كتاب انباط المياه الخفية » ، ص ٤ .
(٤) « كتاب انباط المياه الخفية » ، ص ٥ .

زيادة طاقة الارتفاع يقول[٥] « . . كل ماء فائر فان قوته فيما قرب من المركز اكثر من قوته فيما بعد منه . . » . ويعزو وجود الماء في الابار ونبع ماء العيون الى كون مصادر المياه الجوفية التي تمدها اعلى منها فيقول[٦] « . . وسببها ما ذكرنا من مجاري المياه في بطن الارض فمتى صادف على وجهها مكانا اقرب الى المركز من موضع مادتها ظهر فيه ومتى كان مجرى الماء في جوف الارض في تربة صلبة وامتدت الصلابة مع خرق يجري فيه الماء الى قنة جبل ظهر الماء فيها ونبع اذا كانت القنة اقرب الى المركز من موضع مادة الماء الجاري فيه . . » .

وحدد ابو علي الحسين ابن عبدالله بن سينا (ت : ١٠٣٧ م) اسس قانون نيوتن الاول الذي ينصّ على ان الاجسام تميل الى البقاء في حالة سكون ، او في حالة حركة ثابتة مستقيمة ، تبعا للحالة الاصلية التي هي عليها ، ما لم تطرأ عليها قوة خارجية تغيّر حالتها . فقد طوّر ابن سينا دراسات وآراء اخوان الصفا التي تحدثوا بها في البصرة في اواخر القرن العاشر الميلادي[٧] عن محافظة كل شيء على وضعه الطبيعي[٨] ، وهو يقول في كتابه (الاشارات والتنبيهات)[٩] « . . انك لتعلم ان الجسم اذا خلي وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب لم يكن له بدّ من وضع معين وشكل معين فاذن في طباعه مبدأ استيجاب ذلك . . »[١٠] ، وهكذا يكون ابن سينا قد سبق نيوتن بسبعة قرون في الكلام على قانون القصور الذاتي ووضع اسس قانون نيوتن الاول للقوة والحركة .

---

(٥) « كتاب انباط المياه الخفية » ، ص ٢٤ .
(٦) « كتاب انباط المياه الخفية » ، ص ٦ .
(٧) « رسائل اخوان الصفا » ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ ، الرسالة الرابعة والعشرون .
(٨) ينظر : الدكتور شوقي جلال ، « تراث العرب في الميكانيكا » ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧ . وانظر : ماجد عبدالله الشمس ، « مقدمة لعلم الميكانيكك في الحضارة العربية » ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٣٩ .
(٩) « الاشارات والتنبيهات » لابن سينا ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ، الفصل الحادي والعشرون ، ص ٦٠١ .
(١٠) ينظر : د. شوقي جلال ، ص ٥٧ . وينظر : ماجد الشمس ، ص ٣٩ . وينظر : حكمت نجيب عبدالرحمن ، « دراسات في تاريخ العلوم عند العرب » ، الموصل ، ١٩٧٧ ، ص ٣٢٤ .

واستنبط محمد ابن احمد ابو الريحان الخوارزمي البيروني (ت : نحو ١٠٤٨م) جهازا دقيقا قاس به الكثافة النسبية لثمانية عشر نوعا من الاحجار الكريمة بوزنها في الهواء ثم غمرها في ماء في جهازه ووزن الماء الذي تزيحه من ثقب في مكان خاص في الجهاز ، وحساب النسبة بين الوزنين . وقد حقق دقة عظيمة في قياساته هذه حتى ان الخطأ لم يتجاوز اربعة أعشار الواحد بالمائة في قياسه لكثافة الذهب والرصاص مثلا ، ولم يتجاوز الواحد بالمائة في اكثر قياساته الاخرى . ويعدّ جهازه هذا أقدم مقياس لتعيين الكثافة النسبية للجوامد[١١] . وشرح في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) [١٢] بعض القواعد الاساسية في الهيدروستاتيك ، وطبق بعض الظواهر المتعلقة بضغط السوائل وتوازنها في الاواني المستطرقة ، وحركة مياه الآبار الارتوازية والمياه الجوفية[١٣] ، وكان يلجأ في بحوثه الى التجربة ويستند اليها في استنتاجاته[١٤] . فهو يتحدث مثلا عن موازنة السوائل في الاواني المستطرقة فيمثل لها بالسحّارة التي يدعوها بسارقة الماء ، كما كانت تسمى آنئذ ، ويقول[١٥] « . . اذا ملأتها ماء ووضعت كلا طرفيها في آنيتين سطح ما فيهما من الماء سطح واحد فان الذي فيهما من الماء يقف ولو دهراً لا ينصب الى احدى الانيتين لا نها ليست بأولى من الاخرى . . » ، ثم يقول « . . ثم اذا صيّر احد طرفيها في موضع اسفل قليلا سال اليه ما في الآنية ، وذلك انه لما سفل صار اقرب الى المركز ، فسال اليه ثم اتصل السيلان بتجاذب اجزاء الماء واتصالها الى ان يفنى مافي الآنية المجذوب ماؤها أو يوازي سطح ماء المسيل اليها سطح الماء المجذوب فتؤول المسألة الى

---

(١١) ينظر : ألدو مييلي ، « العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي » ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٤ — ١٩٦ . وينظر : حكمت نجيب ، ص ٣٠٨ — ٣١١ .

(١٢) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » لأبي الريحان محمد بن احمد البيروني ، ليبزك ، ١٩٢٣ .

(١٣) ينظر : ول دورانت ، « قصة الحضارة » ، الجزء الثاني من المجلد الرابع ، ترجمة محمد بدران ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٨٦ .

(١٤) ينظر : قدري حافظ طوقان ، « العلوم عند العرب » ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٦ .

(١٥) « الآثار الباقية » ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ . وانظر : حكمت نجيب عبدالرحمن ، ص ٢٨٦ .

الحالة الاولى . . » . وكان البيروني اول من ادرك بجلاء قاعدة الحركة النسبية ، خلافاً لتعاليم ارسطوطاليس وبطليموس التي كانت تؤكد ثبوت الارض في مركز الكون ، فتكلم على امكان تفسير الحقائق الفلكية بافتراض دوران الارض حول الشمس مرة كل عام ، وحول نفسها مرة كل يوم ، بمثل السهولة التي تفسر بها اذا افترضنا العكس[١٦] ، مع ان المؤرخين الغربيين يعزون الفضل في ذلك الى العالم الفرنسي أوريزم من علماء القرن الرابع عشر[١٧] . ويكون البيروني بذلك قد سبق كوبرنيكوس بفكرة دوران الارض حول الشمس بخمسة قرون .

ويعدّ كتاب (ميزان الحكمة) [١٨] الذي وضعه أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني المعروف بالخازن (ت : نحو ١١٥٥م) من اهم الكتب التي وضعت في الفيزياء القديمة والهيدروليك بوجه خاص[١٩] . وقد ضمنه معلومات قيمة جدا في الهيدروستاتيك فطور اجهزة قياس الكثافة النسبية ليقيس كثافة السوائل فضلا عن الجوامد ، ونشر بها جداول بدرجة عظيمة من الدقة[٢٠] . وتطرق في كتابه ايضاً الى طرق قياس الزمن ، ومراكز الأثقال ، ونظرية الروافع ، ومقاومة الموائع لحركة الاجسام العائمة والمغمورة ، التي بيّن انها تزداد بازدياد اللزوجة[٢١] . فهو يقول مثلا[٢٢] « .. اذا تحرك جسم ثقيل في اجسام رطبة — اي سائلة لزجة — فان حركته فيها بحسب رطوبتها فتكون حركته في الجسم الارطب — اي الاقل لزوجة — أسرع . . » . وتحدث عن

---

(١٦) وانظر : ول دورانت ، ج ٢ من مجلد ٤ ، ص ١٨٦ .

(١٧) ينظر : د. هنتر راوس و دّ. سايمن أنس ، « تاريخ الهيدروليك » ، الجزء الاول ، ترجمة الدكتور جميل الملائكة ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(١٨) « ميزان الحكمة » لعبد الرحمن الخازني ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩ هـ .

(١٩) ينظر : ول دورانت ، ج ٢ من مجلد ٤ ، ص ٣٥٧ . وينظر ايضاً : ألدو ميلي ، ص ٣٠٥ .

(٢٠) « ميزان الحكمة » ، ص ٥٨ ، ٥٩ . انظر : الدوميلي، ص ١٩٥ – ١٩٦ . وانظر : حكمت نجيب عبدالرحمن ، ص ٣٠٩ – ٣١١ .

(٢١) ينظر : ألدو ميلي ، ص ٣٠٥ . وينظر : طوقان ، « العلوم عند العرب» ، ص ٢١٣ .

(٢٢) ينظر : الدكتور احمد شوكت الشطي ، « مجموعة ابحاث عن تاريخ العلوم الطبيعية في الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي » ، دمشق ، ١٩٦٤ ، ص ١٣ .

الجذب العام وعن جاذبية الارض وكونها تجذب كل شيء نحو مركزها ، وتطرق الى الخاصية الشعرية والشدّ السطحي واسبابه[٢٣] ، واجرى دراسات على ضعط الهواء وعلى الفراغ فمهّد بذلك لاكتشاف توريتشللي لانبوبة قياس الضغط الجوي بعد خمسة قرون[٢٤] . وكان الخازني اول من اشار الى انطباق قانون القوة الدافعة على الاجسام المغمورة في الهواء والغازات مثل انطباقها في السوائل[٢٥] . وقد استنتج من ذلك ان للهواء وزنا ، وان وزن الجسم في الهواء هو أقل من وزنه الحقيقيّ بمقدار يعتمد على كثافة الهواء[٢٦] . وهو يقول في ذلك[٢٧] « . . الأجرام الثقال يعاوقها الهواء ، وهي بذواتها في الحقيقة اثقل من ثقلها الموجود في ذلك ، واذا نقلت الى هواء الطف كانت أثقل ، وعلى خلافه اذا نقلت الى هواء اكثف كانت أخفّ . . »

ووضع أوحد الزمان هبة الله ابو البركات احمد ابن ملكا البغدادي(ت : ١١٦٤م) في كتابه المشهور (المعتبر في الحكمة)[٢٨] المباديء الاساسيّة لقانوني القوة والحركة الثاني والثالث المنسوبين الى العالم الانكليزي نيوتن المتأخر عنه بستة قرون[٢٩] . فقد طور ابن ملكا الآراء والدراسات التي قام بها من قبله ببغداد في النصف الاول من القرن التاسع موسى ابن شاكر وبنوه محمد واحمد وحسن عن الحركة والجذب العام بين الاجسام[٣٠] ، وكذلك دراسات ابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي

(٢٣) ينظر : طوقان ، « العلوم عند العرب » ، ص ٤١ .
(٢٤) ينظر : طوقان ، « العلوم عند العرب » ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .
(٢٥) ينظر : الدكتور عبدالحليم منتصر ، « تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه » ، ط ١ ، مصر ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٤ ° وينظر : طوقان ، « العلوم عند العرب » ، ص ٢١٣ .
(٢٦) ينظر : طوقان ، « العلوم عند العرب » ، ص ٤٠ .
(٢٧) « ميزان الحكمة » ، المقالة الثامنة . وانظر : الشطي ، ص ١٤ .
(٢٨) « كتاب المعتبر في الحكمة » لأبي البركات بن ملكا البغدادي ، ط ١ ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٨ هـ ، ج ٢ .
(٢٩) ينظر : شوقي ، ص ٦٩ ، ٧١ . وانظر : ماجد عبدالله الشمس ، ص ٣٩ – ٤٠ .
(٣٠) ينظر : قدري حافظ طوقان ، « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٠ . وانظر : طوقان ، « العلوم عند العرب » ص ٣٩ . وانظر : منتصر ، ص ١٥٥ . وانظر : « الفهرست » لابن النديم ، مصر ، ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .

(ت : ٨٧٣ م) في الجذب والسقوط وشرحه للعلاقة بين جاذبية القمر والمدّ والجزر[٣١] ، وما بيّنه ابن سينا ، والبيروني ، والخازني في القوة والحركة ، وخلص من كل ذلك ، ومن تجاربه ودراساته الخاصة ، الى استنتاج فحوى قانون نيوتن الثالث الذي يشير الى ان لكل فعل ردّ فعل مساوياً له ومعاكساً له في الاتجاه . يقول ابن ملكا في ذلك[٣٢]

« . . ان الحلقة المتجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين في جذبها قوة مقاومة لقوة الآخر ، وليس اذا غلب أحدهما فجذبها نحوه تكون قد خلت من قوة جذب الآخر بل تلك القوة موجودة مقهورة ولولاها لما احتاج الآخر الى كل ذلك الجذب . . . » .

وفي معنى قانون نيوتن الثاني الذي ينصّ على تناسب القوة مع حاصل ضرب الكتلة في التعجيل يقول ابن ملكا[٣٣] « . . وكل حركة ففي زمان لا محالة ، فالقوة الأشدّ تحرك اسرع ، وفي زمان اقصر ، فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة ، فقصر الزمان فاذا لم تتناه الشدة لم تتناه السرعة ، وفي ذلك ان تصير الحركة في غير زمان واشدّ لان سلب الزمان في السرعة نهاية ما للشدّة . . » . ويتضح من اشارته الى ان «القوة الاشدّيّة تحرك أسرع »ارادته التعبير عن تناسب القوة مع التعجيل ، وهو يوضح معنى التعجيل مرة أخرى بعبارة سلب الزمان في السرعة التي يريد بها تغير السرعة مع الزمن[٣٤] . وهكذا نرى انه كان لابن ملكا فضل سبق نيوتن بستة قرون في وضع اساسيات قانوني نيوتن الثاني والثالث للحركة ، بعد ان وضع اخوان الصفا وابن سينا أسس قانونه الأول ، ويبقى لنيوتن ، ولستة قرون طويلة من التطور العلمي ، واسهامات لعلماء كثيرين بعد ابن ملكا

---

(٣١) ينظر : زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب » ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٣ . وينظر : الدو ميلي ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ، وانظر : منتصر ، ص ١٥٣ .

(٣٢) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ج ٢ ، ص ١٠٠ . وانظر : شوقي ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣٣) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ج ٢ ، ص ٩١ . وانظر : شوقي ، ص ٦٩ . وانظر : حكمت نجيب عبد الرحمن ، ص ٣٩ — ٤٠ .

(٣٤) ينظر : شوقي ، ص ٦٩ . وينظر : حكمت نجيب عبدالرحمن ، ص ٤٠ .

(٣٥) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ٢٨ . وانظر : زهير احمد القيسي ، الصناعة والميكانيك ، مجلة (العلم والتعليم) ، العدد ١٧ ، ١٩٧٧ ، تونس ، ص ٢٦ — ٣٣ ، وقد اشار السيد القيسي في مقاله هذا الى نصوص مهمة في مخطوط ابن ملكا في مكتبة السلطان احمد الثالث باسطنبول برقم ٢٢٢٢ .

في التجربة والتحليل العلمي ، فضل صياغة تلك القوانين بمنطوقها العلمي السهل المبسط كما قدمه نيوتن . هذا وقد ميّز ابن ملكا بين التحرّف الخطي linear deformation والحركة الدورانية rotary والانتقالية translatory ،وهو يقول في ذلك [٣٥] « . . والحركة تقال على وجوه فمنها الحركة المكانية وهي التي ينتقل بها المتحرك من مكان الى مكان ومنها الحركة الوضعية وهي التي تتبدل بها اوضاع المتحرك وتنتقل اجزاؤه في اجزاء مكانه ولا تخرجه عن مكانه كالدولاب والرحى ومنها حركة النمو والنقص يعظم بها المتحرك ويصغر . . » . ودلّل على التعجيل بمسير القطع المكافيء للقذائف،وهو يقول في ذلك[٣٦]« . . ويستدلّ على ذلك بالحجر المرميّ من عال . . كلما كان أبعد كان آخر حركته أسرع وقوة ميله أشدّ . . » . وتناول ، مثل معاصره الخازن ، موضوع تزايد مقاومة حركة الاجسام بازدياد لزوجة المائع وقلة السرعة تبعاً لذلك ، فهو يقول[٣٧] « . . فالأكثف يبطيء حركته اكثر والارقّ اقلّ كما تجده في حركة المتحرك في الماء والهواء فان حركته في الماء الذي هو اكثف من الهواء تحتاج الى قوة أقوى وتكون في زمان اطول من زمان حركته في الهواء . . » . وابن ملكا يكمل ما وضعه ابن سينا من اساسيات قانون نيوتن الأول ، فهو يقول[٣٨] « . . والقوة بنفسها لا تبطل ولا تفنى وانما يبطلها في الملاء مصادمة ما يلاقيها في مسافتها من معاوق بعد معاوق فيضعفها حتى تفنى ، وليس ذلك في الخلاء . . » ، فهو يشير بهذا الى الحركة الناتجة عن القوة المحركة ، ودليل ذلك قوله « ما يلاقيها في مسافتها » . وقوله « وليس ذلك في الخلاء » يشير الى أن حركة الجسم تستمر ولا تفنى في الخلاء ما لم يعاوقها معاوق . ويشير الى استقامة الحركة في موضع آخر بقوله[٣٩] « . . كل حركة طبيعية فعلى استقامة والمستديرة ليست بطبيعية . . » .وسبق ابن ملكا غاليليو بخمسة قرون في البتّ في تساوي

(٣٦) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ١٠١ . وانظر القيسي ، ص ٣٠ .
(٣٧) « كتاب المعتبر في الحكمة » ط ١ ، ج ٢ ، ص ٥١ . وانظر القيسي ، ص ٣١ .
(٣٨) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ٦٤ . وانظر القيسي ص ٣١ .
(٣٩) « كتاب المعتبر في الحكمة » ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

سرعة سقوط الأجسام الثقيلة والخفيفة والكبيرة والصغيرة في الخلاء الخالي ، فهو يقول[٤٠] « . . ولو تحركت الاجسام في الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحادّ والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة في السرعة والبطء . . » وليلاحظ القاريء أن الاوربيين كانوا يعتقدون حتى اثناء القرن الخامس عشر بان سرعة السقوط تتناسب مع وزن الجسم[٤١] .

وكان ابو العزّ اسماعيل **ابن الرزاز بديع الزمان الجزري** (ت : ١٢٠٥ م) ذا معرفة عظيمة بالكثير من مبادىء الهيدروليك فضلا عن كونه ذا قابليات فنية ولغوية متميزة[٤٢] فألف كتابه الجليل (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل)[٤٣] . الذي يدهش قارئه بمبلغ النمو الذي وصل اليه هذا العلم عند العرب في تلك الحقبة[٤٤] . وقد وصف ورسم فيه بتفنن ودقة وتفصيل آلات عملية مختلفة تشتغل جميعا بالماء والسوائل الاخرى والهواء،ومنها مضخات لرفع المياه من الآبار ، ودواليب مائية ، وساعات مائية معقدة ، ونافورات ، وزوارق ، وآلات اخرى ذاتية الحركة اكثرها من اختراعه . ومن ذلك على سبيل المثال[٤٥] ساعة معقدة ارتفاعها نحو ثلاثة امتار ونصف المتر ومقطعها

---

(٤٠) « كتاب المعتبر في الحكمة » ط ١ ، ج ٢ ، ص ٥٢ . وانظر القيسي ، ص ٣٠ – ٣١ .

(٤١) ينظر : راوس وأنس ، ص ٧٦ .

(٤٢) ينظر :

«The book of knowledge of ingenious mechanical devices ,By Ibn Razzaz al – Jazari , Translated by D. R. Hill, D. Reidel Publishing Co., Holland .

وانظر :

«Made for a Prince », Anthony Scott, Engineering, Vol. 214, No. 10, Oct. 1974, London, p. 820

وانظر : ماجد عبد الله الشمس ، « مقدمة لعلم الميكانيك في الحضارة العربية ، الجزء الاول ،بغداد، ١٩٧٧ .

(٤٣) « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » تصنيف ابي العز بن اسماعيل الجزري ، مخطوط بمكتبة توب قابي باسطنبول برقم ٣٤٧٢ . انظر صورة المخطوط ووصفه في كتاب ماجد عبدالله الشمس . وانظر D.R. Hill .

(٤٤) ينظر : الدو ميلي ، ص ٣٠٥ .

(٤٥) ينظر : Scott, p.820, 828 .

مربع ضلعه نحو ثلاثة امتار يعمل جميع اجزائها بالماء فتشتغل بمجرى من خزان ذي شحنة ضغط ثابتة يصله بحجرة العائمة انبوب بحنفية . وللساعة منظم متحرك يعدّل تلقائياً الجريان في حجرة العائمة لتصحيح الخطأ الناتج عن الاختلافات اليومية في بدء ساعات النهار عند شروق الشمس على مرّ ايام السنة . وفي الساعة قرص دائر يظهر منه الضوء ذاتيا من فتحة اضافية كل ساعة مرة بعد مرة . وتتحرك عربة عبر ستار فتفتح الابواب لدى مرورها . وينفتح ايضاً بعد انقضاء كل ساعة باب في الأعلى يظهر منه تمثال رجل واقف . ويقوم ايضاً تمثال بازي باسقاط كرات على صنجين للايذان بالوقت ، بينما يسقط الماء كل ست ساعات على دولاب مائي فيبدأ طبالان بالضرب على طبل ويعزف صنّاج عند الفتحة السفلى ويعزف ناي تشغله سحّارة ، ولعلّ هذا الوصف المبسط لهذه الساعة المائية المعقدة يوضح للقاريء مدى المهارة الفنية والمقدرة العلمية اللتين توفرتا لهذا العالم الذي لا نكاد نعرف اسمه في هذه الايام .

واشتهر قيصر ابن ابي القاسم بن عبدالغني بن مسافر الملقب بعلم الدين الحنفي (ت : ١٢٥١ م) بتطوير الدواليب المائية وتحسينها ، وقد انشأ عددا منها على نهر العاصي عند حماة[٤٦] ، ولا حظ الصليبيون بعضها فنقلوا فكرتها معهم الى المانيا[٤٧]

من كل هذا يتضح ان اسهام العرب في الهيدروليك ، كما هي الحال في غيره من العلوم ، لم يقتصر على محافظتهم على ما نقلوه منه عن اليونان من الضياع ، كما يدعي بعض المغرضين من المؤرخين الغربيين ، بل كان لهم باع طويل في تقدم هذا العلم وتطوره . ولقد حمل المغاربة الى الاندلس نماذج متطورة من الآلات الهيدروليكية الذاتية الحركة ، والساعات المائية[٤٨] ، واسهم عرب الاندلس انفسهم في تقدم الهيدروليك كثيراً في مراحل تأسيسه تلك ، ومن هناك انتقلت في الاكثر معرفة العرب العلمية الى اوروبا ليكون لها الاثا الفعال في رسم الخطوط الاساسية لعلم الهيدروليك وميكانيك الموائع ابان النهضة العلمية الحديثة .

جميل الملائكة

(٤٦) ينظر الدو ميلي ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ . وينظر راوس وأنس ، ص ٦٩ .
(٤٧) ينظر : ول دورانت ، ج ٢ من مجلد ٤ ، ص ٣٥٧ .
(٤٨) ينظر : راوس وأنس ، ص ٦٩ .

المنهج القرآني وصياغة المصطلحات

الدكتور كامل حسن عزيز البصير
عضو المجمع العلمي العراقي
عميد كلية الاداب / جامعة السليمانية

ـ القسم الاول ـ

اصبحت صياغة المصطلحات في أيامنا هذه ـ استجابة لمقتضيات حركة تعريب العلوم الصرفة والعلوم الانسانية ـ مسألة لغوية وعلمية وقومية : تحتم على الباحثين المكلفين بها اختيار المنهج القويم للنهوض بها على خير وجه . ونحن في هذا البحث نعرض المنهج القرآني الذي تتضح أسسه في ضوء طائفة من الالفاظ العربية التي اكتسبت مدلولات جديدة في آيات مباركات تناولت قضايا الدين الاسلامي الحنيف وموضوعات العقيدة المحمدية الشريفة ومشكلات حياة المسلمين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ومما نود بيانه بين يدي هذا العرض : أننا قد درسنا هذا المنهج بالتفصيل في رسالتنا التي نلنا بها شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية في كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، وهي رسالة لما تزل مخطوطة بعنوان (المجازات القرآنية ومناهج بحثها دراسة بلاغية نقدية). والملاحظ من هذا البيان أننا لم نعتمد كلمة المصطلحات في رسالتنا هذه للدلالة على تلك الألفاظ . وإنما استعملنا مصطلح المجاز الدلالي ، وهذا الاستعمال ـ كما سيظهر من بحثنا ـ يؤدي عن طبيعة المنهج القرآني في صياغة المصطلحات خير إداء إذ أنه يستند الى أسس هذا المنهج كما يستنير بخصائص اللغة العربية في طرق اتساع الفاظها للتعبير عن الحياة المتجددة .

المجاز الدلالي القراني :-

سعة اللغة العربية وضيقها عن موضوعات القرآن الكريم ، مفهوم المجاز الدلالي ، موقف الباحثين من المجاز الدلالي ودعوتنا الى دراسته .

* * *

ان من الباحثين من يتحمس للغة العربية ويعدد مزاياها بصورة مطلقة ، من هؤلاء الاستاذ محمد المبارك الذي اعلن بهذا الصدد قائلا : « واللغة العربية في تصويرها الوجود وتعبيرهاعن أجزائهوتصنيفها له الى أنواع وأجناس لم تقتصر على الحسيات كما تقتصر كل لغة في طورها الابتدائي ، فالاقتصار على الحسيات دليل على ابتدائية اللغة وعلى عجزها عن التجديد والتعبير عن المعنويات والمجردات»[1] .

وبدهي أن الدليل لا يعوز هؤلاء الباحثين ما داموا يجدون في اللغة العربية وفرة من الكلمات للامر الواحد[2] ، وما داموا يقعون في المعاجم على ظاهرة المثلثات التي هي ألفاظ وردت حروف منها على ثلاث حركات بمعان مختلفة[3] . ولكن أو اتسعت هذه اللغة لمعاني القرآن كما هي بلا نقل كلمات منها الى مدلولات مجازية ؟ .

تنعقد آراء العلماء على الاجابة عن هذا السؤال : أن كلا ، فهذه اللغة لم تتسع لمعاني القرآن الكريم وموضوعاته المتشعبة ، وانما كان المجاز هو سبيل اتساعها . ولما كانت الكلمات العربية في العصر الجاهلي التي انتقلت عن طريق المجاز الى معان جديدة مستقرة الدلالة في المعجم القرآني رأينا أن نعتبرها نوعا من المجاز اصطلحنا عليه (بالمجاز الدلالي القرآني) : باعتبار أن الغرض الرئيس من هذا النوع من المجاز هو منح هذه

(١) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك – الطبعة الثانية ١٩٦٤ م مطبعة دار الفكر الحديث – لبنان ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢) راجع كتاب المطر / البغلة في شذور اللغة ص ١٠٢ حيث وردت احدى عشرة كلمة للدلالة على درجات نزول المطر وتبيان حاله .

(٣) راجع شرح مثلثات قطرب / البلغة في شذور اللغة .

الكلمات مدلولات قرآنية في ميدان الشريعة مثل كلمات الكفر ، والزكاة ، والركوع ، والسجود ، والدين وما الى ذلك . لقد لاحظنا أن مباحث أجنبية تدرس مدلولات الألفاظ وفق قواعد « علم الدلالة ، أو علم المعنى ، أو علم السيمانتيك ، وهو فرع من فروع الدراسات التي تناولها بالبحث طوائف من العلماء تتباين اختصاصاتهم كالفلاسفة ، واللغويين وعلماء النفس ، والانثروبولوجيا ، والادباء ، والفنانين والاقتصاديين ، وعلماء الدراسات الطبيعية »[1] فلم نجد من الضير أن تمتد موضوعات المجاز لتشتمل على هذا العلم وتستوعب قضاياه اللغوية والفنية. والحقيقة أن عملنا هذا يصطدم بموقف معظم البلاغين وجل الأصوليين وطائفة من اللغويين من تلك الكلم القرآنية ، ذلك أن هؤلاء الباحثين الاسلاميين قد اعتبروا هذه الكلم حقائق شرعية. فقد حكى (ابن برهان) حول الاسماء الشرعية قوله : « اختلف العلماء في الأسامي هل نقلت من اللغة الى الشرع ؟ فذهبت الفقهاء والمعتزلة الى أن من الأسامي ما نقل كالصوم والصلاة والزكاة والحج (قال القاضي أبو بكر) الأسماء باقية على وضعها اللغوي غير منقولة[2] » .

وجاء الاستاذ (محمد المبارك) من المعاصرين ففلسف ذلك الموقف مقررا ؛ « أن هذه المعاني التي تتوالى على الكلمة الواحدة قد ينسخ الثاني منها الأول والتالي السابق كالبأس بمعنى الحرب والمسافة وأصلها السوف بمعنى الشم والحج بمعنى القصد . ويندر أن تستعمل هذه الالفاظ بغير معانيها الجديدة التي هي الشدة والبعد والحج الشرعي »[3] .

وكأننا بالاستاذ المبارك يعتبر المعاني السابقة لهذه الكلمات ميتة ، وبالتالي فليس هناك مجال لدراسة مدلولاتها الجديدة على هذه الكلمات ومثيلاتها ، ولكن تاريخها يدحض هذا الموقف وفلسفته ، ويؤكد أن مراحل حياة الكلمة وتقلب مدلولاتها من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة حقائق شاخصة لا يمكن تجاهلها ، ومن هنا فانها تمنح الباحث

---

(١) مناهج البحث في اللغة : ص ٢٤٠

(٢) المزهر في علوم اللغة : السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر مطبعة محمد علي صبيح / مصر . ج ١ / ص ١٧٤ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك / الطبعة الثانية ١٩٦٤م / مطبعة دار الفكر الحديث / لبنان ص ٢٠٨

ميدانا رحبا يستطيع أن يدرس فيه تلك الكلمات مجازات فيستنبط ما شاء الله استنباطه من القضايا اللغوية والشعورية والذوقية كما سنفعل ذلك . ولا نظن أن مذهبنا بدعة في الدراسة ، بل هو ثمرة لرأي لغوي يقرر ؛ أن « المجاز (metaphor) عامل رئيس في نمو اللغة »[1] . وقد آن لنا أن نخرج هذا الرأي من تأملات النظر الى حقل التطبيق والدراسة العلمية .

المجازات الدلالية القرآنية وأسس تطورها عن معانيها العربية : —

الارتباط بين المعنى الحقيقي والمدلول المجازي في اللفظة ، عمليتا : التصور والاستدعاء في الحدث اللغوي ، تفنن القرآن في اختيار الألفاظ العربية ، مسالك تطور مدلولات الألفاظ ، رفضنا هذه المسالك في الكشف عن أسرار المجاز الدلالي القرآني .

• • •

قلنا في المامتنا بالمجاز الدلالي — نوعا من انواع المجاز القرآني — إن المعنى الذي تنتقل عنه لفظة الى مدلول آخر لا يزول ولا ينسخ ، وانما تبقى له وشائجه التي ترتبط من خلالها بالمدلول الجديد الذي نصطلح عليه بالمدلول المجازي . ومما يدعم مقالتنا هذه ويثبتها حقيقة لا مراء فيها أن علماء عاملين في حقول التشريح وعلم النفس وعلم اللغة يتفقون على أن الكلام ليس شبحا يطوف بلسان المتكلم ثم يختفى عنه بل هو جزء من ملكته العقلية .

فقد اعلن (بروكا) عن نظرية بهذا الخصوص تقرر : أن مركز الكلام في التلفيف الثالث من ناحية الجبهة اليسرى في المخ ، وهذه النظرية قد تكون مثار أخذ ورد إلا أنها تكاد تكون بديهية من حيث كشفها عن محل الكلام الذي هو المخ[1] . والمخ عضوحيوي

(١) English prose style .by Herbert Read·G· Belland sons Itd., Iondon, 1956. p.31

(٢) راجع كتاب اللغة : ج . فندريس– ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص – مطبعة لجنة البيان العربي . ص ٣٧ — ٣٨ .

تجري فيه فعاليات العقل الذي يعتبره علماء النفس مجموعة الملكات والقدرات وليس جزءا ماديا من أجزاء الجسم .

ومما يتعلق ببحثنا من فعاليات العقل عمليتان : أولاهما : عملية التصور حيث تنقل الحواس المختلفة صور الأشياء الخارجية الى المخ ، فترتسم عليه كما ترتسم الصورة في المرآة ، غير أن الصورة تزول من المرآة بزوال الجسم الذي أحدثها ، أما الصورة العقلية فيمكن أن تظل بعد زوال الجسم كما يمكن أن تختزنها وتستوعبها فيما بعد عند اللزوم . وثانيتهما : عملية الاستدعاء إذ يمكن استدعاء الصورة المختزنة في المخ بتعريض الحواس للشيء مرة أخرى ، وهنا يستدعي العقل الصورة القديمة ويطابقها بالصورة التي أمامه فيدرك أن الصورتين لأمر واحد ، أو بعبارة أخرى تحدث عملية تذكر . ويمكن استدعاء الصورة المختزنة بوسيلة أخرى وهي أن تعرض للحواس شيئاً آخر له ارتباط بالشيء صاحب الصورة[1] .

ان الدكتور عبدالرحمن أيوب قد درس الرمز اللغوي في ضوء هاتين العمليتين فقال : « والرمز اللغوي هو صورة ذهنية ذات جانبين : أحدهما تصور اللفظ ، والثاني تصور الشيء الذي يشير اليه اللفظ ، فمثلا يستطيع كل منا أن يتمثل في ذهنه الاصوات التي تدل على المادة المعينة التي تسمى (حجر) كما يستطيع أن يتمثل هذه المادة ذاتها . وبمجرد تمام اكتساب الرمز اللغوي عند الشخص يستطيع تصور هذه المادة كلما ذكر اللفظ الدال عليها كما يستطيع أن يتصور اللفظ إذا ما رأى المادة . وعملية التداعي هذه – أي تداعي صو رة اللفظ وصورة المعنى – هي التي تمكن من عملية التفاهم بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، فمجرد أن ينطق المتكلم باللفظ يدعو الى ذهن السامع صورة مدلولة ويكون ادراكه لما يقول المتكلم مثيرا يدفعه الى الرد أي الى النطق بألفاظ تستدعي لدى الشخص الأول مدلولاتها »[1] .

---

(١) واجع كتاب محاضرات في اللغة : الدكتور عبد الرحمن أيوب – مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦ م . ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١) محاضرات في اللغة . الدكتور عبد الرحمن أيوب – مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦ م . ص ٣١ – ٣٢ .

وما يذهب اليه الدكتور عبدالرحمن ايوب في تطبيق نتائج علم النفس وما اليه من العلوم الانسانية والطبيعية على دراسة رموز اللغة حق لا شك فيه ، وقد رأينا أن نتوسع في هذا الميدان ، فنرى : أن عمليتي التصور والاستدعاء العقليتين ليستا حدثين آليين مادام عقل الانسان مسرحهما : فالانسان السوى ليس حديدا يطرق فيرن حسب ، بل هو كائن حيوي مدرك يتقبل التأثيرات ويتصرف فيها ، وعلى هذا فهو عندما يسمع لفظة لا يتذكر مدلولها مجردا ، وانما إذا سمع لفظة يفتح باب مخزونها من المعاني فتتداعى هذه المعاني وبموازنة خاطفة يستقر ذهنه على المعنى الذي ترمز اليه اللفظة في التعبير الذي وردت فيه .

ان العقل العربي الجاهلي الذي خاطبه القرآن الكريم كان يختزن معاني لهذا اللفظ أو ذاك من الألفاظ العربية التي نزلت بها آي الذكر الحكيم ، ولما كانت طائفة من هذه الألفاظ قد وردت في آيات قرآنية بمدلولات مجازية جديدة لم يكن للعقل العربي بها من عهد وثيق ، فان عملية استدعاء معانيها واثارة مدلولاتها القديمة كانت حدثا ذا مغزى كبير يخالف عملية استدعاء هذه المعاني في حالة ثبوت الألفاظ عليها وتحجرها فيها. وعندنا أن القرآن الكريم قد اتخذ من هذه العملية منهجا للتأثير العميق في عقل الانسان العربي وشعوره ، فتفنن في اختيار الالفاظ العربية التي شاعت بمعانيها في الجزيرة العربية ، فحولها الى مدلولات مجازية تثير حروفها معانيها القديمة ، فيروح معها الانسان العربي مستجيبا لها متفاعلا معها .

وقد دعانا هذا الرأى الى التأمل في الطرق التي رسمها علماء اللغة لتطور الألفاظ من معانيها القديمة الاصلية الى مدلولات جديدة مجازية . فقد حدثنا الاستاذ محمد المبارك عن هذه الطرق قائلا : إن « الألفاظ تسلك في تبديل معانيها احدى الطرائق الآتية وهي مطردة في جميع اللغات وليست خاصة بواحدة منها : —

١— التعميم : ويكون ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه الى معنى أعم وأشمل كلفظ الورد والورود واصله اتيان الماء ثم استعمل لاتيان كل شيء . . . .

٢ – التخصيص : وذلك بقصر اللفظ العام على بعض أفراده وتضييق شموله ، ومثال ذلك لفظ الحج واصله القصد مطلقا ثم خص بقصد البيت الحرام . . .

٣ – الانتقال بسبب المشابهة أو المجاورة ، ويكون بانتقال اللفظ من معناه الى معنى مشابه له أو قريب منه أو بينه وبينه مناسبة »[١]

فهذه ثلاث طرق ينص عليها الاستاذ المبارك مسالك لتطور الكلمات من معان الى معان ، ومما لا ريب فيه أن تحديدها على ذلك النحو يذكر أمثلة مجردة لا يبين شيئا ذا غنى ، اذ انه يشير الى التطور الآلي الخالي من مسائل النفس والذوق والشعور لتطور الكلمات . . وبدهي أن هذه الطرق قد برزت في مصنفات القدامى مجسدة في شواهد تفصيلية ، ويبدو من كلام الاستاذ المبارك أن الباحثين المعاصرين في لغات غير اللغةالعربية قد أخذوا بهاتيك الطرق ورصوا فيها الكلمات التي تطورت من مدلول الى مدلول .

والسؤال الذي أثمره تأملنا يستفسرها هنا قائلا : أو سارت المجازات القرآنية الدلالية على هذه الطرق فقط مؤدية عن معانيها الاسلامية الجديدة أم أنها قد اعتمدت أسسا منهجية دقيقة في اكتساب مدلولاتها ؟ . أو بعبارة أخرى هل تكشف لنا هذه الطرق – اذا سلكناها – عن الاسرار التي تكمن في اكتساب ألفاظ عربية لمدلولات مجازية جديدة في آى الذكر الحكيم ؟ .

نحن نعتقد في ضوء الاستقراء ان تلك الطرق وحدها خاصة بتطور ألفاظ غير قرآنية سلكها هذا الانسان أو ذاك أو هذه الفئة البشرية أو تلك في تطوير مجموعة من الفاظ لغة المجتمع اكتسبت مدلولات جديدة لا يقبلها الذوق في الأغلب الأعم ، فكلمة (ماريشال) كانت تعنى خادم الاصطبل ثم تطورت في لغات اوربية لتدل اصطلاحاً

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك – الطبعة الثانية ١٩٦٤ م مطبعة دار الفكر الحديث لبنان ص ٢١٨ .

على رتبة عسكرية . وكلمة(الفنان) تدل في العربية على اسم من اسماء الحمار الوحشي[1] ثم انتقلت لتصبح صفة اصطلاحية لشخص مخصوص ، ولفظة (الدائرة) اسم فاعل في الاصل من دار يدور ثم اصطلح عليها مبسمى مجازيا لأماكن حكومية تقضى فيها شؤون الناس. فأي ذوق يطمئن الى المدلول الاصطلاحي لكلمة (الماريشال) ؟ وأي شخص يرتضي لفظ (الفنان) الاصطلاحي صفة له ؟! ، وما عسى أن تبشر به كلمة (الدائرة) من قضاء حاجات الناس بين جدرانها ما دامت توحي باللف والدوران ؟ ! .

ان هذه النماذج من المصطلحات قد تطورت عن معانيها السابقة بواحد من تلك الطرق فأستوت على ما هي عليه ثقلا ومجاجة وضيقا ، أما المجازات القرآنية الدلالية فقد نجمت عن أسس منهجية فنية لا ينبغي أن نلتمس جذورها في ضوء غير هذه الاسس التي وضعنا اليد في دراستنا لآي الذكر الحكيم على أربعة منها هي : الاساس النفسي والاساس الحسي والاساس البيئي والاساس الحيوي .

الأساس النفسي :

أثره ، مدلولات كلمة (الركوع) في العقل الجاهلي ، مدلول كلمة (راكع) في الطور الثاني المكي وأثره في النفس العربية ، مشتقات من مادة (الركوع) في سورة البقرة ، كلمتا (اركع) و (الراكعين) في الطور المدني الثاني ، المدلول المجازي للركوع وسور في الطور الثالث المدني ، ترسخ هذا المدلول في الشرع .

* * *

نزل القرآن الكريم بين ظهراني العرب ، ومنهم قبائل متنابذة متخاصمة يعيش الفرد من ابنائها اما ذليلا بين يدي غير الله تعالى من المعبودات ، واما متكبرا على سواه من أخوانه ، فكان في الحالين مثال الانسان العاجز في قدراته المريض في نفسيته يعبث به الخوف والقلق ، ويشده التكبر والصلف ، فشاءت ارادة الله جل وعلا أن تحرر هذا

---

(١) الفنان (كشداد الحمار الوحش) الذي (له فنون من العدو) راجع لسان العرب ابن منظور أبو الفضل بن مكرم – دار الفكر بيروت ج ١٧ ص ٢٠٤ .
وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٣ .

الفرد مما هو فيه فكانت مجازات دلالية من آي الذكر الحكيم دواءه ، وذلك باعتمادها اساسا نفسيا انطلقت منه لتضمد مشاعره وتعالج ما يعاني منه .

من هذه المجازات كلمة (ركع) ، فما هي مدلولات مادة هذه الكلمة قبل نزول الوحي ؟ . ذكر ابو عبيدة ان الراكع « العاثر من الدواب »[1] .

ونقل الزمخشري قائلا : « ويقال : شيخ راكع : منحن من الكبر . . . وركع الرجل : انحطت حاله وافتقر ـ قال :

لا تهن الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه »[2]

وروى ابن منظور قائلا : « وكانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكعا إذا لم يعبد الأوثان . وتقول : ركع الى الله .

ومنه قول الشاعر :

الى ربه رب البرية راكع »[3] .

ان مادة ركع ـ كما تنبض بها هذه النصوص ـ تجري على مدلول عام : هو الضعف والذلة متجهة اربعة اتجاهات : ـ

اولها : الانكباب على الوجه . وثانيها : انحناء الظهر كبرا . وثالثها : الافتقار بعد غنى . ورابعها : التوجه الى الرب والابتعاد عن عبادة سواه .

ولو جئنا الى آي الذكر الحكيم نلتمس فيها مدلولات مادة ركع وجدنا : أن صيغة اسم الفاعل راكع قد وردت منها في قوله تعالى : « وظن داود أنما فَتَنَّاه فاستغفر رَبّه وخَرَّ راكعا وأناب »[4] من سورة (ص) التي ترجع في تاريخها الى الطور الثاني

---

(١) مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي – الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م – مطبعة الخانجي – مصر . ج ١ / ص ٥٤

(٢) اساس البلاغة ، الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٢٤١هـ – ١٩٢٣ م . ص ٣٦٨ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور أبو الفضل بن مكرم – دار الفكر بيروت ج ١٨ / ص ١٥٣ .

(٤) سورة ص / الآية ٢٤ .

من الوحي المكي في الهجرة الى الحبشة في نحو السنة السابعة حتى الاسراء قبل الهجرة الى المدينة بسنة .

وهذه الآية الكريمة تحكي قصة النبي داود مع ملكين جاءاه ليذكراه بما كان بينه وبين امرأة (أوريا) وطمعه فيها رغم ما كان في بيته من نسائه ، فعلم انه كان مفتونا ، وأنه عندما قال : لأحد الملكين اللذين كان يملك تسعا وتسعين نعجة ، وأراد أن يأخذ نعجة خليطه ليتمم نعاجه مائة : « ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا ، وأشار الى طرف الأنف والجبهة »[١] ، فقال له الملك : « يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا ، وأنت فعلت كيت وكيت ، ثم نظر داود فلم ير أحدا ، فعرف ما وقع فيه »[٢] .
واذ كانت هذه ظروف الآية فما هو مدلول الراكع فيها ؟ .

ان المفسرين يرون ان راكعا في هذه الآية بمعنى « ساجد »[٣] .

وعلل الزمخشري لهذا المعنى قائلا : « وعبر بالراكع عن الساجد ، لأنه ينحني ويخضع كالساجد . . . وعن الحسن : لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع »[٤] .

ويبدو أن الزمخشري لم يطمئن الى تحليله وتعليل الحسن ، فاستطرد قائلاً : « ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى : وخر للسجود راكعا أي مصليا : لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة »[٥] .

أخذ الامام أبو حنيفة وأصحابه بهذا التفسير الاسلامي لكلمة (الراكع) واستشهدوا به « في سجدة التلاوة ، على أن الركوع يقوم مقام السجود »[٦] ، بيد أن تاريخ الآية وما تحكيه من قصة النبي داود (ع) يدعونا الى ان نتساءل عن مدى صحة هذا التفسير :

---

(١) تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر – طبعه بيروت . م٤ / ص ٨٧ .
(٢) تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر – طبعة بيروت . م٤ / ص ٨٧ .
(٣) تفسير الجلالين . ص ٣٨٢ .
(٤) تفسير الكشاف ، الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر – طبعة بيروت ، م٤ / ص ٨٨ .
(٥) تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر . طبعة بيروت : م٤ / ص ٨٨ .
(٦) تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر . طبعة بيروت . م٤ / ص ٨٨ .

أهو يطابق مدلول الكلمة في آيتها أم هو ثمرة للمدلول المجازي الاسلامي في مادة الركوع ؟ .

ان البديهية التي لا نزاع فيها : أننا لا نستطيع أن نقرر ان النبي داود (ع) كان يصلي بالحركات التي يؤدي بها المسلمون فريضة الصلاة حتى نرى ان الراكع قد جاء بمعنى الساجد الاسلامي ، وآية ذلك أن الرواة يحدثوننا عن النبي داود (ع) راكعا قائلين : « أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه »[1] .

فهل حاله هذه حال الساجد بمدلوله الاسلامي ؟ .

نحن لا نظن ذلك ، ولعل الدليل الذي يصير ظننا هذا يقينا ان هذه الآية ترجع في تاريخ سورتها الى ما قبل الاسراء ، ولما كنا نعلم أن الصلاة فريضة يؤديها المسلمون باقوال وأفعال مخصوصة لم تفرض إلا ليلة الاسراء أي بعد تاريخ نزول سورة (ص) ، فنحن نرى أن الراكع في هذه الآية جاءت بمعنى المنكب على وجهه ضعفا وانهيارا بقرينة هي أن هذه الكلمة جاءت حالا لفاعل الفعل (خر) .

واذا كان هذا المدلول يقرب من الحق ، فلنا أن نرى أن القرآن الكريم قد ثبت في نفوس العرب أحد مدلولات مادة (الركوع) المعروفة لديهم ليهيىء به منبت المدلول المجازي لهذه المادة .

لم ترد مادة (الركوع) في آي السور المكية غير هذه الآية ، ولما كانت الصلاة قد فرضت بمكة ، وان مادة (الركوع) كانت مصدر تصوير حركات ركن من أركانها فليس لنا إلا أن نعتقد : أن مشتقات هذه المادة الاسلامية : ركع ، ركعة ، راكع قد جرت على لسان النبي محمد (ص) ، وهو يعلم المسلمين حركات الصلاة . وعلى هذا كله فان ورود كلمة الراكع في القرآن الكريم بذلك المدلول قد أشعر المسلمين

---

(١) تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر . طبعة بيروت . م٤ / ص ٨٨ .

بضعفهم وذلتهم بين يدي الله تعالى ، وهم يركعون في صلواتهم . ومما يقوّى هذا الشعور فعل الركوع وحركته ، فاذا العربي المتكبر قبل اسلامه المتجبر في جاهليته يركع لله تعالى ويقول: انني أركع ،فتثير هذه الكلمة في عقله مخزون مدلولاتها الجاهلية ،فيتصور انه ضعيف منكب على وجهه منحني الظهر يتوجه إلى الله ،ثم يبين له رسول الله مدلول الركوع حركة من حركات الصلاة ، فيهش اليه ويستقر عليه مطهراً نفسه من شوائب الغرور والاعتداد بالذات . إذا ودعنا السور المكية ووقفنا بين يدي السور المدنية في الصور الاول من تاريخها من الهجرة حتى غزوة بدر سنة اثنتين للهجرة وجدنا أن كلمات (أركعوا) و (راكعين) ، و (الركع) من مادة ركع وردت في آيتين من سورة البقرة : أولاهما : قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين »[1] .

وثانيتهما : قوله تعالى : « وعَهِدنا الى ابراهيمُ واسمعيلَ أن طَهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُكّع السُّجود »[2] .

فما مدلولات هذه الكلمات ؟ .

يبدو أن المفسرين قد حاروا في الكشف عن معنى كلمتي اركعوا والراكعين في الآية الاولى ، وصور لنا الزمخشري هذه الحيرة مفسرا الآية بقوله ؛ « وأقيموا الصلاة» : يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم « واركعوا مع الراكعين » منهم ، لان اليهود لا ركوع في صلاتهم . وقيل (الركوع) الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله . ويجوز أن يراد بالركوع : الصلاة ، كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمرا بان يصلى مع المصلين يعنى في الجماعة ، كأنه قيل ؛ واقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين ، لا منفردين »[3] فهذه ثلاثة مدلولات يسوقها الزمخشري لكلمة اركعوا والراكعين : أولها : هذه الحركة المخصوصة في صلاة المسلمين ، وثانيها : المدلول العربي للكلمتين قبل نزول الوحي

---

(1) سورة البقرة / الآية ٤٣ .

(2) سورة البقرة / الآية ١٢٥ .

(3) تفسير الكشاف ـ: الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت . م ١ / ١٣٣ .

، وثالثها : الصلاة ة فريضة بأقوال وأفعال مخصوصة باعتبار اقامة الجزء مقام الكل .

ولو أردنا أن ننتخب أحد هذه المدلولات ، لما كان لنا إلا أن نعتمد الترجيح الذي لا يغنى عن اليقين فتيلا ، وترجيحنا : أن الكلمتين (اركعوا) و (الراكعين) تستمدان من المدلول المجازي الاسلامي لمادة الركوع ، فهما تدلان عندنا على الحركة المخصوصة في الشرع ، على أن تكون دلالتهما مشعة بظلال من مدلولات المادة العربية : فلا تفيد كلمة اركعوا أمرا بأداء حركة الركوع الآلية ، ولا تصور كلمة (الراكعين) جماعة المسلمين ملبين هذا الامر ، وانما يفيد الأمر طلب حركة مخصوصة مع خضوع وانقياد وذلة .

وتصور كلمة الراكعين جماعة المسلمين ملبين ذلك الامر في خضوع وانقياد وذلة بين يدي الله تعالى خالقهم وخالق كل شيء . والدليل الذي يستمد منه ترجيحنا هو أن كلمتي اركعوا والراكعين قد جاءتا بعد الأمر باقامة الصلاة مخصصتين اياه جريا على اسلوب القرآن الكريم في مواضع كثيرة بذكر الخاص بعد العام تمييزا لهذا الخاص وتنويها به وتنبيها على أن الركوع من اركان فريضة الصلاة التي ليست في حقيقتها مجموعة أقوال وأفعال حسب ، بل هي مع ذلك كله تطهير للنفس مما يجعل الانسان مغرورا متكبرا .

اما كلمة (الركع) في الآية الثانية فشأنها لم يخل من الغموض والالتباس في أذهان المفسرين ، فمنهم من قال : « الركع » السجود : جمع راكع وساجد المصلين »[(١)]

ومنهم من زعم أن المعنى ؛ « للطائفين والمصلين ، لأن القيام والركوع والسجود هيآت المصلى[(٢)] » .

ولسنا ندرى لماذا يكون مدلول الركع صفة للأحناف الذين كانوا في دين ابراهيم (ع) وكانت العرب تسمى واحدهم وهو الحنيف راكعا ؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجزم

---

(١) تفسير الجلالين ص ١٨ .

(٢) تفسير الكشاف ، الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م ١ / ص ١٨٥ .

فيه ، وان كان تاريخ ما تحكى عنه الآية يخلع عليه شيئا من التقرير .

ان كلمتي (اركع) و (الراكعين) قد وردتا في سورة آل عمران التي ترجع في تاريخها الى الطور الثاني من أطوار الوحي المدني من غزوة بدر حتى صلح الحديبية في السنة السادسة ، وذلك في قوله تعالى مخاطبا مريم : « يا مريمِ اقْنُتي لربِّكِ واسْجُدى واركَعِي مع الراكعين »[1] . وتشعبت الآراء في الكشف عن مدلولهما . فحكى الزمخشري في تفسيرهما قائلا : « أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود ، لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها : ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى : ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة ، أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم . ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع ، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع »[2] .

وفي راينا أن ما يحكيه الزمخشري هو ارجاع للتاريخ الى الوراء وسحب للحاضر على الماضي ، اذ يعطى مدلول (اركع) و (الراكعين) كما لو كان المخاطب بهما في ايام فريضة الصلاة الاسلامية ، ومن هنا فان هاتين الكلمتين – على ما نظن – لا تدلان الا على مجرد الخضوع والانقياد لله تعالى دون مايصاحب ذلك من حركة مخصوصة ينهض بها المسلم المخاطب بهما .

وردت الركوع في سور الطور الثالث من الوحي المدني من صلح الحديبية الى غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة أربع مرات : اثنتان منها في سورة الحج في قوله تعالى : « وطَهِّرْ بيتي للطائفين والقائمين والرُّكَّعِ السُّجُودِ »[3] .

وعندنا أن كلمة الركع قد وردت في هذه الآية بالمدلول الذي ورد في سورة البقرة ، فالأرجح أن (الركع) هنا صفة خلعتها العرب على الاحناف الراغبين عن عبادة الأوثان .

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٤٣ .

(٢) تفسير الكشاف ، الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م ١ / ص ٣٦٢ .

(٣) سورة الحج / الآية ٢٦

وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسْجُدوا واعْبُدوا ربّكم »[١] .

كان المسلمون هم المخاطبون بالفعل اركعوا ، لذلك فليس لنا الا أن نحدد مدلوله بطلب اداء حركة الركوع في فريضة الصلاة ، ولا بأس أن نستأنس في الوقت نفسه بآراء ساقها الزمخشري في الكشف عنه قائلا : « دعا المؤمنين أولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ، ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ، ثم عمّ بالبحث على سائر الخيرات . وقيل : كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود ، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود »[٢] .

فهذه الآراء تفترض ان الفعل اركعوا قد جاء في الآية بمعنى صلوا من قبيل اقامة الجزء مقام الكل ، كما تفترض ان المسلمين كانوا في الفترة الممتدة بين صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة حتى غزوة تبوك في السنة التاسعة يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع ، وهذان الفرضان لا يعتمدان – بلا ريب – دليلا من المنطق أو التاريخ » .

أما المرة الثالثة فقد وردت كلمة الركع منها في قوله تعالى : « محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداءُ على الكفار رُحَماءُ بينهم تراهم رُكّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورِضوانا »[٣] .

ولما كانت هذه الكلمة في صفة المسلمين المؤمنين فلا ريب انها جاءت مجازا دلاليا يؤدي عن حركة مخصوصة ينهض بها القوم في الصلوات . ولعلنا نلاحظ ان كلمة الركع تأتي في هذه الآية الكريمة لأول مرة بمدلولها المجازي التشريعي بعد آيتي سورة البقرة والحج في وصف الأحناف الذين كانوا على دين ابراهيم (ع) .

ويتكرر هذا المدلول الاسلامي في كلمة (الراكعون) التي وردت في قوله تعالى : « الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاةَ وهم راكعون »[٤] .

---

(١) سورة الحج / الآية ٧٧ .
(٢) تفسير الكشاف ، الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م ٣ / ص ١٧٢ .
(٣) سورة الفتح / الآية ٢٩ .
(٤) سورة المائدة / الآية ٥٥ .

ووجه تخريج مدلول (الراكعون) على انه صفة للذين يؤدون حركة مخصوصة أثناء الصلاة – أن هذه الآية « نزلت في على (كرم الله وجهه) حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا[١] في خنصره »[٢] .

ونستقبل سور الطور الرابع من الوحى المدني من غزوة تبوك الى موت النبي (ص) في السنة العاشرة ، فنصادف مادة ركع مرة واحدة في قوله تعالى يصف المؤمنين : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون »[٣] .

من المفسرين من يسكت عن تبيان مدلول (الراكعون) في هذه الآية[٤] ، ومنهم من يرى ان (الراكعون) بمعنى « الساجدون أي المصلون[٥] . وكأننا بهم ينزلون الكلمة الدالة على حركة في الصلاة منزلة الصلاة كلها حركات وأقوالاً ، ولكن ما الموجب لهذا ؟ ألم تأت في هذه الآية كلمة (العابدون) والعابد المؤمن يصلي ولا ريب ؟ .

نعم لقد وردت فيها هذه الكلمة العامة التي تشتمل على الصلاة وغير الصلاة من العبادات ، ومن هنا فكلمة (الراكعون) تدل عندنا في الآية على معناها المجازي التشريعي ، وقد خصت بالذكر ، لما لها من منزلة بين اركان فريضة الصلاة .

وعلى هذا فاننا نستطيع ان نستخلص مما تقدم كله : أن مادة (الركوع) ظلت تحتفظ في آي الذكر الحكيم بظلال مدلولاتها العربية ناهضة بالتأثير في نفس العربي ليشعر أنه ضعيف ذليل بين يدي الله تعالى أثناء فريضة الصلاة ، وأن مدلولها المجازي لم يتخذ أبعاده المقررة في الشرع الا في مرحلة من مراحل الطور الثالث من الوحى المدني بين السنة السادسة للهجرة والسنة التاسعة للهجرة ، وأن هذا المدلول المجازي قد ترسخ في أذهان المسلمين قبل هذه الفترة على يد الرسول الكريم مبلغا الوحي وشارحا الكلمات التي تحمل الى اللغة العربية مدلولات مجازية يقتضيها الدين الاسلامي .

---

(١) قوله كانه كان مرجا أي قلقا غير ثابت . تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م ١ / ص ٦٤٩ .
(٢) الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م ١ / ص ٦٤٩ .
(٣) سورة التوبة / الآية ١١٢ .
(٤) راجع تفسير الكشاف : الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر طبعة بيروت م٢ / ص ٣١٤ .
(٥) تفسير الجلالين ص ١٦٧ .

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان
فاتح شطر بلاد الروم

نسبه وايامه الأولى

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

هو عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك بن مَروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الأُمَوِي[1] .

أبوه : أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحَكَم ، أعظم خلفاء بني أُمَيّة فتحاً ، وأكثرهم جهادا .

وأمّه : أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان بن الحكم[2] ، فهو أُمَوِيّ من جهة الأب ومن جهة الأم أيضاً .

نشأ وترعرع في أحضان البيت المالك : أبوه خليفة ، وجدّه خليفة ، وجدّ أبيه خليفة ، وأهل بيته خلفاء وأمراء وقادة وولاة .

وعاش أيامه الأولى في العصر الذهبيّ للأمويين : أيام استعادة (الوحدة) والاستقرار للدولة الأسلاميّة ، التي استعادها عبدالملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين الهجرية[2] (٦٩٢م)بعد فتن واضطرابات داخلية طاحنة وضع حداً لها بما عرف عنه من كفاية عالية وحنكة ودهاء[3] .

وقد كان عبدالملك بن مروان يدفع الأتاوة لأمبراطور الرُوم في(القُسْطَنْطِيْنِيّة) منذ توليه الخلافة حتى استعاد (الوحدة)[4] ، فانطلق الفتح الأسلامي بعد سنة

---

(١) انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) وتهذيب الأسماء اللغات (٢٠٩/١) وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ — ١٠٥) وفوات الوفيات (٣١/٢) وقادة فتح المغرب العربي (٩٥/٢) .

(٢) الطبري (٤٩٦/٦) والعيون والحدائق (١٢) .

(٣) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١١٣/٢ — ١١٤) .

(٤) ابن خلدون (١٥٣/٣ — ١٥٤) .

(الوحدة) حتى توفي عبدالملك بن مروان سنة ست وثمانين الهجرية[1] (٧٠٥ م) ، فاستأنف هذا الفتح الوليد بن عبدالملك الذي فتحت في أيامه فتوحات عظيمة[2] ، فكانت أيامه في الفتح كأيام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه انطلاقاً وسرعة وضخامة .

وفي هذا المناخ الذي يتّسم بالاستقرار والفتح ، نشأ عبدالله وترعرع ، في ظروف ملائمة لاستكمال مزاياه الشخصيّة بالعلم والتدريب .

وكان التعليم النظرى لاستيعاب العلوم المتيسِّرة السّائدة ميسوراً حينذاك ليس لبني أميّة وحدهم ، بل لسائر النّاس ، وربما يكون الفرق الوحيد بيَن تعليم أبناء الخلفاء وغيرهم من المسلمين ، هو أنّ أبناء الخلفاء يتلقّون العلم على أساطين العلماء وجهابذة الشيوخ ، فقد استقدم الوليد بن عبدالملك صالح بن كَيْسَان وضّمه الى ابنه عبدالعزيز ليؤدبه ويعلّمه[3] ، وصالح هذا أحد الثقاة العلماء[4] ، وكان جامعاً من الحديث والفقه والمروءة[5] ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، وقد استقدمه الوليد بن عبدالملك من (المدينة) المنورة خصِّيصاً لابنه عبدالعزيز[6] .

وقد نشأ عبدالعزيز في (دمشق) عاصمة الخلافة ، ليتعلّم القرآن وعلومه ، وكان أبوه شديد الاهتمام بحفظ القرآن وتلاوته : يبرّ حملة القرآن ويكرمهم ويحمل عنهم ديونهم[7] ، ويختم القرآن كثيراً في رمضان وفي سائر الأيام[8] ، ويشجِّع الناس على حفظه[9] ، فلا عجب أن يهتمّ اهتماماً بالغاً بتعليم ابنه عبدالعزيز القرآن وعلومه على أبرع العلماء كما درس عبدالعزيز الحديث النبوي الشّريف وعلومه ، وتعلّم التاريخ والسِّيَر وأيام العرب قبل الأسلام وبعده ، وأتقن علوم اللغة العربية صَرْفاً

---

(١) تاريخ بغداد (٢٩١/١٠) وتاريخ الخميس (٣١١/٢) والعبر (١٠٢/١) وشذرات الذهب(٩٧/١) .
(٢) الطبري (٤٩٦/٦) وابن الأثير (٩/٥) وابن خلدون (١٤٨/٣) والبداية والنهاية (١٦٤/٩) .
(٣) المحبر (٤٧٧) .
(٤) ميزان الاعتدال للذهبي (٤٥٩/١) .
(٥) تهذيب التهذيب (٣٩٩/٤) .
(٦) المحبر (٤٧٧) .
(٧) البداية والنهاية (١٦٥/٩) .
(٨) البداية والنهاية (١٦٢/٩) .
(٩) الطبري (٤٩٦/٦) .

ونحواً وبلاغة وبياناً وشعراً ونثراً ، كما تعلّم فنون الأدب في مجال الشعر والنثر ، وحفظ نماذج من نتاج الخطباء والأدباء والشّعراء ، ولم يغفل الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

وكان الخلفاء في تلك الأيام ، يعتبرون اللّحن في اللغة عيباً من أشنع العيوب ، كما كانوا يهتمون بحفظ القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث الشريف وحفظ ما تيسّر منه ، كما كانوا يروون البليغ من كلام العرب شعراً ونثراً ، ويبذلون غاية جهودهم لتعليم أولادهم ومَن يلوذ بهم هذه العلوم والآداب والفنون .

وكما كان الخلفاء يحرصون على تعليم أولادهم العلوم المختلفة والآداب والفنون ، كانوا يحرصون أيضاً على تعليم أولادهم العلوم العسكرية العمليّة والنظرية .

وقد تعلّم عبدالعزيز العلوم العسكرية النظرية : إقامة المعسكرات ، تنظيم المعسكر ، اختيار مناطق التعسكر وشروط المعسكر الجيّد ، فنون التعبية كأخراج المقدمات والمؤخرات والمجنبات ، وأساليب الحماية ، والاستفادة من الأرض ، وزرع الربايا والكمائن ، ومعالجة المشاكل غير المتوقعة ، وتأمين القضايا الأدارية في الميدان ، وطرق رفع المعنويات .... الخ .... وكل هذه العلوم تلقّن من قادة مجربين لهم في الحروب باع طويل .

كما تدرّب على الفنون العسكرية العمليّة : ركوب الخيل ، والرمي بالسِّهام ، والتصويب الدقيق ، والضرب بالسّيوف ، والطّعْن بالرِّماح ، والسِّباحة ، وتحمل المشاق العسكرية : سيراً على الأقدام مسافات طويلة في أيام متعاقبة وظروف قاسية صيفاً وشتاءً ، والحرمان من الطعام والشراب مدة من الزمن ، وتناول الطعام الخشن والماء العسر ، والابتعاد عن المأكل الليِّن والشراب السّائغ ، وهذا ما نطلق عليه في المصطلحات الحديثة تعبير : التدريب العنيف .

ولكنّ هذا التدريب العسكري وحده لا يكفي ، لأنه تدريب (فرديّ) ، فلابدّ من تلقى التدريب (الأجمالي) ، وهو ممارسة الجهاد قائداً وجندياً في ساحة القتال ، ليطبق ما تعلّمه (فرداً) من فنون عسكرية عملية ، على القتال ضمن المحاربين تطبيقاً عمليّاً ، وهذا ما نطلق عليه : تعليم المعركة .... إذ لا فائدة من التدريب الفردي ، إلاّ إذا طُبّق عملياً في التدريب الأجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الأجمالي هو ممارسة القتال عملياً .

وقد كان أسلوب التدريب على القتال ، شائعاً في أيام خلفاء بني أُميّة عامة بالنسبة لأولاد الخلفاء ، أما الوليد بن عبدالملك فقد دأب على زج أولاده في معارك الجهادِ ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة الى بلاد الرُّوم[1] ، وقد أرسل عبدالعزيز في غزوة تدريبية للعمل تحت إشراف عمّه مَسلمة بن عبدالملك ، فلما وثق بقدرته القيادية ولاه غزوة مستقلّة ، كما سيرد تفصيل ذلك في : جهاد عبدالعزيز .

وقد كان التدريب العملي في الأمور السياسيّة والأدارية ميسوراً لعبد العزيز ، فهو إلى جانب أبيه الخليفة وقريب منه ، والخليفة كان هو المرجع الأعلى في تصريف تلك الأمور ، وعنه تصدر القرارات الخطيرة ، كما أنه كان إلى جانب الحكّام من بني أميّة وغيرهم ، فكان يرى ويسمع ما يحدث في القمة من تصريف أمور الدولة ، وهذه تجارب عملية مفيدة له أعظم الفائدة في تكوين شخصيته واكمال تعلّمه وتدريبه.

لقد تهيّأ لعبد العزيز العلم المكتسب والتدريب العملي والتجربة ، مما كان له أثر عميق في تكوين شخصيته قائداً وإدارياً وسياسيّاً .

جهـاده

١ . في سنة إحدى وتسعين الهجريّة (٧٠٩ م) غزا عبدالعزيز الصّائفة[2] ، وكان قائد الجيش مَسْلَمَة بن عبدالملك[3] ، وكان ميدان هذه الغزوة أرض الرُّوم .

ولكنّ هذه الغزوة لم تقتصر على بلاد الرّوم ، بل تغلغلت باتجاه الشمال الشّرقي مخترقة (أَذْرَبِيْجَان[4]) حتى بلغ مَسْلمة ومعه عبدالعزيز مدينة (الباب[5]) ، فَفَتُح على يديهما مدائنُ وحُصون[6] .

---

(١) البداية والنهاية (١٦٤/٩) .

(٢) الصائفة : الغزوة في الصيف ، وبها سميت غزوة الروم ، لأنهم كانوا يغزون صيفاً اتقاء البرد والثلج .

(٣) الطبري (٥٠٤/٦) وابن الأثير (٥٥٥/٤) والبداية والنهاية (٨١/٩) والنجوم الزاهرة (٢٢٢/١) .

(٤) أذربيجان : معناها في الفارسية أرض النار أو معابد النار ، وقد اطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك . وأذربيجان : صقع جليل ومملكة عظيمة، والغالب عليها الجبال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/١) مسالك الممالك للاصطخري (١٠٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٨٤) .

(٥) الباب : مدينة باب الأبواب ، ميناء كبير على بحر الخزر ، وهي مدينة كبيرة محصنة ، انظر التفاصيل في مسالك الممالك للاصطخري (١٠٩ — ١١٩) ومعجم البلدان (٩/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٦) ، وهي مدينة دربند كما يطلق عليها في الوقت الحاضر .

(٦) الطبري (٤٥٤/٦) وابن الأثير (٥٥٥/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) والبداية والنهاية (٨١/٩) والنجوم الزاهرة (٢٢٢/١ وانظر تاريخ الاسلام ٣٠٢/٤)

وكانت هذه الغزوة بالنسبة لعبدالعزيز غزوة تدريبيّة على فنون القتال ، تعلّم فيها الكثير من أبرز قادة الأمُويين في أيامه مَسْلمة بن عبدالملك ، وأغنى بها تجربته العملية .

وكان في غزوته هذه قائداً مرؤوساً على قسم من جيش مسلمة ، ومن المحتمل أن يكون على جيش (دمشق) ، لأنه كان على هذه المدينة في أيام والده الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان .

وقد شهد عن كثب كيف تدار المعارك ، وكيف يجري القتال ، وما هي التدابير التعبوية التي يتخذها القائد في مسير الاقتراب وفي القتال وفي العودة بعد انتهاء الواجب ، وما هي التدابير الأدارية في اختيار المعسكرات والتعسكر والتموين والتنقل وإخلاء الجرحى .

ومن الواضح أنه تحمّل أعباء كثير من الواجبات الأدارية والقتالية قبل نشوب القتال وفي أثنائه وبعده ، قائداً لقسم من الجيش الغازي .

وهذا هو الأسلوب النّاجع لتدريب القادة على فنون القتال ، وأفضل طريقة لأسلوب : تطعيم المعركة .

والظاهر أنه أثبت جدارة في مهمته التي جرت بأشراف عمّه مسلمة ، وهو قائد متمرّس قدير .

٢ . وفي سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) غزا عبدالعزيز بلاد الرُّوم ، فبلغ حصن (غزالة)[١] في هذه الغزوة[٢] وفتحها[٣] .

ومن المعروف أنّ هذا الحصن كان قد فتحه سنة ثمانٍ وثمانين الهجرية (٧٠٧م) مَسْلَمة بن عبدالملك بن مروان[٤] ، مما يدلّ على أنّ الروم استعادوه من المسلمين بعد فتحه ، فأعاده عبدالعزيز إلى سيطرة المسلمين مرة أخرى .

لقد كانت حياة عبدالعزيز في مجال القيادة قصيرة حقاً ، فما الذي صرفه عن تلك الحياة الخصبة المثمرة ؟ !

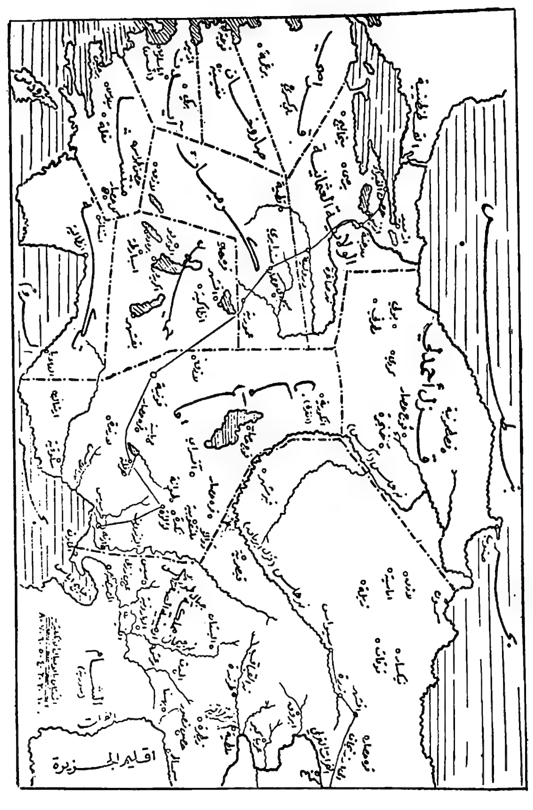
---

(١) غزالة : لا ذكر لهذا الحصن في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة بين أيدينا ، والظاهر أنه حصن صغير ثانوي ، وهي في منطقة (ملطية) من أرض الروم ، انظر ابن خلدون (١٥٤/٣) .

(٢) الطبري (٤٨٣/٦) وابن الأثير (٥٨٢/٤) وتاريخ ابن خياط (٣١١/١) وابن خلدون (١٥٤/٣) .

(٣) البداية والنهاية (٩٥/٩) وابن خلدون (١٥٤/٣) .

(٤) الطبري (٤٣٦/٦) وابن الأثير (٥٣٢/٤) .



بلاد الروم

الأنسان

كان عبدالعزيز بالنسبة إلى والده الوليد بن عبدالملك أفضل أولاده ، فكان حين يذكر ولده يقول : « عبدالعزيز سيّدهم »[١]

وقد بذل الوليد بن عبدالملك قصارى جهده لتعليم ولده عبدالعزيز ، فاستقدم لتأديبه أبرز علماء المدينة المنوّرة في حينه الى (دمشق) وأوكل إليه أمر تأديبه — كما ذكرنا — بالأضافة إلى أبرز علماء عاصمة الأُمويين (دمشق) الذين اختارهم الوليد لتأديب ولده ، مما يدل على أنّ الوليد اولى ابنه عبدالعزيز عناية خاصة ميزّه بها على سائر إخوتــه .

ولكي يكون قريباً منه يحظى برعايته الكاملة ، ولاّه (دمشق) ، فبقى عبدالعزيز في منصبه هذا حتى مات الوليد[٢] سنة ست وتسعين الهجرية[٣] (٧١٤ م) .

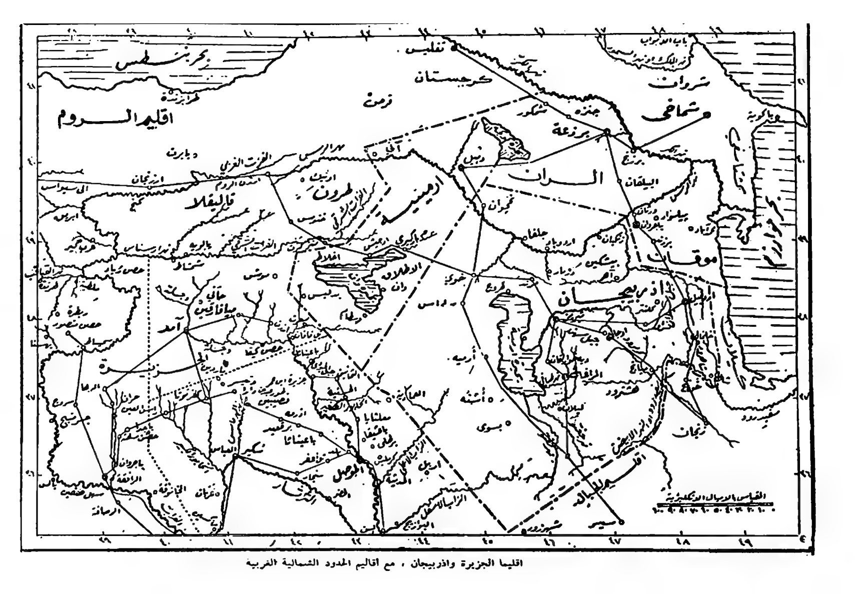
ولا بدّ أن يكون عبدالعزيز استحوذ على ثقة أبيه الوليد ، فأراد أن يخلع أخاه سليمان بن عبدالملك ويبايع لولده عبدالعزيز ، فأبى سليمان . وكتب الوليد إلى عُمّاله ودعا النّاس إلى ذلك ، فلم يجبْهُ إلاّ الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ وقُتَيْبَة بن مُسْلم الباهليّ وخواص من الناس . وكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه ، فأبطأ وتلكّأ ، فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه واخرج أخيَمُه ، فمات قبل أن يسير إليه[٤] .

ولم يكن خلع سليمان بن عبدالملك عن ولاية العهد أمراً سهلاً ، فقد كان الوليد وسليمان وليي عهد عبدالملك بن مروان[٥] ، وفي عنق الناس بيعة سليمان والوليد على حد سواء ، فليس من السّهل التخلي عن هذه البيعة . وركوب الوليد مخاطر خلع سليمان ، يدل على مبلغ ثقته بعبد العزيز ، واستعداده لبذل كل جهوده من أجله .

ولم يكن الوليد ليحرص على أن يخلفه عبدالعزيز ، ويركب من أجل تحقيق هذا

---

(١) العيون والحدائق (١٤٩) .
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (٣١٦/١) .
(٣) الطبري (٤٩٥/٦) وابن الأثير (٨/٥) والعبر (١١٢/١) .
(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٤٩٨/٦ — ٤٩٩) ، وانظر ابن الأثير (١٠/٥) والعيون والحدائق (٨٢) والعقد الفريد (٤٢٣/٤) والنجوم الزاهرة (٢٣٣/١) .
(٥) الطبري (٤٩٨/٦) .



اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع اقاليم الحدود الشمالية الغربية

الهدف أصعب المراكب ، ويعرض نفسه والدولة الى احتمال نشوب تمرد يقوده سليمان وأنصاره ، وإلى احتمال تذمر الناس من فعلته ، فقد نصحه أحد المقربين إليه بقوله : « إنَّ النَّاس لا يجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمَنهم على الغَدْرِ بابنك»[١] ، إلاّ لثقته الكاملة بابنه عبدالعزيز وحبِّه الشديد له ، وهذه الثقة لا تأتي عفواً ولا تكون لأسباب عاطفية ، فلا بدّ أنّ عبد العزيز بن الوليد حازها لأنه أثبت جدارته في تولي الخلافة ذكاء وفطنة وقابلية إدارية وعسكرية وسياسيّة ، بعد أن جرّبه أبوه الوليد في تلك المجالات كافة ، فنجح قائداً وإدارياً وسياسياً .

ويبدو أنه كان ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف ، بعيداً على مزالق الشباب ، والدليل على ذلك أنّ أباه ولاه إمرة الحج سنة ثلاث وتسعين الهجرية[٢] (٧١١ م) ، واختلف فيمن حجّ بالناس سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) ، فقيل : مَسْلَمة بن عبدالملك أو عبد العزيز بن الوليد[٣] ، ولا يمكن أن يتولى الحج بالناس إلاّ متدين عميق التدين .

وكاد يزيد بن عبدالملك سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١ م) أن يعهد إليه بولاية العهد ليتولى الخلافة من بعده ، ولكنّ مَسْلمة بن عبدالملك صرفه عن عزمه قائلاً : « أيهما أحبّ إليك ، أخوك أم ابن أخيك ؟ » ، فقال يزيد : « بَل أخي » ، ثم عهد لأخيه هشام بن عبدالملك من بعده[٤] .

ولا يمكن أن يفكر يزيد بن عبدالملك أن يعهد بولاية العهد لعبد العزيز مفضلاً إياه على إخوته ، لو لم يكن عبدالعزيز متحلياً بمزايا تؤهله لتولى هذا المنصب الرفيع .

ولعل أفضل وصف لعبد العزيز ما قاله رجل من أهل الشام : « ليس من ولد الوليد أحدٌ إلاّ ومَنْ رآه يَحسب أنه أفضل أهل بيته، ولو وُزِنَ بهم أجمعين عبدالعزيز لرجَحَهُم»[٥] .

---

(١) الطبري (٤٩٩/٦) .
(٢) الطبري (٤٨٢/٦) وابن الأثير (٥٧٨/٤) وتاريخ ابن خياط (٣٠٩/١) والنجوم الزاهرة (٢٢٧/١) والمحبر (٢٦) .
(٣) الطبري (٤٩١/٦) .
(٤) ابن الأثير (٩١/٥) والعقد الفريد (٤٤٢/٤) .
(٥) العقد الفريد (٤٢٣/٤) .

لا عجب – وتلك هي مزاياه – أن يثق بنفسه ثقة كاملة ، وأن يعرف قدره ومكانته ، فيرى أنه أحق بالخلافة من سائر بني أُميّة بعد موت سليمان بن عبدالملك .

فقد بلغ عبدالعزيز – وكان غائباً – موت سليمان بن عبدالملك، ولم يعلم ببيعة الناس لعمر بن عبد العزيز وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ودعا إلى نفسه ، ثم بلغتْه بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبدالعزيز ، فقال له عمر : « قد بلغنى أنك كنتَ بايعت مَنْ قِبَلك، وأردتَ دخول دمشق ! » ، فقال : « قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أنّ الخليفة سليمان لم يكن قد عَقَدَ لأحد ، فخفت على الأموال أن تُنْتَهَب » ، فقال عمر : « لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدتُ في بيتي » ، فقال عبدالعزيز : « ما أحبّ أنه ولى هذا الأمر غيرُك » ، وبايع عمر[1] .

وهكذا تخضع الرجولة المتكاملة للحق عندما يظهر لها دون تردّد ، ولكنها لا ترضخ بالتنازل عن حقّها قبل أن ينبلج لها الحق واضحاً جليا . فهي تطالب بحقوقها عندما ترى الحق معها، ولكنها تتخلى عن مطالبتها إذا وجدت مَن هو أحق منها ، وهذا دليل على قوة الشخصية السَوِيّة التي تخضع للحق ولا تخضع لغير الحق .

وقد مدحه الشعراء ، ولست أجهل أنّ مدائحهم – وبخاصة لذوى السُّلطان ، لا تنطبق على الواقع ولا تصلح أن تكون دليلا على أنّ مَن مدحوهم يتحلّون بالسجايا الواردة في قصائدهم، وأنّ وراء تلك المدائح رغبةَ أو رهبة أو تزلّفا، ولكن بعد حديثنا عن سجايا عبدالعزيز ، لا بُدّ من ذكر لمحات من الشعر الذي قيل في مدحه ، لا للاعتماد على ما ورد فيها من مديح دليلاً على سجاياه ، لأنّ سجاياه برزت قبل ايراد شواهد المديح ، بل لتكون الأمثلة الشعرية في مدحه آخر الدلائل على سجاياه حسب .

فقد أراد الوليد أن يكون عبدالعزيز وليّ عهده ، فدسّ في ذلك إلى القوّاد والشعراء، فقال جرير :

---

(١) الطبري (٦/٥٥٣) وابن الأثير (٥/٤١) .

إذا قيل أيّ الناس خير خليفة ؟ أشارت إلى عبدالعزيز الأصابع[1]
رأوه أحقَ الناس كلّهم بها وما ظَلموا إذ بايعوه وسَارعُوا[2]

وقال جرير أيضاً يحض الوليد على بيعة عبدالعزيز :

فماذا تَنْظُرونَ بها وفيكُم جسورٌ بالعَظَائم واعْتِلاءُ[3]
الى عبدالعزيز سَمَتْ عيون الـ ... رعيّة إذ تَحيّرت الرِّعاءُ[4]
إليه دَعَتْ دواعيه إذا ما عِمادُ المُلْك خَرّت والسّماءُ
وقال أولُو الحُكومَةِ من قُرَيْشٍ علينا البَيْعُ إنْ بلغَ الغَلاءُ[5]
رأوا عبدَالعزيزِ ولِيَّ عَهْدٍ وما ظَلموا بذاك ولا أساءُوا
فزَحْلِفْها بأَزْفُلِهَا إليه أميرَ المؤمنين إذا تشاءُ[6]
فانَ الناس قد مَدوا إليـه أكُفّهُمُ وقد بَرِحَ الخفاءُ
ولو قد بايعوكَ ولِيَّ عَهْدٍ لقامَ القِسْطُ واعْتَدَلَ البناءُ[7]

وقال جرير يمدح عبدالعزيز :

إذا قُلْتَ لي: عبدُ العزيز كفَيْتَني زَماناً فَشَتْ عِلاّتُه ومَبَاخِلُه
فَيَوْمَان من عبدالعزيز تَفاضَلا ففي أيِّ يَوْمَيْه تَلومُ عواذِلُه
فيومٌ تَحوطُ المسلمينَ جِيَادُهُ ويَوْمٌ عَطَاءٌ ما تُغِبُّ نوَافله
وللتركِ من عبدالعزيز وقيْعَةٌ وللرُّوم يومٌ ما تَتِمُّ حَوامِلُه[8]
فما وَجَدوا عبدَالعزيز مُغَمّراً ولا ذا سِقَاط عند أمرٍ يُحاوله
ولا جافِياً عن قائم السّيف قَبْضُهُ إذا الفَشِلُ الرِّعْدِيدُ قَفَّتْ أناملُه
يُقَلِّصُ بالفَضْلَيْنِ : فَضْلِ مُفَاضةٍ
وفَضْلِ نِجَادٍ لم تُقَطّعْ حمائلُـه[9]

---

(١) انظر ديوان جرير (٣٥٧) .
(٢) الطبري (٦/٥٠٦) ، وقد وردت : « فبايعوه وسارعوا » ، وفي نسخة أخرى كما ذكرناه في أعلاه .
(٣) هذا البيت من ديوان جرير (٩) ، والاعتلاء : القوة على الشيء ، يقال : اعتليت الشيء إذا قويت عليه .
(٤) هكذا ورد في الطبري (٦/٥٠٦) ، أما في ديوان جرير (٩) ، فورد : إن تحيرت الرعاء .
(٥) ويروى بفتح العين وكسرها ، والغلاء من المغالاة : المسابقة .
(٦) فزحلفها إليه : أي ادفعها ، بأزفلها : بأجمعها .
(٧) الطبري (٦/ ٥٠٦ – ٥٠٧) وديوان جرير (٩) .
(٨) أي تسقط أجنتها .
(٩) أراد أن يرفع فضل الدرع الطويلة ، فتكون قصيرة عليه ، وكذلك حمائل سيفه .

فلا هو في الدنيا مُضيعٌ نَصيبَهُ ولاعَرَضُ الدنياعن الدين شاغِلُهُ[1]

فهذا بَديعٌ ليس في الناس مثلُه وهذا مديحٌ لا يُكَذَّب قائِلُه

أبَيْنَا ، فما يدعو الى غيرِكَ الهوَى وما من خليل بابْنِ ليلى[2] نبادله

أتى زَمَنُ البَيْضاء بعدكَ فانْتَحَى على العَظْمِ حتى أسلمتهُ حوامِلُهُ[3]

فَرِش لي جناحي واتّخذنَي بازياً تَخطَّفُ حبّاتِ القُلوبِ أجادِلُهُ[4]

وقد أكثر الشعراء من مدح عبدالعزيز ، نكتفي بما أوردناه نماذج لتهافت الشعراء عليه بالمديح ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فأنما يدل على جوده وكرمه ، والجود والكرم من مزايا الرجال .

وقد ذكرنا إخوته في سيرة أخيه العباس بن الوليد ، فلا نعيد ذكرهم هنا[5]

وأم عبدالعزيز ومحمد ، هي أم البنين ليلى بنت عبدالعزيز بن مروان بن الحَكَم[6] وفي رواية أن أشقاءه محمد ومروان وعَنْبَسَة أبناء الوليد بن عبدالملك[7] .

وأم والدته : ليلى بنت سهيل بن حَنْظَلَة بن الطُفَيّل بن مالك بن جعفر بن كِلاب[8] .

وتزوّج عبدالعزيز ميمونة بنت عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصدِّيق ، فولدت له عبدالملك وعَتيقاً ، وفي عتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غير جود عَتيقٍ ابن عبد العزيز من ميمونه

بنت قرم مهذّب من قُرَيْشٍ قد أبى الله أن تكون هجينه[9]

---

(١) ورد هذا البيت في الطبري (٦٦٣/٨) ، وفي ابن الأثير (٤٣٨/٦) : يضيع .

(٢) ليلى بنت عبدالعزيز بن مروان أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز ، وهي أم عبدالعزيز بن الوليد .

(٣) السنة البيضاء : المشمسة الصائفة التي لا سحاب فيها .

(٤) انظر القصيدة كاملة في ديوان جرير (٤٣٤ – ٤٣٥) – شرح ديوان جرير – تأليف محمد اسماعيل عبدالله الصاوي – القاهرة – ١٣٥٣ هـ .

(٥) انظر اسماء إخوته في الطبري (٤٩٦/٦) وجمهرة أنساب العرب(٨٩) والعيون والحدائق (١٢–١٣)

(٦) الطبري (٤٩٦/٦) .

(٧) العيون والحدائق (١٢) والعقد الفريد (٤ /٤٢٢) .

(٨) انظر جمهرة أنساب العرب (٢٨٥) والعيون والحدائق (١٢) .

(٩) المحبر (٤٤٨) وانظر جمهرة أنساب العرب (٨٩) .

وابنه عتيق بن عبدالعزيز ، كان يرشّح للخلافة ، قتله عبدالله بن علي العباسي كما قتل ابنه أبا بكر بن عتيق[1] .

وميمونة زوجة عبدالعزيز ، تزوجت بعده أخاه محمد بن الوليد بن عبدالملك[2] ، مما يدل على أنّ عبدالعزيز توفى قبل شقيقه محمد بن الوليد .

وتزوج أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم[3] بن أبى العاص الأُمويّة .

وذكر أنّ عبدالعزيز لم يُعْقِب[4] ، وهذا ليس صحيحاً .

كما تزوج عبدالعزيز أمة الله بنت الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان .

وقد تولىّ عبدالعزيز أول قيادة له سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) كما ذكرنا في موضوع : جهاده .

وكان الخلفاء يولّون أبناءهم المناصب القيادية إذا بلغوا سن العشرين من العمر ، يزيد ذلك قليلاً ، أو ينقصُ قليلا .

ومعنى هذا أنّ عبدالعزيز ولد حولى سنة إحدى وسبعين الهجرية (٦٩٠ م) ، وقد بقي حياً حتى سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) ، إذ أراد يزيد بن عبدالملك أن يجعله وليّ عهده ، ولكن لا نعرف سنة وفاته بالضبط ، لأن المؤرخين وكُتّاب السِّير سكتوا عن تاريخ وفاته ، كما سكتوا عن تاريخ اخيه محمد الذي خلفه على زوجه أمة الله بنت الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان .

وليس من المحتمل أنه عاش حتى سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) ، وهي السنة التي أباد فيها العباسيون كل مَن قدروا عليه من الأُمويين بعد استيلائهم على السُّلطة .

ولم يتحدّث المؤرخون وكُتّاب السِّير عن المناصب التي تولاها عبدالعزيز بعد وفاة والده الوليد بن عبدالملك بن مروان .

والظاهر أنه زهد في المناصب ، لأنه كاد أن يصبح خليفة ، فتجاوزته الخلافة ،

---

(١) المحبر (٤٤٨) .
(٢) المحبر (٤٤٥) .
(٣) المحبر (٤٤٩) .
(٤) العقد الفريد (٤٢٢/٤) .

فكل منصب بالنسبة للخلافه تافه ، لذلك وضع هذا المنصب وحده نصب عينيه ، فدعا إلى نفسه بعد وفاة سليمان بن عبدالملك ، ثم رضخ للخليفة القائم عمر بن عبدالعزيز كما أن عمه يزيد بن عبدالملك عزم على توليته من بعده ، لولا أن صرفه عن عزمه مَسْلمة بن عبدالملك .

ومهما يكن من أمر ، فأنّ طموحه إلى الخلافة لم يتحقّق ، فخسر قمة المناصب ، ولم يربح المناصب التي دون القمّة .

وهكذا تجمدت كفايات عبدالعزيز العالية في مجالى القيادة والأدارة ، بعد وفاة أبيه الوليد بن عبدالملك بن مروان، فحرمت الدولة من جهوده وهو لا يزال في ريعان الشباب وأوج العطاء ، حتى توفاه الله مأسوفاً عليه .

القائد

عمل عبدالعزيز في القيادة العسكرية سنتين : سنة قائداً مرؤوساً لعمه مَسْلَمَة ابن عبدالملك ، وهي سنة تدريبيّة على واجبات القيادة في الميدان ؛ وسنة قائداً مستقلاً يتحمّل واجباته القيادية مسؤولاً مباشرا ، ليضع ما تعلّمه من الفنون العسكرية النظرية والعملية موضع التنفيذ العملي .

كما عمل في جبهتين مختلفتين من جبهات القتال خلال حياته العسكرية العملية : جبهة (أَذْرَبِيْجَان) حتى بلغ مع مَسْلمة (الباب) على بحر (الخزَر) ، وجبهة الرُّوم في منطقة (مَلَطْيَة) ففتح حصن (الغزالة) وعاد من غزوته منتصراً .

وعلى الرَّغم من أنّ حياته العسكرية في القيادة كانت قصيرة جداً ، لأنّ أباه الوليدبن عبدالملك استأثر به فآثر أن يكون إلى جانبه والياً على (دمشق) عاصمةالأُمويين في المشرق ، ومستشاراً يتدرّبُ عملياً على إعطاء القرارات العسكريّة والأدارية والسياسية التي تصدر من أعلى سلطة في الدولة ، وتؤخذ آراؤه فيما يعترض الدولة من مشاكل ومعضلات ، ويستشار في إصدار القرارات الحاسمة السّوقيّة ، ويُعَدّ إعداداً مناسباً بأشراف الخليفة لتسنّم الخلافة من بَعد الخليفة القائم ..... إلاّ أنّ مدّة قيادته القصيرة تنمّ على قابلية متميزة في القيادة بالأضافة إلى قابلياته المتميزة الأخرى ، أهلّته للترشيح إلى منصب ولاية العهد ، ليكون الرجل الثاني في الدولة

خلال حياة الخليفة ، وليكون الرجل الأول في الدولة بعد موت الخليفة ، مما يدلّ على نجاحه في قيادته ، ونجاحه في مهامه الأخرى .

وإذا كان للعاطفة نصيب مّا في ترشيحه ولياً للعهد ، لأنّ الوالد يحبّ لولده ما يحبّه لنفسه ، ولكن العاطفة وحدها لم تكن السبب الأول والأخير لترشيحه ، خاصة وأنّ الوليد كان له تسعة عشر ولداً من الذكور ، وترشيحه لولاية العهد دون سواه من أشقائه وإخوته دليل قاطع على أنه كان أفضل منهم جميعاً في كفايته وقابليته وحسن تصرّفه وأخلاقه قائداً وإنسانا .

لقد كان عبدالعزيز ذكيّاً ألمعيَّ الذكاء ، وكان متّزناً مكيثاً غير متهوّر ، وكان بعيد النظر يحسب لكل شيء حسابه ، وكان آلفاً مألوفاً يحب رجاله ويحبّونه ، وكان ذا شخصيّة نافذة رصينة مما يوحي بالثقة به من رجاله ، فيثق بهم كما يثقون به .

وكان جواداً كريماً ، وهذه الصفة لها مكانتها في قلوب الذين يحبون المال حبّاً جمّاً ، ولها مكانتها في قلوب الذين لا يحبّون المال أيضاً ، فليس هناك مَن يكره الجواد الكريم .

وصفة الجود والكرم ، تؤدي بصاحبها إلى استقطاب الرجال من حوله ، الذين يقاتلون جهاداً في سبيل الله ، والذين يقاتلون كسباً للمغانم .

وكان ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف ، ملتزماً بمتطلبات الحياة ، فهو يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه .

وكان لا يتخلى عن مُثله العليا ، دمثَ الأخلاق ، سليم القلب ، طيّب السّريرة ، حسن الطويّة ، مأمون النقيبة ، لا يلحق الأذى بالمحسنين بل يشد أزرهم ويسندهم ويدافع عنهم ، ولكنه لا يتغاضى عن المسيئين بل يعاقبهم ويحاسبهم ويحملهم على الطريق السّويّ .

وكان قائداً (تعرّضيا) ، يتّخذ أسلوب الهجوم السّيار للدفاع عن الحدودالأسلامية والثغور ، ويتجنّب أسلوب الدّفاع المُسْتكِنّ ، لأنه في أحسن نتائجه يصدّ المعتدى ولا يؤدى إلى النصر . كما أنّ نقل ساحة القتال إلى ميدان العدو في حالة الهجوم ، يؤدى إلى إيقاع الخسائر في بلاد العدو ويصون بلاد المسلمين من الدمار .

لقد كان عبدالعزيز يطبِّق مبدأ : الهجوم خير وسائل الدفاع .

وكان يطبق مبدأ (التحشد) ، فكان يوجّه القوات المناسبة لتحقيق هدفه من القتـــال .

وكان يطبّق مبدأ : (الاقتصاد بالقوّة) ، فلا يسرف في حشد قوات كبيرة بالنسبة للهدف المقصود .

وكان يطبّق مبدأ : (الأمن) في مسير الاقتراب، فيخرج المقدمات والمجنبات والمؤخرات لحماية جيشه ، ويحمي معسكراته في اثناء التعسكر ، ويطبّق ترتيبات القتال الشائعة حينذاك في اثناء القتال : ميمنة وميسرة وقلب ومقدّمة ومؤخّرة ، وهي ترتيبات أمنيّة لحماية قواته من المباغتة . كما يهتم بالساقات في أثناء الانسحاب من بلاد العدو ، حماية لقواته من المطاردة .

وكان يطبق مبدأ : (توخي الهدف) ، فيقرر سلفاً الهدف الذي يريده ، وينظّم خطته لفتح ذلك الهدف ، دون أن يحيد عنه إلى هدف آخر ، دون مسوِّغ .

وكان يطبّق مبدأ : (القضايا الأدارية) ، فيُعدّ عدّته للتموين والاعطيات والنقلية والطبابة والبيطرة ، حتى ليكاد جيشه لا يفتقد شيئاً من قضاياه الأدارية .

ويجب أن نتذكر أنّ بني أُميّة كانوا ماهرين الى أبعد الحدود في إعداد الخطّة الأدارية وتنفيذها ، مع الاعداد مسبقاً لأدق التفاصيل الأدارية، حتى المخيط والخيط يعدونّها للجيش ، بحيث تكتفي قواتهم اكتفاءً ذاتياً منذ رحيلها عن قواعدها للفتح حتى عودتها إلى تلك القواعد .

وكان يطبّق مبدأ : (إدامة المعنويات) ، ويبذل قصارى جهده أن تتحلى قواته بالمعنويات العالية ، وخير وسيلة لأدامة المعنويات هو النصر .

لقد توفّر في عبدالعزيز العلم العسكري النظري والعملي بما لا مزيد عليه باعتباره من أبناء الخلفاء ، وبذلك حاز على شرط من شروط القيادة المتميّزة وهي : العلم المكتسب .

وشهد غزوتين من غزوات الفتح ، فحاز على شرط آخر من شروط القيادة المتميِّزة وهي : التجربة العملية .

ولكن يجب أن نتذكّر أنّ تجربته العملية كانت قصيرة على كل حال .

أما الشرط الثالث من شروط القيادة المتميِّزة وهي : الطبع الموهوب ، فانه كان يتحلى بصفات ذكرناها في صدر صفاته القيادية ، وهي تدل على طبع موهوب ، كما أنّ تسنّمه القيادة يدل على رغبته في خوض غمار الحرب ، إذ لا يمكن للخليفة أن يولى منصب القيادة إلاّ من يحب المسؤولية ويميل إلى القتال ولا يخشى الأخطار ، ويتحمل مشاق الحرب ، ويكون شجاعاً مقداما .

ومن دراسة سير القادة من أبناء الخلفاء ، يظهر لنا بما لا يقبل الشك ، أنّ الخلفاء لم يولوا القيادة كل أبنائهم ، بل ولّوها قسماً منهم ، وهذا القسم الذي تولى القيادة لا بدّ أن يتولاّها لرغبته في الجهاد وتيسر الكفاية لتحمل جميع متطلباته ، وإلاّ فالمجال واسع لابن الخليفة غير القادر على تحمل أعباء الحرب ، أن يتولى المناصب المريحة الأخرى .

وبالرغم من تمتع عبدالعزيز بسمات الطبع الموهوب أو ببعض سمات هذا الطبع ، ولكن انتصاراته كانت انتصارات تعبوية ذات أثر محدود في الفتح ، والعهد بأصحاب الطبع الموهوب ، أن يحقّقوا انتصارات سَوْقِيّة حاسمة ذات أثر باق في الفتح .

ولعلّ محاولة أبيه الوليد بن عبدالملك بن مروان أن يوليه ولاية العهد ، ليصبح خليفة المسلمين بعد وفاته ، حرم عبدالعزيز من إبراز كفايته القيادية في فتح مستدام ، فخسر الخلافة ولم يربح الفتح .

وقد برز في أيام الوليد بن عبدالملك بن مروان قادة من ذوى الطبع الموهوب ، ففتحوا فتحاً مستداماً ، كمحمد بن القاسم الثقفيّ وقتَيْبَة بن مُسْلم الباهلي في فتوح المشرق ، وموسى بن نُصَيْر وطارق بن زياد في فتوح المغرب ، وربما حرم الفتح من قيادة عبدالعزيز لأنّ أباه أراد أن يخلفه في قيادة الأمة ، فجرت الرياح بما لا تشتهي السّفَن .

عبد العزيز في التاريخ

يذكر التاريخ لعبدالعزيز جهاده في الدفاع عن الدولة ، وفتحه حُصْن (الغزالة) في بلاد الرُوم .

ويذكر له أنه تولىّ مدينة (دِمَشْق) عاصمة الدولة وقاعدة الفتح الأسلامي الرئيسة في أيام والده الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان الذي كانت أيامه أيام العصر الذهبيّ للفتح في عهد بني أُميّة ، وكان العصر الذهبي الاول للفتح في عهد عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه .وقد أحسن عبدالعزيز في إدارته غاية الأحسان لهذه القاعدة الرئيسة ، مما كان له أثر حاسم في الفتح .

ويذكر له أنه لمع مبكراً وهو في ريعان الشباب ، فاستحق أن يتولى المنصب الثاني في الدولة : ولاية العهد ، من أجل أن يخلف أباه الوليد بن عبدالملك ، فيصبح من بعد أبيه خليفة المسلمين .

ولكنّ الأقدار حرمته من اعتلاء سدّة الحكم ، إذ مات أبوه قبل أن يحقّق لعبد العزيز البيعة .

ويذكر له أنّ عمه يزيد بن عبدالملك بن مروان قرّر أن يستخلفه مفضلاً له على أولاده وإخوته ، ولكنّه صُرِف في آخر لحظة عن قراره .

ويذكر له تمسّكه بالمثل العليا ، وتحليه بالخلق الكريم ، التزامه بالسجايا الخلقيّة الرفيعة ، فكان موضع ثقة الناس به وتقديرهم وإعجابهم .

يرحمه الله بقدر ما قدّم للدولة من خدمات وما قدّم لآخرته من أعمال حسنة ، وجعله قدوة يحتذى به الشباب من العرب والمسلمين .

المصادر والمراجع

ابن الأثير (عزالدين أبو الحسن علي بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير) :

١ — الكامل في التاريخ — بيروت — ١٣٨٥ ﻫ .

ابن تغرى بردى الأتابكي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي) :

٢ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — القاهرة — ١٣٨٣ ﻫ .

ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أُميّة بن عمرو الهاشمي البغدادي) :

٣ — المحبّر — تحقيق ايلزه ليختن شتيتر (الدكتورة) — بيروت — ١٣٦١ ﻫ .

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)
٤ – تهذيب التهذيب – حيدر آباد الدكن – ١٣٢٧ هـ .
ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) :
٥ – جمهرة أنساب العرب – تحقيق عبدالسلام هارون – القاهرة – ١٣٨٢ هـ .
ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي) :
٦ – صورة الأرض – ليدن – ١٩٣٨ م .
٧ – صورة الأرض – بيروت – بلاتاريخ .
ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة) :
٨ – المسالك والممالك – تحقيق (De Goeje) – ليدن – ١٨٨٩ م .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) :
٩ – تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) – بيروت ١٩٦٦ م .
ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر المعروف بابن رستة) :
١٠– الأعلاق النفيسة – ليدن – ١٨٩٢ م .
ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري) :
١١– الطبقات الكبرى – بيروت – ١٣٧٦ هـ .
ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي) :
١٢– عيون التواريخ – مخطوط في دار الكتب بالقاهرة رقمه (١٤٩) تاريخ .
١٣– فوات الوفيات – تحقيق محيي الدين عبدالحميد . القاهرة – ١٩٥١ م .
ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري) :
١٤– زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك – تحقيق بولس راويس – باريس – ١٨٩٤ م .
ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) :
١٥– العقد الفريد – القاهرة – ١٩٦٢ م .
ابن المعتز (عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) :

١٦ـ طبقات الشعراء ـ القاهرة ـ ١٣٧٥ هـ .
ابن عساكر (أبو القاسم على بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر) :
١٧ـ تاريخ دمشق ـ مخطوط بدار الكتب في القاهرة رقمه (٤٩٢) تاريخ .
١٨ـ تهذيب ابن عساكر ـ دمشق ـ ١٣٢٩ هـ .
ابن العماد (أبو الفلاح عبدالحي بن عماد الحنبلي) :
١٩ـ شذرات الذهب ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ .
ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه) :
٢٠ـ مختصر كتاب البلدان ـ تحقيق (De Goeje) ـ ليدن ـ ١٨٨٥ .
ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) :
٢١ـ الشعر والشعراء ـ بيروت ـ ١٩٦٤ م .
٢٢ـ عيون الأخبار ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ .
٢٣ـ المعارف ـ تحقيق ثروت عكاشة ـ ١٩٦٠ م .
ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير) :
٢٤ـ البداية والنهاية ـ بيروت ـ ١٩٦٦ م .
أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفدا) :
٢٥ـ تقويم البلدان ـ تحقيق رينود والبارون ماك كوكين دى سلان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م .
٢٦ـ المختصر في أخبار البشر ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
أبو الفرج الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني) :
٢٧ـ الأغاني ـ طبعة دار الكتب ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
الاصطخري (أبو اسحق الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي) :
٢٨ـ الأقاليم ـ مطبوع على الحجر ـ تحقيق مدلر ـ بلا تاريخ .
٢٩ـ مسالك الممالك ـ تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالعال الحسيني ـ مراجعة الأستاذ شفيق غربال ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .

البسوى (أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوى) :
٣٠- المعْرفة والتاريخ - تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري - بغداد - ١٩٧٤ م
البشارى (أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشارى) :
٣١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - تحقيق (De Goeje) .
البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :
٣٢- أنساب الأشراف - تحقيق (Goitein) - القدس - ١٩٣٦ م .
٣٣- فتوح البلدان - تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع - بيروت - ١٣٧٧ هـ .
جرير (الشاعر جرير بن عطية الخطفى) :
٣٤- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب - تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٦٩ م .
٣٥- شرح ديوان جرير - محمد اسماعيل عبدالله الصاوي - بيروت-بلا تاريخ.
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب) :
٣٦- تاريخ بغداد - القاهرة - ١٣٤٩ هـ .
خليفة بن خياط :
٣٧- تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري - النجف - ١٣٨٦ هـ .
الذّهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) :
٣٨- تاريخ الأسلام - القاهرة - ١٣٦٧ هـ .
٣٩- دول الأسلام - حيدر آباد الدكن - ١٣٦٤ هـ .
٤٠- العبر في خبر مَنْ غَبَرَ - الكويت - ١٩٦٠ م .
٤١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - القاهرة - ١٣٢٥ هـ .
الزاوي (طاهر أحمد الزاوي) :
٤٢- ترتيب القاموس المحيط - القاهرة - ١٩٥٩ م .

الزبيدي (محبّ الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ الزبيدي) :
٤٣– تاج العروس في جواهر القاموس – القاهرة – ١٣٠٦هـ .
الزبيري (أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري) :
٤٤– نسب قريش – تعليق ليفى بروفنسال – القاهرة – ١٩٥١ م .
الزركلي (خير الدين الزركلي) :
٤٥– الأعلام – ط ٢ – القاهرة ١٣٧٣ هـ – ١٣٧٨ هـ .
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) :
٤٦– تاريخ الرسل والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – القاهرة – ١٩٦٤ م :
العجّاج (عبدالله بن رؤبة التميمي) :
٤٧– ديوان العجاج – تحقيق الدكتور عزة حسن – بيروت – ١٩٧١ م .
الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز آبادى) :
٤٨– القاموس المحيط – القاهرة – ١٣٠٦ هـ .
القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود القزويني) :
٤٩– آثار البلاد وأخبار العباد – بيروت – ١٣٨٠ هـ .
القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي) :
٥٠– نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب – تحقيق ابراهيم الأبيارى – القاهرة – ١٩٥٩ م .
لسترنج :
٥١– بلدان الخلافة الشرقية – ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد – بغداد – ١٣٧٣ هـ .
مجهول (مؤلف مجهول) :
٥٢– العيون والحدائق في أخبار الحقائق – تحقيق (De Goeje) – ليدن – ١٨٧١ م .
المرزبانى (أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى) :
٥٣– معجم الشعراء – تحقيق عبدالستار أحمد فراج – القاهرة – ١٣٧٩ م هـ.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) :
٥٤- التنبيه والأشراف - القاهرة - بلا تاريخ .
٥٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر - بيروت - ١٣٨٥ هـ .
المقدسي (مطهر بن طاهر المقدسي) :
٥٦- البدء والتاريخ - شالون - ١٩١٦ م .
النووى (أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووى) :
٥٧- تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة - بلا تاريخ .
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي) :
٥٨- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً - كوتنكن - ١٨٤٦ م .
٥٩- معجم البلدان - القاهرة - ١٣٢٣ هـ .
اليعقوبي (أحمد أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي) :
٦٠- البلدان - ليدن - ١٨٩٢ م .

المصطلح الكيمياوي في التراث العربي [1]

الدكتور جابر الشكري

عضو المجمع العلمي العراقي

الاستاذ في كلّية العلوم / جامعة بغداد

من دواعي الغبطة والسرور أن نجتمع في هذا القطر العربيّ العزيز ، تونس الخضراء لنتداولَ في الكيمياء التي صيّر منها العلماءُ العرب علماً واسعَ الجوانب غزيزَ الفوائد .

إنّ الكلام عن الكيمياء متشعّب الأطرافِ لانّ فلاسفتنا الأوائل خلّفوا لنا تراثاً فكرياً لا ينضبّ معينه ، ووضعوا للكيمياء مفاهيم عمليّة واقعيّة تستند على مبدأ «التجربة والترصّد» كما قال جابر بن حيّان .

وحديثنا في هذه الساعة سيقتصر على موضوع معيّن من مواضيع الكيمياء ، شغل بال العلماء والمترجمين القدماء ، ويشغل بالنا اليوم ، ألا وهو موضوع « المصطلح أو الأصطلاح الكيمياوي » .

إنّ المصطلح الكيمياوي أحد الدعائم الأساسيّة في مسألة التعريب للكيمياء ، وعليه يعتمد الباحث في تدوين بحثه ، والمترجمُ عند ترجمته لكتب العلوم الحديثة من اللّغات الأجنبيّة الى اللّغة العربيّة . ولقد مرّ العرب في أوّل نهضتهم في هذا الطريق ، وإجتازوا الصعوبات بكلّ جدارة ، وخلّفوا لنا مصطلحات في مختلف الفنون والعلوم ، ومنها المصطلحات الكيمياويّة . ومن المعروف أنّ كثيراً من المصطلحات العربيّة نُقلت الى أوروبا في بداءة النهضة وبقيت على الصورة التي نَسجها العرب ، في شيء من التغيير ، حتّى يومنا هذا .

---

(١) بحث القي في ندوة تعريب الكيمياء لاتحاد الكيماويين العرب المنعقدة في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٩ في تونس .

معنى المصطلح :

المصطلح في اللّغة من مشتقات الفعل « صَلُحَ » ، فأصطلح ، ومصدره «الأصطلاح» والمصطلح هو ما تعارف عليه العلماءُ في علم من العلوم أو فنٍ من الفنون . وهو عبارة عن إتّفاق القوم وتصالحهم على وضع الكلمة لمعنى معيّن مراد منهم . ولا بُدّ في كلّ مصطلح من تجاوز المعنى اللّغوي ، والخروج منه الى معنى خاص ليكون مصطلحاً ، والاّ بقي معنىً لغوياً عاماً غير خاص بعلمٍ . والمُسوِّغ عادة لنقل اللّفظ من معناه اللّغويّ الى معناه الاصطلاحي وجود مناسبةٍ بينهما .

ويقابل لفظة مصطلح في اللّغة الأنكليزية Terminologie , Term أي وضع الأسماء والحدود ، وفي اللّغة الفرنسيّة Expression وفي اللّغة الألمانيّة Fachausdruck , Ausdruck

من التعريف المذكور نستدل على أنّ المصطلح عُرفٌ خاصٌ ، ويُتفقُ عليه ، ويؤخذ من المعنى اللّغوي ، مُعطي معنى آخر يُناسبُ المعنى الأصلي المراد تعريفه ولو دقّقنا في المصطلحات العلميّة أو الفنيّة التي جاءت في كتب الحضارة العربيّة والأسلاميّة وجدناها مُطابقة مع هذا التعريف .

ولتوضيح الأمر ، نرى أن نُقسّم أهّم الطرق التي أتّبعت لوضع المصطلح وإختياره ويكون التقسيم على الوجه الآتي : —

أولاً : — مصطلح اشتقّ من فعلٍ منصرف .

ثانياً : — مصطلح اشتقّ من إسم جامد .

ثالثاً : — مصطلح أُخذَ من لفظٍ أعجميّ ثم أُدخل عليه تحويرٌ جعله مناسباً للنُطق العربيّ .

رابعاً : — مصطلح إنحدر من لغةٍ موغلة في القدم ، وإتُّفق عليه بين رجالِ العلم من مختلف الأمم ، كالمصطلحاتِ الموروثة والمتبقية من حضارة وادي الرافدين أو حضارة وادي النيل أو غيرهما .

خامساً : — مصطلح عُرّب عن اللّغات القديمة ، كالأغريقيّة أو الفارسيّة ، أوالسنسكريتية . .

سادساً : — مصطلح وضعه عالمٌ في العربيّة من دون سابقٍ وضعٍ من غيره ، وهذا في العادة يكون بسبب وقوفُ الواضعِ على شكل الشيء أو لونهِ أو طعمِه .

لقد انتفع علماءُ أوروبا ورهبانُها في أوّل النهضة بالمصطلحات العربيّة وأبقوا عليها في كتبهم مع شيءٍ من التحوير . وحين رجعنا الى مؤلّفاتهم نَقْتَبِسُ منها فاتنا أن كثيراً من المصطلحات الأجنبيّة الواردة فيها من أصلٍ عربيّ ، وقد اضافوا اليها ونحتوها بالصورة التي تلائم أمزجتهم ، كما أنّهم اقتبسوا بعض المصطلحات من اللّغة اللاّتينيّة ، لغة العلم في حينه ، وبعد ذلك اشتُقّت مصطلحات أخرى من اللّغة الايطاليّة أو الألمانيّة أو الفرنسيّة أو الأنكليزيّة .

إنّنا نجد بين هذه المصطلحات أعداداً كثيرة من مخلّفات الحضارة العربيّة ، وقد إعترف المنصفون من الأوروبيين في ذلك ، ودوّنوا الاصل العربيّ بجانب المصطلح الجديد ، وفي كتب الكيمياء أو الصيدلة أو الطبّ أمثلة كثيرة تُعزّز قولنا هذا . وفي هذه المناسبة ، لا بُدّ لنا أن نُشير الى الأمانة العلميّة التي تَحلّى بها العلماء والفلاسفة العرب عندما نقلوا العلوم الأجنبية الى اللّغة العربيّة ، فقد أشاروا الى المصطلحات التي لم يجدوا ما يُقابلها في اللّغة العربيّة أنّها مأخوذة من أصلٍ إغريقي أو فارسي أو سنسكريتي . . . . الخ .

لا أريد أن أطيل حديثي في النواحي التاريخيّة واللّغويّة ، فأنا بعيدٌ كلّ البعد عنها ، وأستلهم معلوماتي من ذوي الأختصاص الأفاضل . ولقد حدّدنا سُبُلَ نحت المصطلح بنقاطٍ ستٍ وهذه أنماطٌ من المصطلحات العربيّة في الكيمياء وكيفيّة اشتقاقها .

اشتقاق كلمة الكيمياء

لم يتّفق الباحثون على رأي حول أصل كلمة « الكيمياء » الاّ أنّ الكلّ مجمعٌ أنّها من أصلٍ مصريّ ، ولها مدلولُ الصنعة ، ذات الطابع السّريّ ، وفيها معنى الرخاء والغنى .

يُقال إنّ قدماء المصريّين كانوا يُسمّون بلادهم « كمت » ومعناها الأرض السوداء ،

وهي كلمةٌ مأخوذة من الفعلِ « كم » Km بمعنى يسوّد لونُه ، وفي الكلمة إشارة الى أن تربة مصر خِصْبَة ٌ ، غنيّة في عطائها . وقد حوّرت الكلمة في عهد البطالمة (أو البطالسة) فأصْبَحَتْ Chemis أو Chymes وتدّل على الصنعة التي إشتهر بها المصريّون .

وجاء في لسان العرب : الكيمياءُ ، معروفة مثال السِّيمياء : إسم صنعة ، قال الجوهريّ : هو عربيّ ، وقال ابن سِيده : أحسبها أعجميّة ، ولا أدري أهي فِعْلِياء أم فِيعِلاء . ويقال كَمى الشيءَ وتَكَمّاهُ : سَتَرَهُ ، وكَمَى الشهادة يَكْمِيها كَمْياً وأكْماها : كَتَمَها وقَمَعَها ،

قال الشاعرُ :

وإنّي لأكْمِي الناسَ ما أنا مُضْمِرٌ
مَخافَةَ أن يَثْرَى بذلك كَاشِحُ

وقد فسّرها أبو عبدالله محمد الكاتب الخُوارزميّ (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) في كتابه « مفاتيح العلوم » حيث قال : إسمُ هذه الصنعة الكيمياء ، وهو عربيّ واشتقاقه من كمى ، يَكْمي ، إذا ستر وأخفى ، ويُقال كمى الشهادة يكميها إذا كتمها .

إستعمل العلماء العرب كلمة « كيمياء » ومع « ال » التعريف أصبحت « الكيمياء » وعندما إنتقلت الى أوروبا أخذت معها الأسم نفسه — مع (ال)التعريف Alchemy أو AL-Chemie وقد إستعملها روبرت بويل (١٦٢٧ — ١٦٩٤ م)، لكنّه أراد أن يُفرّق بين الكيمياء التي كان يَعملُ بها الدجّالون والسحرة والكيمياء ذات الطابع العلمي الأصيل . فقال Al-chemie للنوع الأوّل ، وإقترح كلمة Chemistry للنوع الثاني ، وبقيَتْ في اللّغة الأنكليزيّة والفرنسيّة لحد اليوم . أما في اللّغة الألمانية فلا يزال الأســم على ما هو بالصيغة العربية ، عدا « ال » التعريف ، وتكتب Chemie وتلفظ الـ ch « ش مخفّفة » ، وفي بعض اللّهجات الألمانيّة تلفظ « ك » . وأمّا في اسبانيا فلا تزال « ال » التعريفمضافة الى الكلمة الأصليّة ، فيقال Al chemie

عندما إنتقلت الكيمياء الى أوروبا أخذ بعض الناس يعملون بها من أجل الحصول على الذهب فكثر المحتالون والدجالون ، ورويت في ذلك الكثير من القصص وقد سميت سيمياء أو شيمياء ، ولا يزال الاسم شائعاً . ونفضل عدم إستعماله ، إذ لاجدوى في هذه التسمية ، والافضل ان يقال (الكيمياء القديمة) بدلا سيمياء أو من شيمياء . ومن الناس من عمل في الكيمياء كعلم له منزلته بين العلوم الأخرى وكانوا يسمونها (الكيمياء) .

* * *

ذهب :

معدنٌ أصفر اللّون ، جميل المنظر ، وهو معروف منذ أقدم العصور ، وله أسماء كثيرة جداً ، ومنها هذا الأسم الشائع الأستعمال . ويُذكر إن العرب أطلقوا عليه هذا المصطلح لأنّه معدنٌ سريع الذهاب بطيء الأياب الى الأصحاب ، وقيل لأنّه من رآه بهت له ويكاد عقله يذهب — لجماله — فسُمّي « الذهب » من الفعل « ذَهَبَ ».

ويَصِفُه البيروني المتوفى سنة ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م ، إن الذهب يُصفى بالنار أو الاذابة وحدها ، أو بالتشوية المسمّاة طبخاً له ، ويستشهد بقول الشاعر أبي إسحاق الصّابيّ :

صُليتُ بنار الهمِّ فأزددتُ صُفْرَةً   كذا الذهبُ الأبريز يصفوا على السّبكِ

وإسم الذهب في اللّغة اللاّتينيّة Aurum ومن هذا الأسم جاء رَمزه الكيمياوي Au وإسمه في اللّغات الحديثة Gold

ملغم :

كلُّ جوهر ذوّاب ، كالذهب ونَحْوه ، خُلِطَ بالزّاووق (أي الزئبق) مَلْغَمٌ ، وقد أُلْغِم فالتغَمَ . جاء هذا المصطلح من الفعل « لَغِمَ » فالذهب يذوب أو « يمتزج » في الزئبق ، والناتج من هذه الأذابة هو « الملغمُ » والجمع « ملاغم » . وقد بقي هذا المصطلح في الكيمياء لحد الآن ، ولجابر بن حيّان كتابٌ مشهور هو « كتاب الملاغم » وصف فيه كيفيّة تحضيرها وخواصها . . . الخ . ومعروف أن

الملاغمَ موادّ كيمياويّة مُهمّة في كثير من الصناعات . والأسم الأنكليزي والفرنسي والألماني هو الأسم العربيّ نفسه

قِلْيٌ وقِلَي :

يُشتقّ هذا المصطلح من الفعل « قَلَى » ويقال قَلَى الشيء قلياً ، وقَلَيْتُ اللحمَ أقليه قلياً إذا شويته .

والقِلْيُ أوالقِلَي : حبٌ يُشبّبُ به العُصْفُر ، ويقال القِلْي يُتّخذُ من الحَمْض ، وأجوده ما أتّخذ من الحُرُض ، ويُتّخذ من أطراف الرِّمث وذلك إذا إسْتَحْكَمَ في آخر الصيف وأصفرّ وأوْرَس .

ويقال لهذا الذي يُغسل به الثياب قِلْيٌ ، وهو رَمادُ الغَضَى والرِّمث يُحرق رطباً ويُرشُّ بالماء فيعقدُ قِلْياً . ويقال القِلْيُ الذي يُتّخذ من الأشْنان وهو القِلَي أيضاً .

ومن المعروف أن القلويات كانت تُحضّر فعلاً من حرق بعض الأعشاب البحريّة ، أو الرمث . . . ورمادُ هذه المواد يحتوي على هيدروكسيدات ، وأكاسيد الفلزات الترابيّة والقلويّة ، كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم .

لقد نُقل هذا المصطلح الى أوروبا (مع ال التعريف) وبقي على حاله حتّى الآن Alkali وقد إشتُقّ منه المصطلح Alkaloids ويُقْصَدُ بذلك القواعد النباتيّة Plant Bases ولم نَتَفق على تعريب هذا المصطلح حتى الآن . فيقال القلويدات النباتيّة أو القلوينات أو شبه قِلَي . وأفضل أن يُصطلح عليها إسم « القواعد النباتيّة » وليس بخاف على الكيمياوي أهميّة هذه المواد في الكيمياء العضويّة ، وكثرة إستعمالها في الطب والصيدلة .

نحاس

وهو أوّل المعادن التي عرفها الأنسان ، وفي اللّغة هو الصُفْرُ الجيّد ، والصُّفْر الذي تُعمل منه الأواني ، والصّفارُ صانع الصُّفر . ويقال للدُّخان الذي فيه لهبٌ نحاسٌ . وجاء في القرآن الكريم « يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ من نارٍ ونُحَاسٌ فلا تَنْتَصِرَان » وقد أجمع المفسّرون على أنّ النُّحاسَ هو الدُّخان الذي يعلو وتَضْعُف حرارتُه ويخلص

من اللّهبِ . ويُقال النُّحاس – بالضّم ، هو الصُفر نفسه . والنِّحاسُ – مكسور ، دُخانه ، كما يُقال الدُّخان هو النُّحاسُ .

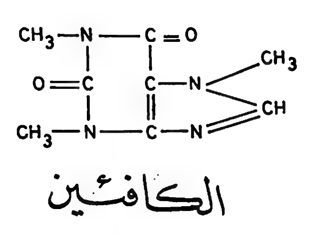
ورُبّما كانت كلمة الصُفْر مشتقّة من الكلمة الأكديّة Sipparru سيبارو أو سيفارو . وقد أطلق اليونانيون المصطلح Kyppros ، كبروس على الصُفر ، كما سُمّيت جزيرة قبرص أو قبرس Cyprus بأسمه ، لأنّه كان يُستخرج منها . وسُمّيَ في اللغة اللاتينيّة ، معدن قبرص aes cyprium ثُمَّ حوّرت الكلمة فأصبحت Cuprum وأخيراً استَقَرَّ الأسمعلى Copper بالأنكليزيّة و Kupfer بالألمانيّة و Cuivre بالفرنسيّة .

من هذا الشرح يتضحُ أن المصطلحَ اللاّتيني Cuprum ، ما هو الاّ مصطلحٌ عربيّ جاء من حضارات وادي الرافدين والحضارة العربيّة المتأخرة .

قهوة :

هي إسم من أسماء الخمرة وسُمّيت بذلك لأنّها تُقهي شاربها عن الطعام ، أي تذهب بشهوته (تُشْبعه) ولَمّا عرَفَ الناسُ البُنَّ ، شاع إسمُه بالقَهْوَةِ إذا حُمِّصَ وطُبِخَ . وكانت القَهْوَةُ تدارُ بالكؤوس ويَشْربونها كالخَمْرَةِ . وقد استعملت في الطب ، فهي منبّهةٌ للقلب والكلى ،وتساعدُ على السهر ، وإزالة التعب ، وشربها بعد الطعام هاضمٌ ومنشطٌ (ولا يجوز الأفراط في شربها) ، كما تُعْطى القهوةُ في حالات التَسَمّمِ بالمخدّرات .

لقد انتقلت القهوةُ الى أوروبا متأخراً (في أوائل القرن السابع عشر) ، وسُمّيت في اللاّتينيّة Coffea arabica ، أي القهوة العربيّة . لقد درس القهوة عددٌ كبيرٌ من الكيمياويين ، وإستخلصوا منها مواد كثيرة ، أهمّها « الكافئين» Caffeine أو التئين Theine لأنّه يُسْتَخْلَصُ من الشّاي أيضاً . وهو مركبٌ عُضْوي من صنف القواعد النباتيّة ، من مجموعة البورينات Purine Compounds



الكافئين

* * *

مسك :

جاء في لسان العرب ، المِسْكُ ضربٌ من الطيب ، مذكّر ، وقد أنّثهُ بعضهم على أنّه جمع ، واحدته مِسْكة .

قال الشاعر (جِران العَوْدِ) :

لقـد عاجَلَتنـي بالسِّبـاب وثوبُهـا
جديـد ومِن أردانهـا المِسْكُ تَنْفَـحُ

ويقال دواءٌ مُمَسّكٌ ، أي فيه مِسْكٌ . وجاء في الحديث الشريف : خُذي فِرْصَة ، فتَمَسّكي بها . وفي رواية أخرى : خُذي فِرْصَةً مُمَسّكَةً فتَطَيّبي بها . (الفِرْصَةُ القِطْعَةُ ، يريد بها قطعة المسك) .

والمِسْكُ إسمٌ غير عربيّ ، فيما يزعم ، معرّب ، وهو من أجَلّ أنواع العطور وأغلاها ثمناً ، ويُحصَلُ عليه من غزال المسك . وكانت العربُ تُسَمّيه « المَشْمُوم »

لقد بقي هذا المصطلح ُ في الكيمياء على النحت العربيّ حتى الآن . ويُسَمّى بالأنكليزية والفرنسيّة والألمانيّة Musk و Muschus . وقد إستُخْرِج منه مركب كيمياوي مُعَقّدُ التركيب نوعاً ما ، وهو الذي يُعطي الرائحة ، وسُمّيَ – موسكون . وهذا المركب من صنف التربينات الحلقيّة التركيب Cyclic Terpenes

$CH_3-CH-CH_2$ / $(CH)_{12}-C=O$

المسكون
(طبيعي)

لمّا كانَ المسكُ غالي الثمن ، فقد عَمَدَ الكيمياوي على إنتاج مركبات كيمياويّة لها رائحة المسك ، وفعلاً تمكّن من ذلك ، وأَنْتَجَ مواد كثيرة رخيصة الثمن . عُرِفت بأسمِ المسك الصُناعي » وهذه المركبات تختلف في تركيبها الكيمياوي عن المسك الطبيعيّ . ومثال ذلك « مسك الزايلين »

CH_3, O_2N, NO_2, CH_3, $C-(CH_3)_3$, NO_2

مسك الزايـلين
(صناعي)

كافور :

الكافور نبات له نورٌ أبيض كـنَـوْرِ الأقـْحُوان ، وقالت العرب : الكافورُ أخلاطٌ تـُجمع من الطيب ، تـُركـّبُ من كافور الطـّلْع (كافور الطلعة وعاؤها الذي ينشقّ

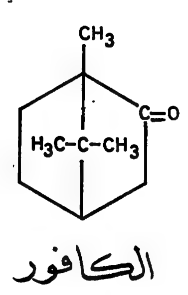
عنها) . وسُمّي كافوراً لأنّه قد كَفَرها أي غطّاها . وجاء في القرآن الكريم « إنّ الأبرارَ يشربونَ مِن كأسٍ كان مِزاجُها كافوراً » .
وقال الشاعر « العجاج »

كالكَرْمِ إذ نادى من الكافُورِ .

وقال ابن دريد : لا أحسب الكافور عربياً لأنّهم رُبّما قالوا القَفُورُ والقافُور (لسان العرب)

يُسَمّى الكافور في اللّغة السنسكريتيّة كاربورا Karpura ثمّ سمّاه سُكّان الملايو والهند كابور Kapur ، وأخذه العرب من الهنود والفرس ، فسمّوه « كافور Kafur » ثمّ سُمّيَ في اللاّتينيّة كامفورا Kamphora . وأوّل استعمالٍ لهذا الأسم في اللغة الأنكليزيّة كان سنة ١٢٣٠م ، حيث إطلق عليه إسم Camphire ، ثمّ حُوِّرَتْ الكلمة طبقاً للأسم اللاّتيني فسُمّي Camphor ، وهو الأسم الشائع الآن في جميع اللّغات الأوروبيّة ، علماً بأنّ الأسبان يُسَمّونه طبقاً للمصطلح العربيّ Al-comphor

ويعرف الكيمياوي إن الكافور مُركّبٌ من صنف التربينات الحلقيّة المركبّة Poly Cyclic Terpenes ، ويُسْتَعْمَلُ في الصناعات الكيمياويّة ، وفي التَعْقيم ، إذ هو أحسن المواد ضد الطُفيليّات النقيعيّة ، وكذلك في تحضير بعض الأدويّة الطبيّة .

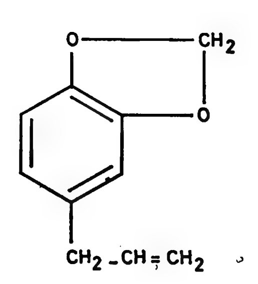


زعفران :

عُرفت هذه النبتة عند البابليين ،واستعملت في الطب ، وفي تحضير البهارات ، كما استعملت في الصباغة ، ولا يزال الزعفران يُعتبر شيخ الأفاويه .

وإسم الزعفران في اللّغة الأكديّة a - Zu - Pi - ru وورد إسمـــه أيضاً في اللّغـــة السومريّة Sam azupiru وجاء المصطلح العربيّ من هذا الأسم السومريّ ، « أزوفيرو » ويعتقد البعض أن إسمه مأخوذ من الفارسية ، وهذا غير وارد ، لأن الأسم معروفٌ والمصطلح واضحٌ في اللّغات القديمة ، وواضح أيضاً أن المصطلح العربيّ نُحت من لغة سكان وادي الرافدين .

وإسم نبتة الزّعْفَرَان في اللّغة اللاّتينيّة Crocus Sativus ، والأســم الشائع في اللّغات الأوروبيّة Safron ، مأخوذ من المصطلح العربيّ . وقد إستخرج الكيمياوي من الزّعْفَــران مــواد كثيرة ، ومنها المركب المعــروف بأسم Safrole ـــ سافرول



كركم :

معروفٌ ، وهو من التوابل الطيّبة ، وله أسماء كثيرة في اللّغة العربيّة ، منها عُرُوق صُفْر ، وزَعْفَران الهند ، وهُرْد ، ووَرَس . والأسم كُرْكُم مُنْحَدِرٌ من الأسم البابليّ Kurkanu ، فقد عرفه سكّان وادي الرافدين معرفة جيّدة وإستعملوه في صناعة التوابل ، وفي صباغة القطن والحرير باللّون الأصفر . وقد بقي يُستعمل كصبغة للحرير حتى نهاية القرن الثامن عشر .

يُسَمّى الكُرْكُم في اللّغات الأوروبيّة Curcuma أو Curcumas ، مأخوذ من الأسم اللاّتينيّ لنبتة الكركم Curcuma Tinctoria . إنّ المصطلح العربيّ واضح كلّ الوضوح في هذه التسمية . وقد إستُخْلِص من الكُرْكُم مادة كيمياويّة تُسَمّى كُرْكومين Curcumineتستعمل في الكيمياء التحليليّة (من الدلائل) Indicator

$$
\begin{array}{l}
\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad OCH_3 \\
CO.CH{=}CH-C_6H_3-OH \\
/ \\
CH_2 \\
\backslash \\
CO.CH{=}CH-C_6H_3-OH \\
\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad\quad OCH_3
\end{array}
$$

الكُرْكومين

كمون :

نباتٌ معروفٌ ، المستعمل منه ثماره ، له حبٌ أدقٌ من السمسم ، واحدته كَمّونة ،

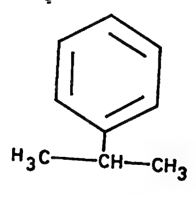
ويُقال له السَنّوت أيضاً . قال الشاعر :

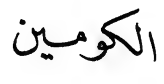
فأصْبَحْتُ كالكَمُّونِ ماتَتْ عُروقُه

وأغصانُه مِمّا يُمَنُّونَه خُضْرُ

إنّ المصطلح كَمّونٌ على أغلب الظَنّ مُشْتق من اللّغة الهيروغليفيّة (المصريّة القديمة) فقد ورد إسمه « كمنيني » وهو أنواعٌ كثيرة منها كمّون أسود ، ويُسمّى حبّة البركة أوشونيز – فارسية أوحبة سوداء، وكمون أرمني وهو الكَرَاويا .

يُسَمّى الكمُّون في اللاتينيّة Cuminum Cyminum مأخوذ من الأسم العربيّ . وإسمه بالأنكليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة Cumin وهو عُشبٌ طبيّ كثير الفوائد والاستعمالات . وتُستخلص منه زيوت طيّارة ، ومواد كيمياويّة عضويّة أخرى ، مثل الكومين Cumine أو الكومول Cumole يستعمل في تحضير بعض الأدويّة لِيُطيّبَ رائحتها وكذلك في صناعة العطور .





* * *

قونيون :

إسمُ عُشبة طِبيّة معروفة ، سامّة جداً ، ويكمُن السُّم في جميع أجزائها . وخلاصة هذه النبتة هو السمُّ المشهور الذي شربه «سقراط الحكيم » عندما حُكمَ عليه بالموت.فقد خيّرتهمحكمة أثينة بالطريقة التي يُريد أن يُعدم بها،فطلب القونيونولذلك سُمّيَ « سم سُقراط » وكان الأثينيون يستعملونه في إهلاك عظماء القوم للتخلّصمنهم .

القونيون إسمٌ معرّبٌ عن الأغريقيّة Conium ، وإسمه في اللاّتينيّة مأخوذ من إسم النبتة Conium maculatum ولهذه النبتة أسماءٌ كثيرة في اللّغة العربيّة ، منها شَوْكَرَان ، وشوكران البساتين ، وقونيون البساتين ، وبقدونس كاذب ، وبقدونس المجانين ، والحَقَوْطة (بعجميّة الأندلس) . ويُسَمّى بالرومانية Cicuta ، وإسمه العلمي في اللّغات الأوروبيّة الحديثة « Conium » ويُسمّى بالأنكليزيّة Helmlock وفي الألمانية Fleckschierling وفي الفرنسيّة Cigue tachetee أو Grande Cigue ولا يفوتنا أن نذكر أن إسم النبتة شَوْكَرَان جاء في النصوص البابليّة القديمة . Kam Sa la li إسْتَخْلصَ الكيمياوي من القونيون مواد كثيرة، من صنف القواعد النباتيّة Alkaloids وأهمّ هذه المواد هو المركب المعروف بأسم «كونيئين Coniine»وهو بسيط التركيب سامٌ جداً ، يُستعمل في الطب لمداوات بعض الأمراض .

H_2
C
H_2C CH_2
H_2C $CH.CH_2.CH_2.CH_3$
N
H

الكونيئين

سِت الحُسْن أو (حسن يوسف)

جاء في تاج العروس : هو نباتٌ يلتوي على الأشجار ، وله زهرٌ حسن ويظهر أن المصطلح دخل اللّغة العربيّة متأخراً ، إذ لم تُذكر هذه النبتة في كتب المُفْردات الطبيّة القديمة .

كان العرب يستعملون نباتات كثيرة في التجميل ، ومن أشهرها نبات العُصْفُر الذي يُحَمّر الخدود عند النساء . ويَعْتَقد البعض أن العُصْفر هو سِتُّ الحُسْن ، وهذا غير وارد ، لأنّ العُصْفر هو القُرْطُم Carthamus tinctoria ويُسَمّى أيضاً زعفران كاذب ، أو زعفران أمريكا ، ويستخرج منه الصُبْغ الأصفر المعروف بأسم Carthamine .

ونبتة سِتُّ الحُسْن معروفة في جنوب أوروبا معرفة جيّدة ، وهي سامّة جداً ، وتُروى عنها قِصَصٌ رومانيّة كثيرة لا مجال لذكرها الآن . وإسم النبتة في اللّغة اللاّتينيّة Atropa Belladona ،وتُسَمّى في الأنكليزيّة Deadly Neightshade عِنَب الثعلب المُميت ، وفي الألمانيّة Tollkirsche حشيشة الحُمْرة . وفي الفرنسيّة والأيطاليّة كالأسم اللاّتينيّ .

إن الكلمة Atropa مأخوذة من الأغريقيّة Atropos أي لا يلتوي ولا يلين . وهو إله القضاء والقدر عند اليونانيين ، المسؤول عن مجرى الحياة . وفي هذا إشارة الى شِدَّةِ السّم في النبتة . Bella dona (إيطاليّة) ، متكوّنة من كلمتين Bella أي جميلة و Dona سيّدة ، أي السيّدة الجميلة .

ويذكر أن نساء أوروبا ، بخاصة الأيطاليّات منهُنّ ، كُنّ يضَعْنَ قطرة من عصير هذه النبتة في عيونهنّ قُبيل دخولهنّ قاعات الأحتفالات العامّة منها والخاصة . فمن خواص هذا العصير (العقار) أنّه يُوَلِّدُ في العين ، لمعاناً وبريقاً كما يُوسّع حَدَقتها ، فتَكتَسِب جمالاً ورونقاً ، ولم يَكُنْ يعبأنَ بتأثيره الجانبيّ ، إذ أنّه يُسَبّبُ غشاوة حادّة تحجب الرؤيا لفترة من الزمن ، حتّى يزول تأثير العقار عن العين .

ولمّا نُقلت النبتة الى الشرق ، أو إسمها فقط (فرُبّما كانت معروفة ولكن بغير هذا الأسم) وضَعَ العربُ لها مصطلحاً جميلاً هو « سِتُّ الحُسْن أو حُسْنُ يوسف (النبي يوسف ع) .

تحتوي ست الحسن على مركب كيمياوي يعرف بأسم أتروبين Atropine يُستَعمل في الطب لأغراض كثيرة ، منها فحص العيون ، والسيطرة على إفرازات الغُدَد

الداخليّة في الجسم . وهو مخدّرٌ وسامٌ ، شديد الخطورة . والأتروبين من صنف القواعد النباتيّة Alkaloids ، يَكْمُنُ بالدرجة الأولى في الأوراق والجذور من النبتة

```
CH2 —— CH ——— CH2
 |      |       |
 |    N·CH3   CH—O—CO—CH—C6H5
 |      |       |       |
CH2 —— CH ——— CH2     CH2OH
```

الاتروبين

* * *

وقبل أن نعرض ما أُعِدّ من آخر الأنماط ، نرى لزاماً علينا أن نُهيبَ بالأعمال العظيمة التي حقّقها المترجمون الأوائل ، فقد إستطاعوا بجدارة تعريب الكثير من المصطلحات في مختلف العلوم والفنون ، وأدخلوها الى اللّغة العربيّة ، وقالوا ـ كما قدّمنا أنّها من أصلٍ كذا وكذا . وهذه هي الأمانة العلميّة الحقيقيّة .

وبعد دور الترجمة جاء دور التأليف والأبداع ، وهنا أخذ الفيلسوف والعالم يَضَع المصطلحات والأسماء ، فجاءت هذه مُكمّلة لما نُقِل وتُرْجِم من قبل ، وكانت حصيلة ذلك كلّه النهضة التي شعَّ نورها من البلاد العربيّة والأسلاميّة الى غيرها من البلدان ، ذلك النور الساطع الذي أنار لأوروبا طريق الفِكْرِ والمعرفة .

زيت الزاج :

وَضَعَ هذا المصطلح جابر بن حيّان ، وإستعمله الرّازي من بعده ، فقد حضّرَ من الزاج الأزرق سائلاً زيتيّ القوام ، أطلق عليه إسم « زيت الزاج » أو الزيت المذيب ، وهذا هو حامض الكبريتيك H2So4 .

والزاج ، جمعها الزاجات ، مواد معروفة منذ العُصُورِ القديمة جداً ، وهي كبريتات المعادن الثقيلة . والزاج الأزرق هو كبريتات النُحاس المائيّة ذات اللّون الأزرق CuSO4. 5H2O

المياهُ الحادّة :

حضَّرَ جابر بن حيّان حامض النتريك ، وربّما حامض الكلوريدريك أيضاً — وقد أطلق على الحوامض المصطلح « المياهُ الحادّة » .

لقد مزج جابر الحامضين (النتريك والكلوريدريك) فحصل على « الماء الحاد » الذي أذاب به الذهب . وقد سُمّيَ هذا الماء في اللّغة اللاّتينيّة — متأخراً — aqua regia أي الماء الذي يُذيب ملك المعادن — الذهب — ، ثمّ سُمّيَ في اللغة الألمانيّة Koenigs wasser أي الماء الملكي .

التكْليس :

قال جابر بن حيّان : إنّ التكليسَ عمليّة ضروريّة في الكيمياء ، وتكاد تكون مقصورة على المعادن ، لأنّها تبدأ بالتسخين الشديد الذي لا تقوى عليه الأرواح — كملح النشادر — فتتطاير ، والغرض من التكليس إزالة الشوائب المُمْتَزَجة بالمعدِن ، وحرقها فتتركه نقياً — وهذه هي إحدى عمليّات التعدين المعروفة اليوم .

ويُقال كَلّسَ ، والكِلْسُ ، والتكليسُ . والكالسيوم ، عنصر مَعْروف Calcium رَمزه Ca

التّصعيدُ :

وَصَفَ جابر بن حيّان التصعيد ، أنّه للارواح بمنزلة التكليس للمعادن ، والمقصود هنا التنقية بطريقةِ التسامي Sublimation ، كتنقيةالكبريت والكافور ، وغيرهما من المواد الكيمياويّة ، عضويّة ، وغير عضويّة .

هذه بعض الأمثلة على ما جاء من مصطلحات في الحضارة العربيّة ، وهي غيضٌ من فيضٍ . ونرجو أن يُعتبر هذا الحديث بمثابة المفتاح لفتح باب المناقشة عن وضع المصطلح الكيمياويّ الذي إجتمعنا من أجله في بلدنا الثاني — تونس الحبيبة — ولنا وطيد الأمل بأن نخرج بأسس بنّاءةٍ يسير عليها المؤلّفون والمترجمون من أبناء أُمّتنا .

وقد يسألُ سائلٌ ، كيف أختيرت هذه الأنماطُ ، والجواب على ذلك هو : إنّنا دقّقنا أكثر من ستمائة مصطلح ، فأصيبَ ما دُرس منها في « القُرعةِ » وليس بالتعيين . وعَسى أن نكون قد إستطعنا عرْضها بصورة تَتَفّقُ وواقعها العلمي .

إنّ الكَشْفَ عن المزيدِ من المآثر العربيّة أمرٌ منوطٌ بشباب هذه الأمّة ، ذات الحضارة العريقةِ ، وهم علماءُ المُستَقْبل ، وعليهم تَقَعُ مَسؤولية النهوضِ بها ، وإعادة مَجدِها العلمي الذي خلّف للحضارة الأنسانيّة أجلّ الخدمات . وندعوا الله العليُّ القدير بأن يأتي اليوم الذي يتَلاقى فيه المغربُ والمشرق في فكرٍ عربيّ جديدٍ يتَلاءمُ والمدنيّة العالميّة الحاضرة وعلومها الحديثة . « وإنّ غداً لِناظره قريب » .

ونرجو أن يُوّفق كل من « مكتب تنسيق التعريب في الرباط » و « بيت الحكمة في بغداد » في أعمالهما .

وقُل إعمَلُوا فَسَيَرى اللهُ عَمَلَكُمْ ورسُولُه والمؤْمِنُون .

المراجع :

١ – لسان العرب – لأبن منظور .

٢ – القاموس المحيط – للفيروز أبادي .

٣ – محيط المحيط – للبستاني – بيرو ت ١٩٧٧ .

٤ – معجم في العلوم الطبيّة والطبيعيّة (قاموس شرف – القاهرة ١٩٢٩)

٥ – معجم الألفاظ الزراعية – مصطفى الشهابي – القاهرة ١٩٥٧ .

٦ – المورد – منير البعلبكي – بيروت ١٩٦٩ .

٧ – معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس – مصطفى الدمياطي . القاهرة ١٩٦٥

٨ – شرح أسماء العقار – لأبي عمران موسى القرطبي – تحقيق ماكس مايرهوف القاهرة ١٩٤٠ .

٩– الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (لأبن البيطار)

١٠– إحياء التذكرة – رمزي مفتاح – مصر ١٩٥٣ .

١١– المعتمد في الأدوية المفردة – تحقيق مصطفى السقّا – مصر ١٩٥١)

١٢– تذكرة ابن أرمانيوس – ١٩٢٢ القاهرة .

١٣– كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء – لأبي هلال العسكري – ج (٢) تحقيق عزّة حسن – دمشق ١٩٧٠

١٤- تحفة حكيم مؤمن - تحقيق محمود نجم أبادي - إيران .
١٥- التداوي بالأعشاب - أمين رويحة - بيروت ١٩٦٥ .
١٦- جابر الشكري - محاظرات في تاريخ العلم والحضارة .العربية - ملازم ١٩٧٨.
١٧- جابر الشكري - الكيمياوي - المجلد الثاني - العدد الثاني - ١٩٧٨ .
١٨- Der New Brockhaus (Leibzig 1938)
١٩- British Encyclopedia (1977)
٢٠- B. Neuman : Lehrbuch der Chemischen Technologie (Berlin 1938)
٢١- P. Karrer : Organic Chemistry (Amster dam 1950)
٢٢- H. Remy : Lehrbuch der Anorganischen Chemie (Leibzig 1940)
٢٣- M. Levey : Chemistry and Chemical Technologie in Ancient Mesopotanie (Elsevier 1959
٢٤- V. Tyer & E. Claus : Pharmacognosy (Philad 1968)

جابر الشكري

التدوين التاريخي

بداياته وإسهام تراثنا الحضاري في تطويره

طه باقر

عضو المجمع العلمي العراقي
الاستاذ بكلية الآداب – جامعة بغداد

مقدمة : في تعريف التأريخ ومكانته من اصناف العلوم والمعارف .

تعني كلمة التأريخ العربية لغة تحديد الزمن[١] ، من مادة « أرَّخ » « يؤرخ » التي ترجع في اصلها الى كلمة « أرخْ » او « وَرَخْ » ومعناها الشهر في اللغات العربية القديمة(اللغات السامية) ومنها اللغة الاكدية (البابلية والاشورية)في حضارة وادي الرافدين وعرف الاله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم « وَرَخْ »بالاضافة إلى اسمائه الأخرى مثل « المقا » و « ود » . و « سين » في العراق .

ويطلق على التأريخ فياللغات الأوربية كلمةHISTORY التي كان علىما يرجح اول من اطلقها على التأريخ المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودوتس » (القرن الخامس ق . م) حيث استعمل كلمة (HISTORIA) ، وقصد منها البحث والتحري في احداث الماضي وتدوينها وتسجيلها . وسيمر بنافي كلامنا على نشأة التأريخ وتطور تدوينه كيف أن ابن خلدون عرف التأريخ في مقدمته الشهيرة انه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص أي بالمعنى الذي استعمله هيرودوتس تقريبا .

وقد وضعت جملة تعاريف للتأريخ اقدمها التعريف الذي ظل في الاستعمال الى اواخر القرن الثامن عشر تقريبا وهو أن التأريخ سجل الماضي أي سجل الاحداث

---

(١) مادة أرخ ومنها تأريخ في المعاجم العربية مثل لسان العرب لابن منظور تعني تعريف الوقت والتوقيت . ويروي اراء بعض اللغويين العرب من ان التأريخ ليس بعربي محض ، وأن العرب المسلمين اخذوه من اهل الكتاب . وتستعمل كلمة التأريخ بمعنى العهد الذي يؤرخ منه أو به ، اي ما يصطلح عليه في اللغات الفرنجية (ERA) ، فيقال تأريخ المسلمين أي العهد الهجري .

الماضية . ولكن اتسع مدلول التاريخ ومفهومه في ضوء نظريات التطور والعلوم الاجتماعية الحديثة فأصبح في مفهومه الحديث دراسة احوال المجتمعات الماضية أي دراسة تطور الانسان وما انتجه من منجزات حضارية وما تركته هذه المنجزات من تأثيرات في تطور الحاضر والحضارة المعاصرة . وبعبارة أخرى الوقوف على تطور الانسان لمعرفة ما هو الانسان ، وما هي القوانين التي تسير تطور المجتمعات وتتحكم في سيرها التأريخي من نشوء ونمو وازدهار وتوقف وتدهور وانحلال . وبالمقارنة مع هذه الاتجاهات الحديثة في درس التاريخ واهدافه . درج المؤرخون القدامى على الاهتمام بالتأريخ السياسي اي سردالاحداث السياسية كالحروب واخبار الملوك والحكام وتعاقب السلالات الحاكمة ، ولم يهتموا كثيرا في التأريخ الحضاري والثقافي الذي اصبح هو الاتجاه الغالب على الدراسات التأريخية الحديثة وقصر التأريخ السياسي على جعله مجرد خلفية تأريخية او مقدمة وتمهيد لدرس الاوجه الحضارية في التأريخ البشري ، لما للاحداث السياسية من ترابط وتفاعل وثيقين مع التطورات الحضارية .

ومع أن مصطلح « تأريخ ، صار يطلق على موضوع خاص من المعارف ، بيد أن كلمة تأريخ العربية و (HISTORY) في اللغات الأوربية تستعمل بالاضافة الى ذلك المعنى الاصطلاحي في معان أخرى منها أنها تعني ماجريات الحوادث الماضية ، فنجد عبارات مألوفة في هدا المعنى مثل عبارة « صانعي التأريخ » ، التي لا يقصد منها مدونو التأريخ بل الرجال الذين كانت لاعمالهم تأثيرات مهمة في سير التأريخ . وتستعمل كلمة تأريخ أيضا بمعنى احداث قطر معين او شخصية تأريخية معينة . وقد يرد هذا الاستعمال بمعنى قريب من ذلك في موضوعات لا تتعلق باعمال الانسان كقولنا تأريخ النخيل وتأريخ الملاريا وتأريخ الجمل ونحوها . ومن الاستعمالات الشائعة لكلمة تأريخ أنها تطلق كما ذكرنا على العهد الثابت الذي يؤرخ منه مثل قولنا التأريخ الهجري والتأريخ الميلادي اي بمعنى ERA) .

أما المعنى الاصطلاحي للتأريخ الذي نوهنا به فهو أن التأريخ فرع من فروع المعارف البشرية قوامه التحري والتحقيق اي تحري الحقائق الماضية التي يتوصل اليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو الذي يطلق عليه منهج البحث التأريخي HISTORICAL

(METHOD) او كما يسمى في الالمانية (DIE HISTORIK)

هل التاريخ علم ؟

يثير المعنى الاصطلاحي للتأريخ الذي اوجزناه قضية مهمة ما زالت مدار خلاف بين الباحثين وما بين المؤرخين أنفسهم وهي هل ان التأريخ علم ؟ واذا كان كذلك فأي صنف من اصناف العلوم هو ؟ والاجابة الصحيحة على هذا التساؤل تعتمد ، كما هو واضح ، على تعريف العلم ومفهومه بمختلف اصنافه وفروعه . فمن الباحثين من يعرف العلم تعريفا محدودا ضيقا يقتصر بالدرجة الأولى على العلوم الطبيعية والعلوم المضبوطة (EXACT SCIENCES) ، وهو أن العلم مجموعة من الحقائق المنتظمة المتشابهة التي امكن الوصول اليها عن طريق المختبر والتجربة ، وهي على هيئة تعميمات أو قواعد عامة او قوانين يمكن بواسطتها التنبؤ عن ظهور ظواهر او حوادث مشابهة في ظروف معينة ومتشابهة[1]. فاذا ما اقتصرنا في مفهوم التأريخ ومدلوله على هذا التعريف الضيق الذي اوردناه للعلم فان التأريخ على ماهو واضح لا يمكن ان يكون علماً ، ولكن الواقع ان التعريف الذي اوردناه للعلم تعريف محدود كما قلنا ويقتصر على العلوم الطبيعية والعلوم المضبوطة كما بينا ، في حين ان هناك علوماً معترفاً بها تعتمد على القوانين والقواعد العامة ولكنها تفتقر إلى بعض الشروط التي يضعها ذلك التعريف الضيق ، ومنها الجيولوجيا اي علم الارض (GEOLOGY) وعلم الفلك (ASTRONOMY وغيرهما حيث ينقصهما عنصر مهم من مستلزمات العلوم الطبيعية ونعني بذلك الملاحظة المباشرة والتجارب المختبرية (EXPERIMENTS)فلا يمكن لهذين العلمين ان يقوما بها لجمع الكثير من حقائقهما ومعلوماتهما . فلا يستطيع الجيولوجي مثلا ان يجري التجارب المختبرية على الحوادث والظواهر الجيولوجية التي حدثت في العصور الماضية من حياة الأرض ، وانما جل ما يستطيع ان يفعله هو أن يدرس الاحوال الحاضرة للأرض فيستنتج منها تأريخ الأرض كما ان الفلكي لا يستطيع أن يخضع الظواهر الفلكية التي يدرسها الى التجارب والمختبر ولا الى الملاحظة المسيطر عليها لان ذلك خارج سيطرته ، فيقتصر في منهج بحثه العلمي

---

(١) راجع اي معجم انجليزي او المرجع الآتي:
An Outline of Modern Knowlege (1931) pp. 775 ft.

على ملاحظة ورصد الاجرام والظواهر السماوية ليستخرج منها الحقائق والقوانين التي تحكمها. ومثل ذلك يقال عن العالم الاجتماعي المتخصص بعلم الاجتماع (SOCIOLOGY) الذي يكون الانسان وهو في المجتمع موضوع تحرياته ودراسته فليس باستطاعته ان يجري التجارب المختبرية على المجتمعات البشرية. وبعبارة أخرى ان هذه الفروع من المعارف البشرية وغيرها مما لا يشك في كونها علوماً تعتمد في منهج بحثها العلمي الملاحظة والرصد التي لاتخضع للسيطرة (UNCONTROLLED OBSERVATIONS) وخلاصة القول إن التعريف الضيق الذي ذكرناه للعلم لا ينطبق على جميع الدراسات العلمية التي لا خلاف بين الباحثين على انها علوم. ولذلك ارتأى الباحثون أن يعرفوا العلم تعريفا اوسع نطاقا هو ان العلم مجموعة منظمة ومنتظمة من الحقائق امكن الوصول اليها وفق منهج خاص من البحث العلمي ، وانه يسعى جاهدا لاستخراج القواعد العامة أي القوانين التي تفسر وتحكم الظواهر التي يبحث فيها . ويكون بعض هذه القواعد مثل القوانين التي تستخرجها العلوم الطبيعية والعلوم المضبوطة كالكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة والرياضيات قوانين مضبوطة مطردة يمكن التنبؤ بها (PREDICTION) وبعضها لم يبلغ بعد مرتبة القوانين المضبوطة بل هي مجرد قواعد عامة تقريبية قد تصل على ايدي الباحثين المختصين في مواصلة دراساتهم المقارنة الى القوانين المضبوطة ، ومنهم علماء الاجتماع والمؤرخون الذين يسعون جاهدين لاكتشاف القواعد العامة المسيرة لاحداث التأريخ وتطور المجتمع .

ولعل اشبه واقرب موضوع بالتأريخ علم الجيولوجيا . فكما ان الجيولوجي يبحث في احوال الأرض الماضية ليقف على اسرار الظواهر الجيولوجية الحاضرة ، كذلك يبحث المؤرخ في أحداث الماضي ومخلفاته ليعرف الحاضر ، لان الحاضر وليد الماضي ، كما ان المستقبل وليد الحاضر .

والى هذا فان أهم ما يبرر تأكيد القائلين بان التأريخ علم من العلوم هو أن التأريخ يشارك العلوم الاخرى بوجه عام في اهم ما يميزها وهو ان لها منهجا خاصاً بها في اسلوب بحثها (METHOD) يمكنه من جمع مادته وحقائقه والقواعد التي يستخلصها . ونقصد بذلك ما ذكرناه باسم الطريقة التأريخية (HISTORICAL METHOD) .

وقد سبق ان نـــوهنا باختلاف علم التأريـــخ عن العلوم الأخرى ولا سيما العلوم الطبيعية المضبوطة من حيث تعذر الاستعانة بالتجارب والمختبر في التأريخ . ولعل أحسن ما يوصـــف به التـــأريخ بصفته علما انه من العلوم الوثائقية (DOCUMENTARY SCIENCES) أي العلوم التي تعتمد على الوثائق التي خلفها الماضي سواء كانت بقايا مادية ام مدونات تأريخية . وهو مثل العلوم الأخرى يجهد في استخراج القواعد والقوانين التي تسير المجتمعات البشرية وتطورها . على ان ما يستطيع اكتشافه من هذه القوانين لا يبلغ دقة واطراد القوانين التي تتوصل اليها العلوم الطبيعية وامكان التنبؤ بها . ولعل في مقدمة أسباب ذلك ان قانون «العلية» (LAW OF CAUSALITY) في التأريخ والاحداث الاجتماعيـــة متناه في التعقيد ؛ فان الحادثـــة التأريخية مهما بلغت من البساطة انما تقع بفعل سلسلة متشابكة من العوامل والاسباب بخلاف الحوادث الطبيعية التي يبحث فيها علماء الطبيعة حيث تكون اسبابها والعلاقات ما بينها سهلة الاكتشاف اذا ما قيست بالحوادث التي يبحث فيها المؤرخ والعالم الاجتماعي ، فانها أفعال تصدر من فاعلين يتصفون بالفكر والقصد والحوافز المعقدة . ولكن مع ذلك فان معظم حوادث التأريخ ليست فوضى او حوادث فردية عشوائية لا ضابط لها ، وانما تقع بسبب حقيقة كون الانسان يعيش في مجتمعات تتحكم فيها الانظمة الاجتماعية ، وتسيطر على نشاطها وافعالها القوانين الاجتماعية العامة ، والا لما امكن أن ينشأ ما نسميه بعلم الاجتماع والعمران (SOCIOLOGY) الذي يدرس المؤسسات والنظم الاجتماعية دراسة مقارنة ويستخرج من هذه الدراسة القواعد الكلية التي يفيد منها المؤرخ اذ يتداخل موضوعه في الكثير من موضوعات علم الاجتماع والاقتصاد . ولعل الانسان الحديث الذي اطلق عليه علماء الانسان (الانثروبولوجيون) « الانسان العاقل » (HOMO SAPIENS) سيبرر أهليتـــه لهذا اللقب فيجد للوصول الى معرفة نفسه ، وهي المعرفـــة التي جعلها الفيلسوف سقراط وغيره من الحكماء على رأس الفضائل الانسانية ، وقد رأى بعض مشاهير الباحثين في التأريخ أن اهم هدف من اهداف التأريخ « اعرف نفسك » بالنسبة الى الجنس البشري . والأمل وطيد بان هذا الجنس سيستمر على مواصلة البحث والكشف عن اسرار التطور الاجتماعي والوقوف على القوانين

التي تتحكم في سير هذا التطور عن طريق البحث المقارن ما بين المجتمعات والحضارات المختلفة . ويجدر أن ننوه في هذا الصدد بان علم الآثار منذ ان ظهر في الحضارة الحديثة في منتصف القرن الماضي قد وضع في متناول أيدي المؤرخين والباحثين في العمران البشري مادة غزيرة تمكنهم من الدرس المقارن (COMPARATIVE STUDY) بين الحضارات الكثيرة التي كشف عن مخلفاتها وبقاياها ، وكان عددٌ كبير منها لا يعرف عنه شيء حتى مجرد اسمائها .

وبالاضافة الى مشاركة التأريخ لكثير من العلوم في السعي وراء استخراج القوانين والقواعد العامة المسيرة للتأريخ ، فان منهج البحث الذي يتبعه المؤرخ والذي نوهنا به في جمع مادته ودرسها ونقدها وتحليلها وتفسيرها هو الذي يؤهل التأريخ كما قلنا لان يكون علماً من العلوم وليس أدبا او فنا . ولعل من اهم الاسباب التي يتذرع بها المعترضون على كون التاريخ علماً هي ان منهج البحث الخاص بالتأريخ لم يبلغ تطوره الكامل ولم توضع قواعده واصوله إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، على ان بداياته واسسه قد ظهرت في بعض الحضارات القديمة وبوجه خاص على ايدي بعض المؤرخين اليونان وبعض المؤرخين في الحضارة العربية الاسلامية كما سيتضح ذلك من استعراضنا لنشأة تدوين التأريخ في القسم الثاني من هذا الموجز . ومن الاسباب الأخرى التي حملت بعض الباحثين النقاد على ابعاد التأريخ من حظيرة العلوم أن المرحلة الأخيرة من منهج البحث التاريخي وهي مرحلة التأليف وعرض المادة التي يجمعها المؤرخ بالاساليب العلمية انما تقوم بوجه أساسي على الأدب والفن اي اتباع العرض الفني الأدبي . ولكن الواقع ان الاسلوب اللغوي الأدبي الذي استعمل في المرحلة الأخيرة من البحث التأريخي انما اتخذ وسيلة للعرض ، وانه حتى في هذه المرحلة الأخيرة التي يدخل فيها الفن والأدب يتبع الباحث المؤرخ قواعد المنطق التي تحكم التفكير الانساني . ولعل أحسن ما يقال بهذا الصدد هو أن أحسن تأريخ يكتب للناس هو ذلك التأريخ الذي اعتمد في جمع مادته على الطرق العلمية في منهج البحث التأريخي وعلى الفن والأدب في عرض تلك المادة .

* * *

نشأة التدوين التأريخي وأسهام تراثنا الحضاري في تطويره :-

١- التأريخ بالرواية الشفهية : -

قبل ان يبدأ اقدم تدوين لاحداث الماضي في الحضارات القديمة التي قامت في ارجاء الوطن العربي واقدمها حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل في مطلع الألف الثالث ق.م. كانت الرواية الشفهية هي الوسيلة الوحيدة في تناقل اخبار الماضي واحداثه . ويتفق الباحثون في تطور الانسان على ان أهم ما يميزه عن سائر افراد المملكة الحيوانية اللغة وصنع الآلة . وعن طريق هاتين الميزتين نشأت حضارة الانسان . واذا تجاوزنا الكلام على صنع الآلة الذي يكون موضوعاً خارج بحثنا فان النوع الانساني استطاع باللغة ان ينقل الى الآخرين من افراد نوعه خبراته وتجاربه وهي وسيلة في التفاهم معهم وتبادل الخبرات والمهارات معهم ، وبذلك تنمو وتزداد مهاراته العقلية وقابلياته التقنية (التكنولوجية) وبعبارة موجزة كانت اللغة ولا تزال عند النوع الانساني وسيلة التعلم والتعليم والتطور بنقل الخبرات والتجارب من جيل الى جيل . ومن ذلك رواية أحداث الماضي ، وهذا هو التأريخ الشفهي الذي لازم الانسان منذ ظهور ملكة اللغة والكلام عنده قبل مئات الالوف من السنين . فقد نشأ عند الانسان ما يصح أن نسميه بالحس التأريخي اي الاهتمام بالماضي واخباره وتراثه . واخذ هذا الحس او الاهتمام بحوادث الماضي اشكالا مختلفة عند الشعوب كالروايات والقصص ورواية اعمال الابطال التي دخل فيها عنصر الخيال فنشأت الاساطير وملاحم البطولة والابطال . وهكذا نشأت رواية التأريخ والقصة . وظلت الرواية الشفهية لاحداث الماضي تمارس عند الشعوب المختلفة حتى من بعد اختراع الانسان وسيلة للتدوين أي الكتابة ، وقد كان ذلك لأول مرة في تأريخ النوع الانساني في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل قبل نحو (٥٠٠٠) عام .

والمجمع عليه بين الباحثين ان معظم الملاحم والقصص الكبرى التي اشتهرت في تأريخ الحضارات المختلفة ترجع في اصولها قبل تدوينها بالكتابة الى تداولها بالرواية الشفهية بين القصاصين والشعراء . وظلت كذلك اجيالاً عديدة قبل ان تدون في شكلها النهائي التي جاء تنافيه . ويكفي ان نذكر من الامثلة الشهيرة على ذلك من ادب الحضارات القديمة « ملحمة جلجامش » في حضارة وادي الرافدين والالياذة والاوديسة في الحضارة

اليونانية ، واخبار الوقائع الحربية ما بين القبائل العربية في العصر الجاهلي مما يعرف في المآثر العربية باسم « أيام العرب » ؛ ومثل قصص الف ليلة وليلة وحروب الهلاليين وقبائل البربر في شمالي افريقية مما لا يزال يتناقله القصاصون في رواية « ابو زيد الهلالي والزناتي » . ويمكن القول إن هذا النوع من التاريخ بالرواية الشفهية لا يزال شائع التداول بين الجماهير الشعبية عند معظم الأمم . وسيمر بنا كيف ان القرآن الكريم والاحاديث بقيت فترة من الزمن وهي محفوظة بالرواية الشفهية قبل تدوينها .

٢- التدوين التأريخي في الحضارات القديمة :-

بدأ تدوين شؤون الحياة المختلفة ومنها تدوين أحداث الماضي منذ ان ظهرت في اولى الحضارات البشرية ، وهما حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل ، وسيلة للتدوين أي الكتابة قبل اكثر من خمسة الاف عام ، اذ اخترع سكان وادي الرافدين ما اطلق عليه الباحثون الخط المسماري (CUNEIFORM) ، وقد سمي بهذا المصطلح لأن شكل هذا الخط في ادواره الاخيرة التي تعرف عليها المكتشفون الأوائل في منتصف القرن الماضي كانت العلامات فيه تنتهي بما يشبه رؤس الاسافين اوالمسامير (CUNUS)واعقبه الخط الهيروغليفي(HIEROGLYPHIC)في حضارة وادي النيل ، ويعني في اليونانية « الخط المقدس» وبعد فترة غير طويلة على اختراع هذين الخطين ظهرت المدونات التأريخية للاحداث الماضيةوالمعاصرة .

ومما يجدر التنبيه عليه اننا في استعراضنا لاساليب التدوين التأريخي لهاتين الحضارتين لا نتوقع ان نجد في مدوناتهما التأريخية المفاهيم العلمية الحديثة للتأريخ المتميزة باساليب النقد والتمحيص والعرض ، مما نجده في قواعد منهج البحث التأريخي الحديث الذي قلنا إنه لم تتوطد اسسه وقواعده إلا منذ اواخر القرن الثامن عشر ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بوجه خاص . وتضاهي الاساليب التي اتبعها الكتبة والمدونون في حضارة وادي الرافدين اساليب المؤرخين في الحضارات القديمة اللاحقة التي اقتبست امورا أساسية من اساليب التدوين التأريخي مع ما اقتبسته من العناصر الحضارية الكثيرة .

ولكن على الرغم من عدم انطباق مفاهيم تدوين التأريخ الحديثة على اسلوب التدوين في حضارة وادي الرافدين فانه يمكن تاكيد القول إن اسساً مهمة يقوم عليها التأريخ قد

وضعت في تلك الحضارة ، وفي مقدمة ذلك ما يصح أن نطلق عليه مصطلح «الحس التأريخي» الذي يظهر جليا في اهتمام سكان العراق القدماء باحداث الماضي وتراثه وتدوينها . والى ذلك نجد في تدوين التأريخ في حضارة وادي الرافدين بدايات بعض الاهداف الرئيسية التي تهدف اليها دراسة التأريخ في مفهومه الحديث ، ومنها اهتمام الانسان في تتبع اصول الانظمة الاجتماعية وتطورها وتعليل احداث التأريخ وتفسيرها ، حيث نجد أولى المحاولات عند الكتبة والادباء في حضارة وادي الرافدين لتعليل اصول الاشياء واصل الانسان والحياة والتطور الحضاري بوجه عام. بيد أنهم عبروا عن مثل هذه الامور بلغة الشعر والاساطير (MYTHOLOGY) والرموز الاسطورية مما انتقل الى الحضارات المختلفة ومنها الحضارة اليونانية . وكانت مثل هذه الاساطير والآراء المادة الأولى التي بنى عليها المفكرون اليونان تعليلاتهم واراءهم الفلسفية المتعلقة باصل الاشياء .

ومن الاهداف العامة التي يتوخاها المؤرخون المحدثون من درس التأريخ ربط الماضي بالحاضر لفهم هذا الحاضر ، فنجد بداية هذه الاهداف عند مؤرخي العراق القديم وبوجه خاص الكتبة الاشوريين ، كما يظهر ذلك جليا في الكتابات الرسمية العائدة الى الملوك والحكام (ROYAL INSCRIPTIONS) التي لم يقتصروا في تدوينها على تسجيل اعمال الملوك من بناء وتعمير وحملات حربية ، بل انهم كانوا غالبما يصدرونها بديباجات تأريخية يذكرون فيها الحوادث الماضية وربطها بالاعمال التي اضطلع بها الملك .

ولعل ابلغ ما يدل على اهتمام القوم بتراث الماضي والعلوم والمعارف ما ورد في احدى الروايات المتعلقة بالطوفان الواردة في تأريخ المؤرخ البابلي الشهير « بيروسس » (مطلع القرن الثالث ق . م .) الذي سيرد ذكره ، فقد ذكر لنا انه قبيل حدوث الطوفان اوعزت الآلهة لاحد الحكماء ان يدون علوم العصر ومعارفه على الحجر والواح الطين ويدفنها في مدينة « سبار » (تل ابو حبة القريب من اليوسفية)

وبدأت في المدونات التاريخية البابلية ما يعرف الآن في الحضارة الحديثة بالتأريخ العالمي (HISTORIA MUNDI) حيث لم يقتصر بعض المدونات التاريخية

التي جاءت الينا من العراق القديم على تدوين احداث دولة او سلالة او ملك بل حاول الكتبة القدماء تدوين وتفسير تأريخ العالم منذ الخليقة والطوفان الذي جعلوه حدثاً فاصلا حاسماً بين التأريخ القديم والحديث او ما يضاهي تقسيم التأريخ الى عصور ما قبل الميلاد وبعد الميلاد وقد جاء ذلك واضحاً في احد قصص الطوفان المطولة المعروفة بعنوان « أترا حاسس » نسبة الى اسم بطل الطوفان بحسب هذه القصة(١) التي تناولت أصل نظام الحكم ومثل اسطورة الخليقة البابلية الشهيرة(٢) كما دونت لنا الملحمة اول واقدم ثورة سياسية اجتماعية عرفها الانسان ، وتناولت كذلك خلق الانسان والغرض الذي توخته الآلهة من ذلك الخلق . ولعله يمكن القول إن رواية احداث التأريخ منذ الخليقة التي شاعت عند معظم المؤرخين القدماء ومنهم المؤرخون العرب صار تقليدا متوارثا من اساليب تدوين التأريخ عند كتبة العراق القديم .

وقبل ان نعدد المدونات التأريخية التي مارسها مؤرخو العراق القديم واشتهرت بها حضارة وادي الرافدين يجدر ان نوضح قليلا ما سبق أن نوهنا به من ان الكتبة والمدونين في تلك الحضارة اشتهروا بما سميناه بالحس التأريخي HISTORICAL SENSE الذي ظهر جليا فيها بحيث يمكن تأكيد القول انها تفردت وتميزت به عن سائر الحضارات القديمة . وكان من بين ما نوهنا به ان ذلك الحس التأريخي يظهر بوضوح في عدة مظاهر برزت في السجلات المدونة التي خلفتها لنا تلك الحضارة وكلها بين بجلاء اهتمام القوم بالماضي واحداثه وتراثه والبحث عنها في السجلات والمخلفات القديمة التـي سبقت أزمانهم . وبالاضافة الى الامثلة التأريخية التي استشهدنا بها على مدى تشبع القوم بالحس التأريخي نضيف اليها امثلة تأريخية أخرى تتميز بالطرافة وتكاد ان تكون الأولى من نوعها في تاريخ الحضارات البشرية . واول ما نذكر من هذه الامثلة اهتمام الملوك والحكام في تلك الحضارة بالتعرف على سجلات ماضيهم وتراثهم القومي . وقد ظهر هذا الولع التأريخي بوضوح عند بعض ملوكهم واشهرهم الملك البابلي « نبونيدس » (٥٥٥–٥٣٩

---

(١) حول هذه القصة المهمة راجع المصادر الاساسية الآتية : –

1. Lambert and MillARDd, Atra-Hasis. History of Man-Kind (1969)

2. Ancient Near Eastern Texts (1969)

طه باقر : « مقدمة في أدب العراق القديم » (١٩٧٦)

(٢) راجع المصدرين الثاني والثالث في الهامش رقم ١ .

ق . م .) وهو آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة او الأخيرة التي اشتهرت بملكها « نبوخذنصر » (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م.) . فان الملك « نبونيدس »[١] الغريب الاطوار قد تجاوز المدى الذي سار فيه اسلافه من ملوك العراق القديم في موضوع الولع بالتعرف على الماضي وتراثه ، ذلك بانه لم يكتف بالبحث عن السجلات القديمة والوثائق المدونة المحفوظة في دور الكتب القديمة في المعابد والقصور بل انه اجرى تنقيبات أثر يةفي بعض المدن القديمة وكانت الأولى من نوعها في البحث عن الآثار المطمورة اي ما يسمى الآن بالتنقيبات الأثرية ، وبذلك يمكن عده اول منقب اثري في التأريخ . وقد دون طرفا من نشاطه في التنقيبات الاثرية في الاسطوانة الطينية المنقوشة بالخط المسماري وقد عثر عليها في مدينة « سبار » (ابو حبة الآن بالقرب من اليوسفية)[٢].حيث يذكر كيف انه حفر في اسس المعابد القديمة والابراج المدرجة (الزقورات) في مدينة اور وفي « سبار » فوجد في سبار مدونات الملوك القدماء الذين عاشوا قبله بعشرات القرون ومنهم الملك الاكدي الشهير سرجون (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق.م.ـ) ومدونات حفيده « نرام – سين » (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م .) . وقد بالغ هذا الملك الاثري في تأريخ هذين الملكين بما لا يقل عن الف عام .

وقد عثر المنقبون الالمان في القصر الشمالي للملك البابلي « نبوخذنصر » (٦٠٥–٥٦٢ ق . م .) على مجموعات من الآثار كالمنحوتات وغيرها وكلها من ازمان تسبق زمنه

---

(١) اشتهر نبو نيدس بعلاقته بشمالي جزيرة العرب واقامته طوال عشر سنوات فيتيماء حيث جعلها مقراً له وشيد فيها قصراً لا تزال بقاياه (انظر طه باقر : مقدمةفيتأريخ الحضارات القديمة،الجزء الأول(١٩٧٣).

(٢) اشتهرت هذه المدينة الكبيرة في تأريخ حضارة وادي الرافدين بكونها من المدن الخمس التيحكم فيها ملوك في ازمان ما قبل الطوفان ، واكتسبتشهرة كبيرة بكونها مركز عبادة اله الشمس البابلي « شمش » ، وكانت من اشهر المراكز الاقتصادية . وقد باشر قسم الآثار في كلية الآداب تنقيباته فيها منذ عام ١٩٧٨ – ١٩٧٩ وعثرعلىمجموعات مهمة من الواح الطين مما يبشر بنتائج مهمة. كما كانت بقايا هذه المدينة مسرحاً لنشاط المنقبين الاوائل من امثال « بج » وهرمزرسام (عن المتحف البريطاني) والمنقب الفرنسي « شايل » في اواخر القرن التاسع عشر حيث عثروا على عشرات الالوف من رقم الطين المدونة بشتى انواع النشاطات الأقتصادية والدينية . وكان من بينها اسطوانة « نبو نيدس »التي ذكرناها . انظر المصادر الاساسية عنها : –

1- R.J. Lauma and D. Prince, The Abu Habba Cyinder of Nabunaid (1905)

2- Peiser in Keilsclriftliche Bibliothek Vol. 3, 2, p. 96 ff.

وبعضها آثار أجنبية كالآثار الحثية (من تركية) ومن الباحثين من يفسر اسد بابل الشهير على انه من بين تلك الآثار ، وان ذلك الملك خصص جزءاً من قصره ليكون متحفا عرض فيه الآثار التي غنمها في حروبه الخارجية ، وبذلك يكون هذا اول متحف من نوعه في تأريخ انشاء المتاحف . ووجد المنقبون ايضاً في مدينة « اور » الشهيرة ، في القصر الذي خصص لابنة الملك البابلي « نبونيدس » المسماة « بيل – شلطي – ننا » على مخلفات اثرية مختلفة ، ومن بينها ما يسمى باحجار الحدود من الدور « الكاشي » (القرن الرابع عشر ق . م .) ، كما وجدت كسر من تماثيل تعود لملوك سلالة اور الثالثة ومنهم الملك « شولكي » الذي حكم قبل زمن ابنة الملك بحقبة لا تقل عن الف وخمسمائة عام . وقد فسر هذا الموضع من القصر بان ابنة الملك التي كانت الكاهنة العليا للاله القمر « سين » في اور خصصته ليكون متحفا .

ومن الامثلة الأخرى الطريفة على اهتمام حكام العراق القديم بالتدوين والتسجيل والحفاظ على تراث الماضي نجدها في ملحمة « جلجامش » الشهيرة[1] ، فان تلك الملحمة الخالدة سجلت لنا في مقدمتها (اللوح الأول) وخاتمتها ، كيف ان بطل الملحمة جلجامش نقش على الواح من الحجر كل خبراته ومعاناته ودفنها في اسس معابد مدينته الوركاء ، ومن ذلك اخبار ازمان ما قبل الطوفان التي رواها وسجلها ،

رواية « بيروسس » عن الطوفان :

وآخر مثال نذكره ما سبق ان نوهنا به عن رواية الطوفان بحسب ما ذكره المؤرخ البابلي الشهير « بيروسس » الذي سيأتي التعريف به حيث دون تأريخ بلاد بابل منذ الخليقة والطوفان الى زمن الاسكندر الكبير (القرن الرابع ق . م .) . فقد جاء في الكتاب الثاني من تأريخه المعنون باليونانية « بلاد بابل » (BABYLONIAKA) خبر الطوفان[2] بحسب اقتباس المؤرخ المسمى « الاسكندر بوليهستر » (POLYHISTOR) (القرن الأول ق . م .) النص الطريف الذي يروى

---

(١) انظر الترجمة العربية للملحمة لكاتب هذا البحث (١٩٧٥) ، اللوح الأول وعن الاضافات المهمة لهذا اللوح مما يتعلق بالموضوع راجع :

Wiseman, in IRAQ, XXXVII (1975), 157 ff.

(٢) اشهر المدونات المسمارية الخاصة بالطوفان في حضارة وادي الرافدين : =

من بين ما يروي عن الطوفان ان الاله الذي التزم جانب البشر في الرؤى والاحلام انذر بطل الطوفان (زيوسدرا) بقرب وقوعه وان ينجو هو وزوجته واهله وصفوة من صحبه بالسفينة التي امره بصنعها ، كما امره ان يجمع المدونات المسمارية القديمة بازمانها المختلفة ويدفنها في حفرة في مدينة سبار وبعد انحسار الطوفان وتأليه بطل الطوفان وزوجته امر الناجين من البشر بان يرجعوا من بلاد ارمينية حيث استقرت السفينة الى بلاد بابل ويذهبوا الى مدينة سبار ويستخرجوا الالواح المدفونة وينشروا بين الناس ما فيها من علوم ومعارف وحكمة .

اشهر انواع المدونات التأريخية في حضارة وادي الرافدين : —

ننهي هذه الملاحظات الموجزة عن التدوين التأريخي في حضارة وادي الرافدين بتعداد اشهر انواع المدونات التأريخية التي جاءت الينا من الكتبة والمؤرخين في تلك الحضارة والتي يمكن حصرها في الاصناف الآتية : [٢]

١ — جداول الملوك والسلالات الحاكمة	(king-Lists)
٢ — التأريخ التعاصري	(Synchrouistic History)
٣ — ما يسمى بالتواريخ او الاخبار	(Chronicles)
٤ — الحوليات	(Annals)
٥ — المدونات الرسمية	(Royal Inscriptions)

* * *

١ — جداول او اثبات الملوك والسلالات

= القصة الطويلة المعروفة باسم « اترا — حاسس » وعنوانها في البابلية « حينما كان الاله مثل البشر »

1. Lambert and Millard , Atra - hasis. The Babylonian Story of the Flood (1964) .

(٢) اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش .

(٣) الرواية السوبرية القصيرة المدونة بعنوان « زيو سدرا » (Ziusudra)

(١) انظر المصدر الخاص بقصة « اترا — حاسس » في الحاشية السابقة .

(٢) حول الاساليب التي اتبعت في حضارة وادي الرافدين في تأريخ الحوادث راجع ايجاز ذلك في : طه باقر « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول (١٩٧٣) .

تظم الكتبة في حضارة وادي الرافدين اثباتا او جداول باسماء الملوك والسلالات الحاكمة وعدد سني ملوكها وخلفوا لنا نماذج مهمة وطريفة عن مثل هذا النوع من المدونات التأريخية التي تكون مصدرا من أهم مصادرنا عن تاريخ العراق القديم بالاضافة الى اهمية كونها نموذجاً من نماذج التدوين التأريخي يعد اقدم ما زاوله الانسان من تدوين التاريخ . وكان بعض هذه الجداول محدودا يقتصر على حكم سلالة واحدة كما في الجدول الخاص بسلالة بابل الأولى (سلالة حمورابي الشهيرة) والسلالات البابلية الأخرى وجداول الملوك الاشوريين[١] ، كما ان بعض هذه الجداول يقتصر على سني حكم ملك واحد وتسمية السنين المتخذة تأريخا والتي دامها حكمه .

واشتهرت من هذه الجداول ما يعرف لدى الباحثين الآن باسم « جداول الملوك السومرية » (SUMERIAN KING-LIST) وهي اطول ثبت باسماء الملوك والسلالات الحاكمة في العراق القديم منذ ازمان ما قبل الطوفان التي يعدد لها هذا الثبت خمس سلالات حكمت في خمس مدن قديمة[٢] وعدد ملوكها ثمانية ملوك حكموا مدة اسطورية من السنين هي ٢٤١٫٠٠٠ عام . ويعقب ذلك حدوث الطوفان وتدمير العمران . ومن بعد الطوفان هبطت الملوكية مرة أخرى من السماء وحلت في مدن مشهورة حيث تعدد الجداول المذكورة المدن المشهورة التي حكمت فيها سلالات اولاها سلالة مدينة كيش الشهيرة (تلول الاحيمر الآن الى الشرق من بابل بنحو ١٠ أميال) واعقبها خمس عشرة سلالة آخرها السلالة التي حكمت في مدينة « إيسن : » (ايشان بحريات بالقرب من الوركاء) ويرجع الى عهد هذه السلالة آخر نشرة لهذه الجداول . والمرجح أن زمن تدوينها كان في مطلع عهد سلالة اور الثالثة (٢١١ — ٢٠٠٤ ق . م .

وبما ان الغرض من ذكر هذه الجداول ليس تحليلها على انها مصدر مهم من مصادر تأريخ العراق القديم بل على انها نموذج لاقدم تدوين تأريخي فاننا نكتفي بذكر

---

(١) راجع عن هذه الجداول المصدر .

Ancient Near Eastern Texts 1969

وكتابي المعنون : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الجزء الأول ١٩٧٣) .

(٢) وهذه بحسب قدمها وتسلسل ورودها في هذا الثبت :—

(١) «أور» (ابو شهرين) ، (٢) بادرتبيرا (تل المدينة على بعد نحو ٤ كم شمال شرق الوركاء)

(٣) لرك (تل الالوية، في ناحية الحسينة (٤) سبار (ابو حبة بالقرب من اليوسفية) (٥) شروباك (تل فارة بالقرب من الوركاء) .

بعض الامور والملاحظات الخاصة بشأن اساليب التدوين التأريخي وتطورها. واول ما نذكر بديهية هي ان جامعي تلك الجداول لم يكونوا قد اعتمدوا على الذاكرة والرواية الشفهية في تعدادهم لتلك السلالات وملوكها وقد سبقت زمنهم بعشرات بل مئات من القرون . فيقتضي المنطق التأريخي أنهم استقوا معلوماتهم من وثائق تأريخية رجعوا اليها في اماكن حفظها او سجلات تأريخية في خزانات الواح الطين المدونة فيها والمودعة في الاماكن المخصصة لها كالمعابد وقصور الملوك اي في دور الكتب التي اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين . ونجد في ذلك بعبارة أخرى نشوء اولى المراحل والخطوات التي يتبعها المؤرخون المحدثون وهي جمع الاصول او المصادر من « الارشيفات » او دور السجلات المختلفة . وملاحظة أخرى يجدر ذكرها وقد سبق التنويه بها هي اننا نجد في هذه الاثبات اولى المحاولات في تدوين التأريخ العام من عصور ما قبل الطوفان ومنذ الخليقة ، كما نجد في هذه الاثبات ما تواضع عليه المؤرخون من تقسيم التأريخ العام الى ادوار او عهود ، واشهر هذه التقسيمات تأريخ ما قبل الميلاد وبعده حيث جعل الطوفان في تلك الاثبات حدثا فاصلا ما بين عهدين متميزين من تأريخ العالم . وثمت ملاحظة أخرى مهمة تتعلق باساليب التدوين التأريخي هي ان جداول الملوك بمختلف انواعها لم تقتصر على مجرد تعداد السلالات الحاكمة وملوكها وسني حكمهم ، بل ان جامعيها كثيرا ما كانوا يضيفون اليها ازاء حكم بعض الملوك او في آخر حكم السلالة بعض التعليقات التأريخية المهمة من وجهة نظرهم.وقد افاد منها الباحثون المحدثون فوائد ثمينة عن احوال العراق القديم السياسة . ويكفي ان نذكر من هذه التعليقات مثالين بارزين عليها . فالمثال الأول الذي نختاره التعليق الذي أثبته جامعو جداول الملوك السومرية في نهاية السلالة الاكدية (سلالة سرجون الاكدي الشهيرة ٢٣٣٤ — ٢١٥٤ ق.م.) التي قضى عليها الكوتيون البرابرة حيث جاءت العبارة الطريفة التي تشير الى الفوضى السياسية من بعد سقوط تلك السلالة وهي : « من كان الملك ومن كان غير الملك ؟) . والمثال الثاني ما جاء في جداول الملوك الآشوريين من ذكر كسوف للشمس حدث في حكم الملك الاشوري المسمى « آشور — دان » الثالث (٧٧٢ — ٧٥٥ ق . م .) وقد كان ذكر هذا الحدث مفتاحاً من مفاتيح تحديد ادوار التأريخ الاشوري بوجه خاص وتأريخ

العراق القديم بوجه عام . فقد استطاع الباحثون المحدثون بواسطة الحسابات الفلكية الدقيقة تحديد زمن ذلك الكسوف بانه وقع في ١٥ حزيران عام ٧٦٣ ق . م . فكان هذا التأريخ نقطة ثابتة لتحديد عهود الملوك الآشوريين وملوك العراق القديم بالنسبة الى عهد الميلاد وما قبل الميلاد .

٢ – التاريخ المتعاصر :– طور المؤرخون والكتبة الاشوريون اسلوب تدوين جداول السلالات والملوك الى نوع مهم من التدوين التأريخي اطلق عليه الباحثون المحدثون مصطلح « التأريخ المتعاصر : (SYNCHRONISTIC HISTORY) وقد جاء الينا منه نموذج مهم هو عبارة عن موجز للعلاقات السياسية ما بين ملوك بابل وبلاد آشور . فقد قسموا الجدول الى حقلين متقابلين ذكر في احدهما الملوك البابليون وعددهم ٩٨ ملكا وفي الحقل الثاني معاصروهم من الملوك الآشوريين وعددهم ٨٢ ملكاً ، ابتداء من اقدم ملوكهم المسمى « ايريشم » الى حكم آخرالملوك الاشوريين وهو « آشور بانيبال » القرن السابع ق . م .)

٣ – الاخبار والتواريخ والحوليات : – والف المؤرخون البابليون تواريخ عن الماضي كانت اقرب الى مفهوم التأريخ ، وقد سماها الباحثون المحدثون بمصطلح التواريخ او الاخبار (CHRONICLES) ، وتضمنت اشهر الاحداث التاريخية في بلاد بابل وآشور ، واشهرها التأريخ الذي تبتدى حوادثه منذ القرن الثامن ق . م . ، وتنتهي الى ما بعد حكم الملك السلوقي « سلوقس » الثالث (٢٢٥ – ٢٢٣ ق.م.) . وقد اتبع مدنو هذا النوع من التاريخ اسلوب الحوليات (ANNALS) اي سرد الحوادث عاما بعد عام على غرار بعض المؤرخين الرومان والعرب . وقد اتبع الاسلوب الحولي ايضا الكتبة الآشوريون في تدوين اخبار الملوك الآشوريين واعمالهم الحربية والعمرانية .

ونختتم هذه الملاحظات عن التدوين التأريخي في حضارة وادي الرافدين في التنويه بكتاب تأريخي بابلي ، عرفه المؤرخون والكتاب اليونان والرومان ، ذلك هو التأريخ الذي الفه باللغة اليونانية الكاهن البابلي الوارد ذكره في المصادرالكلاسيكية(اليونانية والرومانية) باسم « بيروسُس » (BEROSSUS) (الذي يرجح ان اسمه محرف عن الصيغة

البابلية برخوشــا او برعوشا) . وقد عاش هــذا الكاهن المؤرخ فــي عهد الملك السلوقي« انطيوخس » الأول (٢٧٩ — ٢١١ ق.م.) ، وقد ضمنه تأريخ بلاد ما بين النهرين منذ الخليقة والطوفان الى فتح الاسكندر للعراق (٣٣١ ق.م.) وعنونه باليونانية « بلاد بابل » (BABYLONIACA) او «بلاد كلدية»(CHALDAICA) وذكر المؤرخون اليونان ان « بيروسس » عاش برهة من الزمن في الجزيرة اليونانية « كوس » (COS) وانه أسس هناك مدرسة ، درس فيها ، ويروى عنه انه قال انه كان معاصراً للاسكندر الكبير . وبما ان هذا الملك مات شابا (بعمر ٣٣ عام في ٣٢٣ ق.م. في مدينة بابل) ، فينبغي أن يكون بيروسس قد ظل على قيد الحياة من بعده واهدى تأريخه الى الملك السلوقي انطيوخس الأول . وكان الغرض من تأليفه لكتابه تعريف اليونان بتأريخ بلاد بابل وابراز قدمه الواغل في الزمن ولكن على الرغم من انتشار الكتاب بين المثقفين من اليونان في العصر الهلنستي بيد أن الكتاب لم ينتشر الانتشار الذي اراده له مؤلفه ، بل اقتصرت معرفته على بضعة كتاب ومؤرخين .

ومما يؤسف عليه ان هذا الكتاب التأريخي القيم قد ضاع وتقتصر معرفتنا به على الاقتباسات الكثيرة التي اخذت منه ، واشهرها مقتبسات المؤرخ « بولي هستر » (POLYHISTOR) (القرن الأول ق.م.)،والمؤرخاليهودي«جوزيفس» (٣٧—١٠٠م) والمؤرخ الروماني « يوسبيوس » (٢٦٥ — ٣٤٠ م) والمؤرخ « سنكيلوس » (SYNCHYLOS) القرن الثامن الميلادي[1]

وقد سبق‌ان نوهنا برواية « بيروسس » عن الطوفان حيث استشهدنا بها على ما سميناه بالحس التأريخي في حضارة وادي الرافدين وولع القوم بالماضي وتراثه والبحث عنه وحفظه .

* * *

(١) نذكر فيمايلي‌اهم الدراسات‌عن بيروسس وتاريخه ، وقدنشر فيها مابقى من‌نصوص اغريقيه للتكاب‌وترجمته لها بالالمانية :—

(1 P. Schambel, Berossus nd die Bablonisch. hellenistische Literatur

2. F. Taoby, Die Fragmente der grieclische Historiker.

. وتصدق معظم الملاحظات التي اوردناها عن تدوين التأريخ في حضارة وادي الرافدين على التدوين التأريخي في حضارة وادي النيل ، فقد خلف لنا الكتبة المصريون نصوصاً كثيرة ومتنوعة عن احداث الماضي وسجلات باعمال الملوك ، كما نظموا ،مثل الكتبة البابليين ، اثباتا او جداول باسماء الملوك والسلالات ، اشهرها الجدول الذي دونه في تأريخه الكاهن المصري « منيثو » ، نظير الكاهن البابلي « بيروسش » ومعاصره في الزمن تقريباً فكلاهما عاش في مطلع القرن الثالث ق.م. حيث كان يحكم في بلاد بابل خلفاء الاسكندر السلوقيون ، والبطالمة ، خلفاء الاسكندر ايضا حكموا فيمصر. وقد قسم المؤرخ المصري « منيثو » السلالات الحاكمة في مصر الى ٣١ اسرة او سلالة منذ اواخر عصور ما قبل التأريخ . وقد اتبع الباحثون المحدثون هذا التقسيم .

* * *

تدوين التأريخ عند اليونان والرومان :—

لما كان البحث مخصصا بالدرجة الأولى لتتبع تدوين التأريخ في حضاراتنا القديمة والحضارة العربية الاسلامية ، فلا يسعنا ان نسهب القول عن هذا الموضوع في الحضارة اليونانية ثم الرومانية اللتين اقتبسنا كثيرا من المقومات والعناصر الحضارية من حضاراتنا القديمة كما اجمع على ذلك الباحثون الثقاة . ولذلك فاتماماً للفائدة يحسن ان نورد نبذة مختصرة عن تدوين التأريخ عند اليونان والرومان ، واول ما نذكر ان اليونان جريا على ناموس التطور الحضاري واصلوا من بعد الاقتباس الحضاري تطوير العلوم والمعارف التي اقتبسوها ، وتقدمت المعرفة البشرية على ايديهم اشواطا بعيدة ومنها تطويرهم لفن تدوين التأريخ . ولعل ابرز ما تميز به المفكرون اليونان ولعهم وشغفهم في البحث والتحري والبحث عن اصل الاشياء وعلاقاتها ، بحيث يصح القول إن الفلسفة بحسب مفهومها الدقيق كانت من ابداعاتهم الفكرية ، وان مفكريهم حولوا كثيرا من الاساطير المتعلقة باصل الكون والاساطير التي اقتبسوها من حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل الى آراء عقلانية وتعليلات فلسفية . وكان من بين الامور التي شغلت بال المفكرين اليونان التحري عن اخبار الماضي وهو الموضوعالذي اطلقوا عليه مصطلح HISTORIA الذي هو أصل كلمة تأريخ (HISTORY) في معظم اللغات الأوربية . ويرجع

ان اقدم مؤرخ وجغرافي يوناني حفظ التأريخ اسمه هو « هيكاتيوس» (HECATAEUS) من اهل مليطية في آيونيا . وقد ولد في عام ٥٤٠ ق.م . وهو العام الذي توفي فيه المفكر اليوناني الشهير « طاليس » (THALES)وكان مسقط رأسه مليطية أيضاً وقد كتب « هيكاتيوس » عن انساب القبائل اليونانية وهجراتها وعرف عنه ولعه في التنقل والاسفار وجمع من ذلك معلوماته حيث كتب في الجغرافية ايضا وكان اقدم جغرافي في الحضارة اليونانية كما يعزى اليه اقدم رسم لخارطة الارض المضاهية لخارطة العالم البابلية (ما بين القرنين السابع والسادس ق.م.)

ويرى معظم الباحثين أن المؤرخ اليوناني الذي اعقبه وهو « هيرودوتس » الشهير (في حدود ٤٨٤ ـــ ٤٢٥ ق.م.) قد اقتبس منه اشياء كثيرة من معارفه التأريخية والجغرافية . ويمكن عد « هيرودوتس » بانه أشهر وأقدم مؤرخ في الحضارة اليونانية ونال شهرة واسعة في العالم الغربي بحيث لقبه الكاتب والخطيب اليوناني الشهير «شيشرون» (CICERO) (١٠٦ ـــ ٤٣ ق.م.) بلقب ابيالتاريخ ، وهو اللقبالذي اشتهر به في العالم منذ آنذاك ، وفي كتابه الشهير الذي كان موضوعه الاساسي تدوين اخبار الحروب الفارسية ـــ اليونانية (٤٩٠ ـــ ٤٨٠ ق.م.) معلومات كثيرة وشيقة عن الامم والشعوب الاخرى ومنها بلاد مصر وبلاد بابل وآشور وعن شمالي افريقية ولا سيما أجزاؤها الشمالية التي كانت تسمى ليبيا حيث لم يظهر في الاستعمال بعد تسمية افريقية . ومع أن الاخبار التي أوردها هيرودوتس يتخللها الكثير من الاساطير والاوهام ـــ وكثيرا ما كان هيرودوتس يرويها كما سمعها ـــ بيد أنه يمكن اعتباره أول مؤرخ عالمي تناول احوال الشعوب وعاداتها ونظمها الاجتماعية والسياسية . وقد سبق ان ذكرنا ان هيرودوتس أول من أستعمل كلمة التأريخ وباليونانية HISTORIA) لاطلاقها على هذا النوع من المعارف البشرية ، ومما لا شك فيه أن أسفاره وتنقلاته الكثيرة الى عدة اقطار مثل مصر وشمالي افريقية وبلاد بابل قد مكنته من جمع تلك المعلومات والاخبار الطريفة . وينقسم تأريخه الى تسعة كتب او اجزاء سمى كل منها باسم اجدى الالهات التسع الخاصة

بالادب والشعر والموسيقى والفن اي ما يعرف في اليونانية باسم(MUSES) والمرجح ان هذه التقسيمات وتسمياتها لم تكن من وضع هيرودوتس بل اضافها الناشرون اليونان من مدرسة الاسكندرية[١٣] .

وخلف هيرودوتس في تدوين التأريخ في الحضارة اليونانية المؤرخ « ثوسيداديز » (وباللفظ اليوناني ثوكيدايدز THUCYDIDES) (٤٧١ — ٤٠١ ق . م .) الذي كان احد قواد أثينة العسكريين ، وبعد أن نحي من منصبه لاخفاقه في احدى المعارك اعتزل الخدمة العامة وتفرغ لتدوين تأريخ الحروب التي نشبت ما بين أثينة واسبارطة واحلافهما والتي عرفت في تأريخ اليونان باسم الحروب « البيلوبونيزية » (PELOPONNESIAN WARS) ٤٣١ — ٤٠٤ ق . م) واشترك فيها ، وتميزت روايته لها بالوثوق والنقد والتحليل ، كما كان تأريخه من اقدم ما يسمى بالتأريخ السياسي الحزبي ، وقد ضمن كتابه بعض الآراء والنظريات في تفسير التأريخ ، ومن ذلك وجود دورات في التأريخ .

ونذكر من مشاهير المؤرخين اليونان والرومان الذين عاشوا فيما يسمى في تأريخ الرومان بالعهد الجمهوري المؤرخ « بوليبيوس » (POLYBIUS) (٢٠٥ — ١٢٣ ق.م.) وكان هذا يونانيا أسره الرومان وأخذوه رهينة الى ايطالية (١٦٧ ق . م) . فالف في منفاه تأريخه الشهير باللغة اليونانية ، وعني بالدرجة الأولى في تأريخ الرومان ولا سيما تأريخهم الدستوري . ومن المؤرخين الذين دونوا باللغة اليونانية المؤرخ « فلوطرخ» (PLUTARCH) (٤٠ — ١٢٠ م) الذي عاش في رومة ودون فيها تأريخه ، وكان من نوع تأريخ التراجم او السير وقد نظمه باسلوب طريف بان يشرح سيرة احد اليونان ويتبعها بسيرة مضاهية من عظماء الرومان ، فمثلا ذكر سيرة الاسكندر الكبير (٣٥٦ — ٣٢٣ ق.م.) وبموازاته سيرة يوليوس قيصر « (١٠٢ — ٤٤ ق.م.) ، وتضمن كتابه ثلاثا وعشرين شخصية تأريخية بارزة ، ولذلك اطلق على تأريخه السير المتناظرة (PRALLEL LIVES) . اما المؤرخون الذين كانوا من اصل روماني صرف فكانوا قليلي العدد ، وكان اقدم ما ظهر من مدوناتهم التأريخيةتأريخ الحروب « الغالية » Gallic Wars

(١٢) كتب عن هيرودوتس وتاريخه بحوث كثيرة . راجع اشهرها في المصدر الآتي :-
J.L. Myres, Herodotus. Father of History (1953)

بقلم يوليوس قيصر ، الذي تميزت كتاباته التأريخية بجاذبية العرض ووضوح الاسلوب . وعاصر « يوليوس قيصر » قائد ومؤرخ روماني هو « سالوست» (SALLUST) (٨٦ ـ ٣٤ ق.م.) الذي دون اخبار الأحداث المضطربة التي عاصرها ودون اخبار الحروب « اليوغرثية » (JUGARTHIC WARS) التي نشبت قبل قبل زمنه بنحو جيلين ، واشتق اسمها من اسم الملك البربري (النوميدي اي الجزائري (يوغرثا JUGARTHA .). ومن المؤرخين الرومان المشهورين المؤرخ « ليفي » (LIVY) (٥٩ ق .م . ـ ١٧ م) الذي دون تأريخ الرومان في العهدين الجمهوري والامبراطوري . وبعد نحو قرن من الزمان ظهر عند الرومان المؤرخ الشهير « تاسيتوس » (TACITUS) (٥٥ ـ ١١٨ م) وتميزت كتاباته بالاسلوب اللغوي البلاغي ، واشتهر في مؤلفاته التأريخية حولياته ANNALS التي ضمنها الفضائح التي عمت بلاط الامبراطورين « طيبريوس » TIBERIUS (١٤ ـ ٣٧ م) ونيرون (٥٤ ـ ٦٨ م) . ونقرأ في أخباره عن حكم الامبراطور الثاني اسم المسيح والمسيحيين يرد لأول مرة في أخبار المؤرخين الرومان وكيف ان نيرون اتهم المسيحيين القلائل في رومة في تدبير الحريق الهائل الذي أتى على معظم مبانيها ومعالمها .

وبعد انتشار المسيحية ما بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين واتخاذها الديانة الرسمية للامبراطورية من قبل الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م) ظهرت جماعة من الكتاب المؤرخين اشهرهم « يوسبيوس » EUSEBIUS (٢٦٥ ـ ٣٤٠م الذي كان اسقف قيصرية في فلسطين والف باليونانية كتابه الشهير المعنون « التواريخ (CHRONICLES) كمادون عن التاريخ الكنسي ECCLESIASTIC HISTORY (٣٢٤ م) ، ومنهم القديس « جيروم » JEROME (٣٤٠ ـ ٤٢٠ م) الذي اشتهر بترجمة التوراة الى اللاتينية .

ودخلت اوربة من بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية على ايدي البرابرة الجرمان وسقوط رومة (٤٧٦ م) في عصور مظلمة سياسيا وحضاريا على الرغم من بقاء القسم الشرقي من تلك الامبراطورية فيما يسمى بالدولة البيزنطية (الروم الشرقيين) في القسطنطينية) وسادت الكنيسة ونظامها وعلى رأسها البابوات اوربة الى مطلع ظهور

الدول القومية الاوربية منذ القرن الرابع عشر الميلادي وانبعاث ما يسمى بالنهضة الأوربية . و كان يقابل تلك العصور المظلمة في اوربة عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي حملت مشعل العلوم والمعارف ردحاً طويلا من الزمن وتنتقل منها العلوم والمعارف الى جهات العالم المختلفة ومنها العالم الأوربي عن طريق الاتصالات التجارية والحروب الصيلبية (١٠٩٥ - ١٢٩١ م) وعن طريق عرب الاندلس في اسبانية الى غير ذلك من الحقائقالتأريخية التي لا تدخل في موضوعنا فنقتصر على موضوع تدوين التأريخ وهو ما سنتناوله في القسم الآتي من هذا البحث

تدوين التأريخ في الحضارة العربية الاسلامية * * *

تدوين التأريخ في الحضارة العربية الاسلامية جانب من أهم جوانب تراث هذه الحضارة فينبغي تأكيده ومعالجته من جانب المؤرخين المعنيين بتراث هذه الحضارة في الحضارة الراهنة ، على ان يتم علاج هذا الموضوع المهم من زوايا ووجهات نظر جديدة بتأكيد اسهام التدوين التأريخي عند المؤرخين العرب في بدء أهم مرحلة من مراحل البحث التأريخي الحديث التي قلنا إنها هي التي تؤهل التأريخ لان يعد علماً من العلوم ، واعني بذلك النقد التاريخي . وسنحاول البرهنة على أن أسس النقد وقواعده قد وضعها المؤرخون العرب قبل أن تظهر في الحضارة الغربية ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . كما ينبغي التأكيد ان تدوين التأريخ او علم التأريخ كان من بين العلوم والمعارف الاصيلة التي ابتدعت في الحضارة العربية الاسلامية فقد استتبعت ظهور الدين الاسلامي ومنها علوم اللغة المختلفة والمعاجم وعلم التفسير الحديث وعلم الفقه وغيرها من العلوم والمعارف التي لم يقتبس الباحثون العرب عنها اشياء تستحق الذكر من الحضارات القديمة السابقة . فالثابت تأريخيا ان العرب لم يترجموا شيئا من المدونات التأريخية أو الادبية اليونانية والرومانية باستثناء ما ترشحاليهم من اخبار واساطير عنطريقالسريان والفرس واليهود وغيرهممن أهلالكتابولا سيمامن اسلم وادخل طائفة من الاسرائيليات مثل كعب الاحبار ووهب بن منبة وغيرهما .

وقبل ان نبرهن بالشواهد التأريخية على أهمية اسهام المؤرخين العرب في وضع أسس النقد التأريخي يجدر أن نتتبع بالايجاز ظهور التدوين التأريخي وتطوره في

الحضارة العربية الاسلامية ، لنقف على مدى الاصالة في ظهور هذا الفرع المهم من فروع المعرفة فيها . فنقول إنه قبل أن تظهر المؤلفات والمدونات التأريخية منذ القرن الثاني الهجري (الثامن والتاسع الميلاديين) كان التاريخ عند العرب يقوم بالدرجة الأولى على الرواية الشفوية كما كان الحال في الحضارات القديمة قبل ظهور التدوين ومن ذلك رواية أيام العرب (أي حروب القبائل) والانساب(GENEOLOGY) واخبار بلاد العرب الجنوبية . ومن البديهي ان يتخلل هذا الضرب من التاريخ الشفهي الكثير من الاساطير والخيال . وازدادت عناية القوم من بعد ظهور الدعوة الاسلامية باخبار العرب في العصر الجاهلي وبعض الامم القديمة . واشتهر في هذا الميدان جماعة من الرواة مثل وهب بن منبه الذي مر ذكره »(١١٠ — ٧٢٨م) وعبيد بن شُرية الذي يذكره المسعودي في كتابه « مروج الذهب » أنه الف لمعاوية كتابا بعنوان « كتاب الملوك وأخبار لماضين » . ويمكننا أن نضيف الى أمثال هؤلاء من رواة الأخبار اللغويين ولا سيما النحاة الذين شرعوا منذ القرن الثاني الهجري في دراسة اشعار العرب في العصر الجاهلي ، وتطرقوا في بحوثهم اللغوية الى أخبار العرب ايضا . وعنيت طائفة أخرى من الرواة وهم الاخباريون بالغزوات والفتوحات الاسلامية ، وبرزت اسماء من هؤلاء الاخباريين منهم « أبو محنف الازدي » (المتوفى في حدود ١٥٧ هـ — ٧٧٣ م) . و « هشام بن محمد الكلبي » (المتوفى في ٢٠٤ هـ — ٨١٩ م) و « ابو عبيدة » (المتوفى في حدود ٢١٠ هـ — ٨٢٧ م) والمدائني (المتوفى في حدود ٢٢٥ هـ — ٨٣٩م).

وقبل ان نتكلم عن نشوء النقد التأريخي عند المؤرخين العرب الذي استتبع جمع القرآن الكريم والاحاديث النبوية والتفسير ، نتابع بايجاز تطورفن التدوين التأريخي في الحضارة العربية الاسلامية فنقول إن الحاجة الى معرفة سير الرواة للتثبت من الاحاديث النبوية ولدت في الحضارة العربية نوعاً من التدوين التأريخي يجمع ما بين علم الحديث والتأريخ والمغازي والسير . والفت في هذه الموضوعات كتب مشهورة «مثل طبقات ابن سعد» (المتوفى ٢٣٠هـ — ٨٤٤م) وطبقات الحفاظ » للذهبي (المتوفي ٨٤٨هـ ١٣٤٨م) كما ظهرت كتب في تأريخ المغازي مثل كتاب «محمد بن مسلم الزهري(المتوفى ١٢٢هـ — ٧٤١م)، واعقبه جماعة من تلاميذه منهم « محمد بن اسحق » (المتوفى ١٥٥ — ٧٦٨) و مع

أن كتبه لم تصل الينا بيد أن ابن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ – ٨٣٣ م نقل كتابهاو كتبه بشيء من التعديل والتحوير في كتابه الشهير عن «السيرة» ومثل الواقدي(٢١٨ – ٨٣٣م) في كتابه الشهير « المغازي » .

انواع المدونات التأريخية العربية : –

يمكن القول بوجه عام ان المدونات التأريخية في الحضارة العربية الاسلامية أخذت تتكاثر وتتنوع منذ ما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث ظهرت كتب مشهورة في ما يصح أن نسميه التأريخ العام UNIVERSAL HISTORY واشهر الامثلة على هذا الصنف من التأريخ تأريخ محمد بن جرير الطبري(٨٣٨–٩٢٣م) المعروف بعنوان « اخبار الرسل والملوك » وله ايضاً « جامع البيان في تفسير القرآن»ومثل ابن الأثير (عزالدين) وكتابه في التأريخ العـــام الموسوم « الكامل » وأبي الفداء (١٢٧٣ – ١٣٣١ م) وكتابه المشهور « المختصر في تأريخ البشر » والف ايضا في الجغرافية وله في ذلك « تقويم البلدان » ، ومثل تأريخ ابن خلدون العام (١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) ؛ ومقدمته المشهورة التي كانت اول بحث في تطور العمران والاجتماع البشري وفلسفة التأريخ .

ولعل الامثلة التي ذكرناها على موضوع التأريخ العام في الحضارة العربية تكفي فنذكر صنفا آخر من التدوين التأريخي في تلك الحضارة وهي التأريخ الخاص اي كتب التأريخ التي تناولت واختصت بتأريخ قطر خاص من اقطار الامبراطورية العربية – الاسلامية الشاسعة ، او تاريخ مدينة معنية ومثل كتب السير واشهرها السيرة النبوية لابن هشام وتأريخ الخلفاء للسيوطي (٩١١ هـ – ١٥٠٥ م) ومن الامثلة على تأريخ قطر خاص كتاب : « البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشي (المتوفى في حدود ١٢٩٥ م) ومثل كتاب البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨ م) عن الهند المعنون » الآثار الباقية من القرون الخالية و عن تاريخ المدن المشهورة منها مكة في تأريخ الفاسي والفاكهي والازرقي ،وعن بغداد كتاب الخطيب البغدادي(١٠٠٢–١٠٧١م) ومن كتب الموضوعات الخاصة تأريخ الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري (المتوفى عام ٩٤٢ م) ، وتراجم المشاهير من رجال التأريخ مثل كتاب « وفيات الاعيان»

او انباء ابناء الزمان لابن خلكان (١٢١١ ـ ١٢٨٢ م) وتأريخ القفطي الموسوم « اخبار العلماء باخبار الحكماء » وتأريخ ابن ابي اصيبعة « عيون الانباء في طبقات الاطباء » وكتاب السيوطي (المتوفى عام ١٤٧٥ م) عن طبقات اللغويين والنحاة وكتاب ابن جلجل (طبقات الاطباء والحكماء .ومن الامثلة عن سير الاشخاص كتاب « أخبار الراضي والمقتفي بالله » للصولى (المتوفى عام ٩٤٦ م) و « سيرة صلاح الدين الايوبي والملك الظاهر » لابن شداد (١٢١٧ ـ ١٢٨٥ م) .

ولعله من المفيد ان نلحق بهذا الموجز عن مشاهير المؤرخين العرب ثبتا آخر بمشاهير الجغرافيين . اذ كان للجغرافية وعلم البلدان صلة وثقى بالتدوين التأريخي ، وكان الكثير من الجغرافيين والبلدانيين العرب مؤرخين ايضا ، وفيما يلي قائمة باسماء المشاهير منهم واسماء مؤلفاتهم المشهورة في الجغرافية : ـ

١ ـ البلاذري : « فتوح البلدان » ، ومن مؤلفاته التأريخية « أنساب الاشراف » (القرن التاسع الميلادي)

٢ ـ اليعقوبي : « كتاب البلدان » والف في التأريخ ايضا (القرن التاسع الميلادي)

٣ ـ إبن خرداذبة : « المسالك والممالك (توفي في ٩١٣ م)

٤ ـ الهمداني : « الاكليل » (صفة جزيرة العرب توفي ٩٤٥م)

٥ ـ الاصطخرى : « المسالك والممالك » وصور الاقاليم » (القرن العاشر الميلادي)

٦ ـ إبن حوقل : « المسالك والممالك «(القرن العاشر الميلادي)

٧ ـ البيروني : « الآثار الباقية من القرون الخالية » (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) .

٨ ـ البكري : « معجم ما استعجم » و « المسالك والممالك » (١٠٩٤م) .

٩ ـ الادريسي : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » (١١٠٠ ـ ١١٦٥) .

١٠ ـ ياقوت الحموي : « معجم البلدان » (١١٧٩ـ١٢٢٩م)

١١ ـ القزويني : « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » (توفي ١٢٨٣ م)

١٢ ـ ابو الفداء : « تقويم البلدان » (توفي ١٣٣١م)

١٣ – ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار» (١٣٠١–١٣٤٩م)
١٤ – ابن بطوطة : « الرحلة » (١٣٠٢ – ١٣٢٧ م)
١٥ – المقريزي : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » (توفى ١٤٤١ م)

أسس النقد التأريخي عند المؤرخين العرب :

يرى معظم الباحثين الغربيين الذين بحثوا في تأريخ تطور التدوين التأريخي ان منهج البحث التأريخي العلمي لم يتوطد إلا ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وان اساس هذا المنهج وهو النقد التأريخي لم يظهر إلا في منتصف القرن التاسع عشر على يد الباحثين الغربيين ، مما اهل التأريخ لأن يتبوأ مكانته بين العلوم الاجتماعية .

هذا مجمل ما يراه مؤرخو التأريخ بيد أن الواقع هو أن أساليب النقد التأريخي واسسه ومبادءه قد ظهرت ظهورا جليا عند ا كثر من مؤرخ واحد من مؤرخي الحضارة العربية الاسلامية قبل الباحثين الغربيين بعشرات القرون ، كما سنبرهن على ذلك بالشواهد التأريخية بعد قليل . ومما لاشك فيه ان اسس النقد التأريخي التي وضعها المؤرخون العرب قد انتقلت الى الحضارة الغربية مع ما انتقل من العناصر الحضارية الكثيرة ومنها العلوم والمعارف منذ مطلع النهضة الأوربية . وغني عن القول ان مما يؤسف عليه ان اغفال اسهام المؤرخين العرب في تطوير منهج البحث التأريخي وانكار فضلهم في وضع اصول النقد التأريخي لا يستسيغه الاسلوب العلمي النزيه لان مبعثه التعصب والتحيز ، وهما كما لا يخفي من بين الامور التي يحذر منها اصحاب منهج البحث التأريخي من الغربيين انفسهم .

ولكي لا يكون ما اوردناه مجرد ادعاء ومن قبيل ارسال القول على عواهنه سنحاول البرهنة عليه بالنصوص والشواهد التأريخية التي لا يرقى اليها الشك واول ما نذكر ان بداية النقد التأريخي المستند الى التمحيص كانت في جمع القرآن الكريم في زمن الخليفة عثمان حيث محصت الآيات والسور المدونة المشتتة في الرقوق والاحجار وغيرها وفي صدور الحفاظ من الصحابة ، فجمعت في مصحف موثوق . ويلي ذلك في الزمن او يعاصره اهتمام المسلمين بجمع الاحاديث النبوية ، فاستتبع ذلك نشوء أولى دراسة تأريخية

علمية تتميز بالنــقد والتمحيص هي « علم الحديث » الذي يمكن تأكيد القول ان فيه وضعت القواعد والمباديء الاساسية للنقد التأريخي . ولا يخفى ان الاحاديث النبوية تأتي من بعد القرآن في الاهمية على انها مصدر للعقائد واحكام الشريعة الاسلامية اذ تعد مكملة لاحكام القرآن الكريم. فبذل المسلمون الجهود الكبرى للكشف عن الدس والتزوير في الاحاديث وبدأت تلك الحركة النقدية منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) واشتغل في موضوع تمحيص الاحاديث ونقدها وجمعها جماعة من النقاد الثقاة والعدول فوضعت القواعد الاساسية للنقد وسرعان ما غدا ذلك موضوع اختصاص هو علم الحديث ولم تقتصر القواعد التي وضعت في هذا العلم على ضبط سلسلة الرواة والتثبت من أمانتهم وصحة احاديثهم مما ينطبق عليه النقد الخارجي في منهج البحث التأريخي بل تعدتها الى نقد متن الاحاديث نفسها اي النقد الباطني(INTERNAL CRITICISM) ووضعت في ذلك مصطلحات دقيقة تنطبق على مصطلحات النقد التأريخي ويجدر استعارتها واستعمالها في منهج البحث التأريخي مثل مصطلح « الجرح والتعديل » (*) وتصنف الاحاديث تصنيفاً نقديا الى مراتب مثل الحديث الصحيح والحديث الحسن والضعيف والمسند والمتصل والموقوف والمقطوع والمرسل والمدلس الى غير ذلك من المصطلحات الدقيقة التي قلنا انه يجدر استعمالها في منهج البحث التأريخي ومن بين ذلك موضوع نقد الوثائق التأريخية ودرسها دراسة علمية ، وهو الموضوع الذي اطلق عليه الباحثون الأوربيون مصطلح « الدبلوماتيكس» (اي علم دراسة الوثائق) ، وقد عرفه الباحثون العرب بمصطلح « علم الشروط . »[1] .

وتزخر مؤلفات الفقهاء والمحدثين ومشاهير المؤرخين العرب بنصوص تثبت بجلاء

(*) التعديل : في عرف علماء الحديث بيان الصفات الشخصية التي تجعل الراوي موضع ثقة وتصديق ، واشهرها النباهة والشهرة بالاستقامة وانه معنى بتعلم العلم والشهادة بانه ثقة وثبت او حجة وحافظ طابط اما الجرح :- فهو عكس التعديل اذ يدور على بيان العيوب الشخصية التي لا تؤهل الراوي لصفة العدالة ، والطعن به من حيث الضعف وان ما يرويه من احاديث ضعيفة او غير ثابتة وانه كذاب او ساقط الحديث او مجهول لا يمكن ان يحتج به اوانه يتصف بسلوك شخصي لا يليق بالناس المحترمين ... الخ .
انظر مثلا ابن الصلاح في كتابه « مقدمة في علوم الحديث » ، وابن الصلاح من مشاهير علماء التفسير والحديث والفقه وله جملة مؤلفات أشهرها الكتاب الذي ذكرناه ويعرف ايضاً بعنوان «كتاب معرفة انواع علوم الحديث » (ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) .

(1) راجع بحث الاستاذ سالم الالوسي الموسوم « علم تحقيق الوثائق – الدبلوماتيك (منشورات الفرع الاقليمي العربي للوثائق ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٤٤ – ٤٥

ما ذهبنا اليه من أن اسس النقد التأريخي قد وضعت في الحضارة العربية الاسلامية [١٥]
ويجد المتفحص للقرآن الكريم آيات كثيرة تنص على وجوب التثبت من الاخبار وشهادة الغير ، فمثلا جاء في سورة الحجرات : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » . وفي سورة الطلاق : « واشهدوا ذوي عدل منكم » الى غير ذلك من الآيات التي تدل بوضوح على تأكيد القرآن التثبت من رواية الغير وشهادتهم ورفض رواية المشبوه وشهادة غير العدول .
ويعزز ذلك احاديث نبوية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لاالمحصر : « من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين » ومثل « سيكون في آخر أمتي اناس يحدثونكم ما لم تسمعوا انتم ولاآباؤكم فاياكم واياهم» . وعالج مشاهير الفقهاء والمحدثين موضوع النقد والتثبت من الرواية والحديث يكفي ان نستشهد باقوال بعض مشاهيرهم مثل قول الامام مالك بن أنس (١٧٩ هـ) : « لا يؤخذ العلم من اربعة ويؤخذ من سوى ذلك : لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ولا من كذاب يكذب في احاديث الناس وان كان لا يتهم في احاديث رسول الله (ص) . ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به » . ومثل ذلك قول الامام ابي الحسين مسلم (١١ ٢٦١ هـ) :
واعلم وفقك الله تعالى ان الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها الا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه ، وان يتقى منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من اهل البدع » [٢]
ومن اقوال الامام الغزالي (٥٠٥ هـ) : «العدالة في الرواية والشهادة عن استقامة السيرة في الدين . . . . . » . وينص على مبدأ الشك في الروايات اذ يقول : « إن الشكوك هي الموصلة الى الحق ، ومن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر في العمل

---

(١) راجع المؤلفات الاصلية المقتبس منها هذه النصوص في المصدرين أ : مصطلح التأريخ (٩٩٤٩)
الص ١٠٠ ، ب : حسن عثمان » منهج البحث التأريخي (١٩٦٥) الص: ١٣٨
(٢) « الجامع الصحيح » ج ١ ، ص ٦ ، المشار اليه في اسدرستم : مصطلح التأريخ (١٩٤٩) ص١٠٢

بقى في العمى والضلال » [1] وقد قسم الامام الغزالى الرواية و الخبر الى درجات فخبر يجب تصديقه وخبر يجب تكذيبه وخبر يجب التوقف عليه . فما يجب تصديقه هوما اخبرعنه بالتواتر وما اخبربه الله تعالى واقوال الرسول وما اخبرعنه الأئمة ، خبر يوافق وكل ما اخبر به الله تعالى او رسوله ، وكل خبر صح انه ذكره المخبر بين يدي رسول الله وبمسمع منه ولم يكن غافلا عنه فسكت عنه ، وكل خبر ذكر بين يدي جماعة امسكوا عن تكذيبه . وما يجب تكذيبه هو ما يعلم خلافه بضرورة العقل والحس والمشاهدة او اخبار التواتر ، وما يخالف النص القاطع من الكتاب والسنة واجماع الامة ، وما صرح بتكذيبه جمع غفير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب ، وما سكت الجمع الكثير عن نقله والتحدث به . وما يجب التوقف فيه هو كل خبر لم يعرف صدقه ولا كذبه (*)

ويمكن تأكيد القول إن المتفحص المدقق فيما استشهدنا به من اقوال الامام الغزالي يجد فيها جماع او زبدة القواعد التي وضعها اصحاب منهج البحث التأريخي في النقد بكلا نوعيه الخارجي والداخلي وهو الموضوع الذي قلنا إنه أهم ما يميز التدوين التأريخي الحديث وعماد منهج البحث التأريخي في هذا التدوين . ومما لا شك فيه أن المؤرخين العرب افادوا من تلك القواعد التي وضعها علماء الحديث مما دفع تطور التدوين التأريخي في الحضارة العربية الاسلامية مراحل بعيدة عما كان عليه في الحضارات السابقة وانتقلت منهم الى اوربة التي طورتها بدورها مراحل أخرى مهدت لظهور منهج البحث التأريخي الحديث .

ولايقتصر الأمر في تدوين التأريخ عند المؤرخين العرب أنهم وضعوا أسس النقد التأريخي كما بينا بل انهم الى ذلك تناولوا كذلك أصول التأليف التاريخي اي ما يعرف في منهج البحث التأريخـي بالتركيب او التأليف (SYNTHESIS) ووضعوا في ذلك قواعد واسايب مهمة كما ظهر ت في المؤلفات الخاصة التي تناولت هذا الموضوع مما لامجال لتفصيل القول فيها فيكفى أن نشير الى اشهرها مثل كتاب « أدب الاملاء والاستملاء » لابي سعيد السمعاني (القاضي والفقيه الشافعي ١١١٤ — ١١٦١م ومثل كتاب الخطيب البغدادي (١١٦١ — ١٢٣١ م) الموسوم « تقييد العلم »

---

(١) الامام الغزالي « المستصفى من علم الاصول»(القاهرة ١٣٣٢ ، ج ١ ، ص ١٤٠) المقتبس في « منهج البحث التأريخي » ، للدكتور حسن عثمان الص ١٣٩ .

(*) ذات المصدر .

ابن خلدون ومنهج البحث التأريخي : —

ونهي هذا الموجز عن اسهام المؤرخين العرب في وضع منهج البحث التأريخي وقواعد النقد في هذا المنهج بما ورد في مقدمة ابن خلدون الشهيرة . ونمهد لذلك بالقول إن اجماع الباحثين انعقدعلىأن أبن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) كان في مقدمة الرواد في العصر الحديث في وضع أسس علم الاجتماع وفلسفة التأريخ . ومن ناحية موضوع منهج البحث التااريخي نجد بوضوح أصول هذا المنهج واسسه العامة في الكتاب الأول من المقدمة المعنون : « في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغليب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها ولما لذلك من العلل والاسباب» ولا يضير ابن خلدون أنه نفسه لم يلتزم التزاما دقيقا وعلى الدوام بالقواعد التيقررها في النقد التأريخي ولا سيما النقد الباطني ، في وجوب تسليط النقد على ما يرويه المؤرخون . فيقول عن طبيعة التأريخ : « أما بعد فان فن التأريخمن الفنون الذى تتداوله الامم والاجيال وتشد اليه الركائب والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الأول تنمو فيه الاقوال وتضرب فيه الامثال وتطرف فيه الاندية . . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق . فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخليق . وانفحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها ... زخارف من الروايات المصنعفة لفقوها ووضفوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير من بعدهم واتبعوها وادوها الينا كما سمعوها ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدمين وسليل » .وفي موضع آخر من هذا الباب يقول إبن خلدون : « اعلم انه لما كانت حقيقة التأريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ

عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال . . . »

وعن الدوافع التي تدفع مدوني التأريخ والحوادث الى الدس في الروايات يقول : « ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه ، فمنها التشيعات للاراء والمذاهب ، فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، واذا خامرها تشيع الرأى او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لأول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله . ومن الاسباب المقتضية للكذب والاخبار ايضا الثقة بالناقلين ، وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والجرح ، ومنها الذهول عن المقاصد ، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين وسمع ، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ، ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجيء في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين ، ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتطبع على غير الحق في نفسه ، ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحبّ الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه وثروة ، وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها ، ومن الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران ، فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بدله من طبيعة تخصّه في ذاته وما يعرض له من احواله ، واذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق عن الكذب ، وهذا ابلغ في التمحيص من كل وجه يعرض . وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم ، كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية ، وكيف إتخذ صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها ، وتم

بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة . . . . . . ومن الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودي ايضا في تمثال الزرزور الذي تجتمع اليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم ، وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيتون . ومنها ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة « ذات الابواب » تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب . والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام . . وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلايكون بها حصن ولا معتصم . . . وامثال ذلك كثير. وتمحيصه انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه واوثقها في تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها ، وهوسابق على التمحيص بتعديل الرواة . ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر نفسه ممكن او ممتنع . فاذا كان مستحيلا فلا فائدة في التعديل والتجريح . ولقد عد اهل النظر في المطاعن في الخبراستحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل . وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها ، وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط . . . اما الاخبار عن الواقعات فلايصنل في صدقها وصحتها في اعتبار المطابقة ولذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه ، إذ ان فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة . واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ينظر في الاجتماع البشري الذي هو هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له . واذا فعلنا ذلك كان ذلك قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه ، وحينئذ اذا سمعنا عن شيء من الاشياء الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه ، وكان لنا معيارا صحيحاً يتحرى به المؤرخون طرق الصدق والصواب فيما ينقلونه . . . »

مراجع اساسية عن البحث

1 - HERENSHOW in OUTLINE of MODERN KNOWLEGE ; London, (1931) ch. 19

ترجمة عبدالحميد العبادي (القاهرة ١٩٣٨)

2 - R.G. Collingwood, The Idea of History (1935)

3 - Langlois and Seignobos, Anlntroduction to the Stud of History (1912) .

4 - H. Taylor, History as a Ssience (London) , 1933)

5 - C.G. Grump. History and Historical Research. (1928)

6 - J.M. Vincent, Aids to Historical Reasearch (New York. 1934) .

7 - Oman, On the Writing of History (London, 1939)

8 - G.J. Renier, History, Its Purpose and Method (London, 1950) .

9 - F. Rosental, A History of Muslim Historiography (London, 1952)

(ترجمة الدكتور صالح احمد العلي (١٩٦٣)

الدكتور اسد رستم : « مصطلح التأريخ » (١٩٤٦)

الدكتور حسن عثمان : « منهج البحث التأريخي » (١٩٦٤)

مارجليوث : « دراسات عن المؤرخين العرب »

(ترجمة حسين نصار)

ولش : مدخل لفلسفة التأريخ (ترجمة احمد حمدي محمود » (القاهرة ١٩٦٢)

اتكن : « دراسة التأريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية »

(ترجمة محمود زايد ، ١٩٦٣)

حبيش بن الحسن الاعسم

الدكتور يوسف حبي

عضو المجمع العلمي العراقي

من الناس من طواهم التاريخ وعفا آثارهم ، ومنهم من ظلمهم وشوّه ذكرهم ، وحبيش بن الحسن الاعسم واحد منهم . فهو مترجم شهير وطبيب قدير . نبغ في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي ، في الفترة الاولى من عصر الحضارة العربية الذهبي . وكان من رواد حركة الترجمة المبدعين الذين امتازوا بنقل كتب علماء اليونان وحكمائهم الى العربية عبر اللغة السريانية . لكننا نكاد لا نعرف شيئاً عن حياته وآثاره . وقد أجهَدنا البحث للوصول الى هذا القليل الذي نثبته هنا .

اولا - حياته

اسمه واصله

هو حبيش بن الحسن الاعسم[١] ، وابن اخت حنين بن اسحق المترجم والطبيب الشهير[٢] ، ومن تلاميذه اللامعين[٣] . أمه من العباد[٤] ، اما أبوه فمن الشام ، اذ

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق رضا - تجدد ، طهران ، ص ٣٥٥ (ط فلوجل ، ص ٢٩٧) ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ط ليبزك ١٩٠٣ ، ص ١٧٧ ؛ ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د. نزار رضا ، بيروت ، ص ٢٧٦ (ط مصر ، ص ٢٠٢) ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٨٩٠ ، ص ٢٥٢ .

(٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧٦ ؛ ابن العبري ، ص ٢٥٢ ؛ اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين (اسماء المؤلفين وآثار المصنفين) ، استانبول ١٩٥٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣) الفهرست ، ص ٣٥٥ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٧٧ ؛ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص ٢٧٦ . وعن حنين بن اسحق ومدرسته انظر : يوسف حبي ، حنين بن اسحق ، بغداد ١٩٧٤ ؛ وكتاب مهرجان افرام - حنين ، الذي صدر بمناسبة انعقاد المهرجان في بغداد سنة ١٩٧٤ (مجمع اللغة السريانية) ؛ عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي ، آثار حنين بن اسحاق ، بغداد ١٩٧٤ ؛ ميخائيل عواد ، حنين بن اسحق ، مجلة المورد ٣ (١٩٧٤) ، العدد ٣ ، ص ٢٢ - ٢٩ ؛ مقدمة تحقيقنا لكتاب (جوامع حنين بن اسحق في الآثار العلوية لارسطو) ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٧-٥٠ والخ .

(٤) القفطي ، ص ١٧٧ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٥٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٩٣ و ١٨٦ ؛ ابن العبري ، ص ٢٥٠ .

يدعوه بعض المؤرخين بـ « الدمشقي »[٥] . وقد كان حبيش نصرانيا[٦] .

لا نعرف تاريخ ولادته ، ولا مسقط راسه ، ولا اماكن دراسته كلها ، ولا سنة وفاته . امرأ واحدا مهما يؤكده لنا المؤرخون هو ان حبيشاً كان ملازما لخاله حنين ، فعليه درس وتعلم ، وكان ملازما لمدرسته البغدادية[٧] .

دور آل حنين في حركة الترجمة

لقد كان لآل حنين فضل عظيم في تنشيط حركة الترجمة في عصر تكوين الحضارة العربية والاسلامية في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي .

فبعد ان حقق العرب المسلمون انتصارات رائعة وأسسوا امبراطورية واسعة ، شرعوا يعنون بشؤون الفكر والعلم ، يساعدهم في ذلك احتكاكهم بشعوب لهم حضارات رفيعة ، وانفتاحهم على روافدها ، وتقديرهم علم أي فرد مهما كان انتماؤه . وقد كان « للناطقين بالسريانية » فضل كبير في خلق « التعريب »الذي أولد الحضارة العربية العربية الاسلامية في عصرها الذهبي ، بما في ذلك من اقتباس سليم وتقييم موزون وفكر مبدع[٨] .

ومن بين هولاء الناطقين بالسريانية من أتباع كنيسة المشرق (الآثورية ـــ الكلدانية ـــ السريانية) : آل حنين ، ونقصد بهم : حنين بن اسحق ، وابنه اسحق ، وابن اخته حبيشاً ، الذين كونّوا مدرسة كاملة للترجمة ، بدعم من قبل الخلفاء والأمراء ومؤازرة

---

(٥) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧٦ ؛ البغدادي ، ص ٢٦٣ .

(٦) ابن النديم ، ص ٣٥٥ ؛ القفطي ، ص ١٧٧ .

(٧) علاوة على ما جاء في الهامش ٣ ، انظر : كوركيس عواد ، خزانة كتب العراق العامة ، سومر ٢/٢ (١٩٤٦) ، ص ٢١٤ – ٤١٨ ، وكذلك :

O. PINTO, Le biblioteche degli Arabi nell'eta degli Abbassidi, Firenze 1923, Y. ECHE, Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age, Damas 1967, pp. 9 — 65.

(٨) أنظر امهات الكتب التي تبحث في تكوين الحضارة العربية في صدر الاسلام : من المستشرقين : بروكلمن ، لكليرك ، ميتز ، ميبلي ، جلوب ، سارطون ، بارتولد ، اوليري ، توماس وغيرهم . ومن العرب : زيدان ، حتي ، طوقان ، فروخ ، شريف ، منتصر ، مظهر ، كفافي ، كمال ، الرفاعي والخ وانظر عن ذلك بيبلوغرافيا جيدة في ذيل كتاب : حكمت نجيب عبدالرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، الموصل (جامعة الموصل) ١٩٧٧ ، ص ٣٦٩ – ٣٩٦ .

علماء آخرين ، ونفحوا هكذا الاساليب القديمة بروح جديدة ، مبتكرين طرقا اكثر علمية ، وذلك باعتماد هم الاسس التالية :

اولا — اتّباع نهج علمي في الترجمة يعتمد على جمع عدة مخطوطات بغية التوصل الى نسخة موثوقة قبل الاقدام على ترجمة النص المنشود .

ثانيا — عدم التقيّد بالحرف على حساب المعنى ، على العكس من طريقة ابن البطريق ومن جاراه ، ومع الحفاظ على دقة فحوى النص المترجم .

ثالثا — مراجعة الترجمات السابقة ، السريانية منها والعربية ، سواء كانت ترجمات السابقين ، ام الترجمات التي قاموا بها هم انفسهم من ذي قبل ، بعد الحصول على نسخة من الكتاب أوفر كمالا .

رابعا — تضافر الجهود والقوى في اخراج ترجمات متقنة ، فواحد يترجم من اليونانية الى السريانية ، وآخر من السريانية الى العربية ، احدهم يقوم بالترجمة وثانيهم يراجع الترجمة منقّحا النص المترجم .

خامسا — بذل المساعي حتى التوصل الى ترسيخ « بيت للحكمة » ، هو أشبه بمعهد عال للترجمة ومركز بحوث علمية ومكتبة مركزية ، بدعم الخلفاء والامراء ، وتمويلهم اياه ، بحيث يمكننا اعتباره اضخم مؤسسة علمية عرفتها تلك العصور .

وقد نبغ آل حنين في ترجمة الكتب الطبية بالدرجة الاولى ، والكتب الفلسفية وكتب العلوم الاخرى بالدرجة الثانية . فاذا ما عرفنا بان حنيناً وحده قد ترجم ولخص وفسر وألّف اكثر من مائتي كتاب ورسالة ومقالة، وان ترجمات ابنه اسحق وتآليفه تربو على الخمسين ، وكذلك ترجمات وتآليف حبيش ، كان لنا ان نقدّر لال حنين مدى مساهمتهم العظيمة في تكوين المكتبة العربية والحضارة الزاهرة(٩) .

---

(٩) انظر الهامش ٣ ، وكذلك : يوسف حبي ، اسحق بن حنين ، مجلة مجمع اللغة السريانية ٣ (١٩٧٧) ، ص ١٢٣ — ١٤٦ ؛ عبد الحميد العلوجي ، تاريخ الطب العراقي ، بغداد ١٩٦٧ ؛ احمد فريد رفاعي ، عصر المامون ، القاهرة ١٩٢٨ . هذا بالاضافة الى الكتب التي تبحث في تاريخ الطب لدى العرب واهمها مؤلفات لكليرك ، براون ، كامبل ، اولمان ، كاهن ، سارطون ، اوليري ، سيزكين ، الشطي ، الحمارنة ، الحاج قاسم ، خير الله ، دياب والخ .

حبيش المترجم

كان حبيش من دعائم مدرسة حنين . فقد انشأ حنين مدرسة للترجمة ضمت ، علاوة على ابنه اسحق وابن اخته حبيش ، طائفة من محبي العلم والفكر والادب ، من البارعين في اللغات العربية والسريانية واليونانية ، اشهرهم اسطيفان بن باسيل (اصطفن ابن بسيل) ، وعيسى بن يحيى بن ابراهيم ، وعيسى بن علي . ولا تسعفنا المعلومات المتوفرة ان نجزم في التمييز بوضوح بين مدرسة حنين هذه وبين المؤسسة التي جددها ووسعها الخليفة المامون في عهد حنين ، أي بيت الحكمة البغدادي ، وعهد بها الى حنين بن اسحق[١٠] .

ويفيدنا المؤرخون بشان ولع الخلفاء والوزراء والاعيان ، في هذه الفترة بالذات ، بالحصول على كتب الاقدمين ، ولا سيما حكماء اليونان، واقتناء ترجماتهاالعربية، وسخائهم لغرض تشجيع حركة النقل مولين اياها اهتماما كبيرا . فقد كان الخليفة المامون يعطي حنيناً زنة ذهب ما ينقله من كتب كفة بكفة[١١] . ومحمد واحمد والحسن بنو موسى بن المنجم « كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين واسحق وحبيش ابن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والترجمة والملازمة »[١٢] وان الخليفة المتوكل اختار حنيفاً للترجمة « ووضع له كتابا نحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح حنين ما ترجموا »[١٣] .

---

(١٠) اننا نعكف منذ مدة على وضع كتاب نتناول فيه (مدرسة الحكمة البغدادية) من كل الوجوه، كما نعد آخر عن (مدرسة حنين) . ومن المفيد جدا الرجوع الى المؤلفات التالية :

G. BERGSTRASSER, Hunain ibn Ishaq und seine Shule, Leiden 1913;
M. MEYERHOF, New light ob Hunain ibn Ishaq and his period Isis 8 (1926) pp. 695 — 724; G. GRAF, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, II, Vatican 1947, pp. 130-1;
C. BROCKELMANN, Geschichte der Arabischen Literatur, I, Leiden, p. 207, Supp. I, p. 369; F. SEZGIN, Geschichte der Arabischen Schrifttums, III, Leiden 1970 , passim.

(١١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٦٠ .
(١٢) القفطي ، ص ٣٠ ؛ ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٦٠ .
(١٣) ابن النديم ، ص ٣٠٤ ؛ ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٦٩ ؛

وحبيش « احد تلاميذ حنين ... وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى نقله »[١٤] ، حتى قيل انه « من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له ، فان اكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين ، وكثيرا ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش فيظن الغرّ منهم أن الناسخ اخطأ في الاسم ويغلب له ظنه انه حنين وقد صحف ، فيكشطه ويجعله لحنين »[١٥] . وهذا ما يدعونا الى اعتبار حبيش ممن ظلمهم التاريخ ، غير انه لا ينبغي المبالغة في ذلك ، لانه مع اعترافنا بان نقول حبيش وغيره من تلاميذ المدرسة قد نسبت شهرةً او سهوا الى المعلم ، لا يسعنا ان ننكر بان ترجمات حنين عينها كانت كثيرة جدا .

ويؤكد المؤرخون ان حبيشاً كان يسلك مسلك خاله في نقله وكلامه واحواله ، الا انه كان يقصر عنه[١٦] . وقد قال عنه حنين : « ان حبيشا ذكي مطبوع على الفهم ، غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه ، بل فيه تهاون وان كان ذكاؤه مفرطا وذهنه ثاقبا »[١٧] . ويشهد له ابن ابي اصيبعة انه « ناقل مجود يلحق بحنين واسحق »[١٨] .

حبيش الطبيب

كان حبيش « من الاطباء المتقدمين والمهندسين ، وله تصانيف في الطب ، وكان مصيبا في المعالجات » [١٩] . وتعلم صناعة الطب على يد خاله ومعلمه حنين ، ونلقى له تأثيرا على خاله في استكمال بعض التآليف الطبية[٢٠] . وسياتي مفصلا ذكر

= القفطي ، ص ١٧١ .

(١٤) ابن النديم ، ص ٣٥٥ ؛ القفطي ، ص ١٧٧ .

(١٥) القفطي ، ص ١٧٧ ؛ ابن العبري ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ . وقد نقل القفطي عن ابن النديم ، وكرر ابن العبري القول ، ومصدرهم جميعا محمد بن اسحق الذي يستشهد به ابن النديم قائلا : « من سعادات حنين ، ان ما نقله حبيش بن الحسن الاعسم ، وعيسى بن يحيى ، وغيرهما الى العربي ، ينحل الى حنين . واذا رجعنا الى فهرست كتب جالينوس الذي عمله حنين الى علي بن يحيى ، علمنا ان الذي نقل حنين اكثره الى السرياني ، وربما اصلح العربي من نقل غيره او تصفحه » (ألفهرست ، ص ٣٤٨)

(١٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧٦ .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) المصدر المذكور .

(١٩) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، لاهور ١٩٣٥ ، ص ٦ ؛ الشهرزوري ، نزهة الارواح وروضة الافراح (كتاب تواريخ الحكماء) ، نسخة مصورة رقم ٢٢٤٦ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، الورقة ٢٠٨ .

(٢٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧٦ . ويذكر له ابن ابي اصيبعة هذا القول لدى كلامه عن تدرج العلماء =

ترجماته وتآليفه في الطب .

ويذكر له ابن البيطار في (الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، ط بالاوفست لمكتبة المثنى ببغداد ، عن ط المطبعة العامرة ١٢٩١ هـ) معالجات طبية تحت المفردات التالية : اشق (المجلد الاول ، ص ٣٥) ، افسنتين (م ١ ، ص ٤٣) ، املج (ص ٥٤) ، انزروت(ص ٦٣ — ٦٤) ، بزرقطونا (ص ٩٠) ، بسفايج (ص ٩٢) ، بقلة حمقاء (ص ١٠٢ — ١٠٣) ، بليلج (ص ١١٠) ، بلاذر (ص ١١٣) ، بنفسج (ص ١١٤) ، بورق (ص ١٢٦) ، بيش (ص ١٣٢) ، تربد (ص ١٣٦) ، ترنجبين (ص ١٣٧) ، جوزالقى (ص ١٧٦) ، حب النيل (م ٢ ، ص ٤) ، حرمل (ص ١٥)،حرف (ص١٦)، حنظل (ص ٣٧) ، دند (ص ٩٧) ، رازيانج (ص ١٣٤) ، سقمونيا (م ٣ ، ص ١٨) ، سكبينج (ص ٢٤) ، سندروس (ص ٣٩) ، شبرم (ص ٥١) ، صبر (ص ٧٩) ، صمغ السرو (ص ٨٧) ، عنب الثعلب (ص ١٣٥ — ١٣٦) ، قاقلى (م ٤ ، ص ٤) ، قثاء الحمار (ص ٦) ، قرع (ص ١١) ، كثيراء (ص ٥٣) ، كزبرة (ص ٦٩) ، ما هي زهرة (ص ١٢٢) ، مازريون (ص ١٢٣) ، ماء الخيار (ص ١٣٦) ، ميعة (ص ١٧٢) ، يتوع (ص ٢٠٦ — ٢٠٧) .

ويذكر له الرازي ايضا في (الحاوي في الطب، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٥٥ — ١٩٧١) نتفا من بعض كتبه، كالاقرا باذين والاغذية، وعلاجات طبية شتى (المجلد الاول ، ص ٣٤ ، م ٨ ، ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٤٠ ، م ٩ ، ص ١٠١ ، م ١١ ، ص ٤٨ و ١٧٢ ، م ٢١ ، ص ٨٢ و ٣٤٣) .

= في صناعة الطب : « ان رجلا اشترى كبدا طرية من جزار ، ومضى الى بيته ، فاحتاج ان ينصرف في حاجة اخرى ، فوضع تلك الكبد التي كانت معه على اوراق نبات مبسوطة كانت على وجه الارض، ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبد فوجدها قد ذابت وسالت دما، فاخذ تلك الاوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء التلف حتى فطن به وأمر بقتله » (عيون الانباء ، ص ١٥) . وقد كان لحبيش تأثير على خاله في استكمال بعض التآليف ، كما في المسائل في الطب او المدخل الى الطب ، او في المسائل في العين . فبشأن الاثر الاخير ، نعرف بان حنيناً كان قد ألف في الموضوع مقالات مفردة « ثم ان حبيشا سالني ان اجمع له ذلك ، وهو تسع مقالات ، واجعله كتابا واحدا ، وان أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة اخرى اذكر فيها كتبهم لعلل العين » (المصدر السابق ، ص ٢٧١) .

من أقواله

يذكر له البيهقي والشهرزوري الحكم التالية :

– الكذب راس كل بليّة .

– من ترك الحقد ادرك معالي الامور .

– من كرمت نفسه لم يكن الا بالحكمة أنسه .

– العافية نظام كل مامول .[21]

ثانياً – آثاره

نهج حبيش في حياته العلمية نهج معلمه حنين ونهج المدرسة كلها ، فنقل من اليونانية الى السريانية ، ومن السريانية الى العربية ، وكثيرا ما كان يعرب نقول خاله السريانية ، وذلك لان لغته العربية كانت فصيحة وقريبة الى البلاغة . ولم يكتف حبيش بالترجمة بل وضع مصنفات جميعها في الطب . ولا ننسى بان شيئا من آثاره – الترجمات منها خاصة – نسبت الى حنين ، لذا لا يسعنا احصاؤها بدقة . وسنذكر ما وقفنا عليه وفق التقسيم التالي : الترجمات والتآليف .

الترجمات

ترجم حبيش لابقراط الكتب التاليـــة :

١ – العهد[22]

٢ – الاجنّة ، بالتعاون مع حنين[23]

٣ – الا هوية والمياه والبلدان ، بالاشتراك مع حنين[24]

وترجم حبيش لجالينوس الكتب التاليـــة :

٤ – كتاب النبض الكبير ، وهو ست عشرة مقالة[25]

٥ – كتاب حيلة البرء ، نقله الى العربية ، وقد اصلح حنين المقالات الست الاولى ،

---

(٢١) البيهقي ، ص ٦ ؛ الشهرزوري ، ص ٢٠٨ .

(٢٢) الفهرست ، ص ٣٤٧ .

(٢٣) العلوجي ، تاريخ الطب العراقي ، ص ٢٢ .

(٢٤) الفهرست ، ص ٣٤٧ .

(٢٥) الفهرست ، ص ٣٤٨ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٢٩ .

والكتاب اربع عشرة مقالة[٢٦]

٦ — كتاب اختلاف التشريح ، مقالتان [٢٧]

٧ — كتاب تشريح الحيوان الميت ، مقالة [٢٨]

٨ — كتاب تشريح الحيوان الحي ، مقالتان [٢٩]

٩ — كتاب علم ابقراط بالتشريح ، خمس مقالات [٣٠]

١٠— كتاب علم ارسطوطاليس في التشريح ، ثلاث مقالات [٣١]

١١— كتاب تشريح الرحم ، نقله الى العربية [٣٢]

١٢— كتاب الحاجة الى النبض ، مقالة [٣٣]

١٣— كتاب الحركة المجهولة ، نقله الى العربية ، مقالة [٣٤]

١٤— كتاب آراء ابقراط وافلاطون ، عشر مقالات [٣٥]

١٥— كتاب منافع الاعضاء ، نقله الى العربية واصلحه حنين لاسقاطه سبع عشرة مقالة [٣٦]

١٦— كتاب العلل والاعراض ، ست مقالات [٣٧]

١٧— كتاب تعرّف على الاعضاء الباطنية ، ست مقالات [٣٨]

١٨— كتاب تدبير الاصحاء ، ست مقالات [٣٩]

---

(٢٦) المصدران السابقان .

(٢٧) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٢٩ .

(٢٨) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٢٩) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٣٠ .

(٣٠) المصدران السابقان .

(٣١) المصدران المذكوران

(٣٢) المصدران المذكوران .

(٣٣) المصدران المذكوران .

(٣٤) تاريخ الحكماء ، ص ١٣٠ .

(٣٥) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٣٠

(٣٦) المصدران السابقان .

(٣٧) الفهرست ، ص ٣٤٨ .

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) المصدر المذكور

١٩– كتاب الى ثراسايولوس ، مقالة [٤٠]

٢٠– كتاب انتفاع الاطباء باعدائهم ، مقالة [٤١]

٢١– كتاب المدخل الى المنطق ، مقالة [٤٢]

٢٢– كتاب الكيموس ، نقل ثابت وشملي وحبيش الى العربي ، مقالة [٤٣]

٢٣– كتاب تركيب الادوية ، سبع عشرة مقالة [٤٤]

٢٤– كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة ، مقالة [٤٥]

٢٥– الرياضة بالكرة الكبيرة [٤٦]

٢٦– كتاب الحث على تعلم الطب [٤٧]

٢٧– كتاب الاخلاق ، اربع مقالات [٤٨]

٢٨– مقالة كتاب ما ذكره افلاطون في طيماوس الموجود منه مقالة بنقل حنين وترجم اسحق الثلاث الباقية [٤٩]

٢٩– كتاب في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، مقالة .

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب ونشره مع مقدمات وترجمة المانية الاستاذ هانس هنريش بيستر فيلد عام ١٩٧٣ [٥٠] . وهو بنقل حنين الى السريانية ، ونقل حبيش الى العربية . ويقول الاستاذ زيميرما ن ان هذا الكتاب قد سبب شكوكا لكتبة العصر الوسيط [٥١] .

---

(٤٠) الفهرست ، ص ٣٤٩ .

(٤١) المصدر السابق .

(٤٢) المصدر المذكور

(٤٣) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ للحكماء ، ص ١٣١ .

(٤٤) المصدران السابقا ن .

(٤٥) المصدران المذكوران .

(٤٦) الفهرست ، ص ٣٤٩ .

(٤٧) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٣١ .

(٤٨) المصدران السابقان .

(٤٩) الفهرست ، ص ٣٤٩ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٣٢ .

(50) Hans Henrich BIESTERFELDT, Galens Traktat "Dass die Kraefte der Seele den Mischungen der Korpers folgen" in arabischen Uebersetzung, Abh. f. d. K. des Morgenl. 40/4, Wiesbaden 1973.

(51) W. ZIMMERMANN, Der Islam 54 (1977),pp. 345—347

٣٠- التشريح الكبير(٥٢)

٣١- علوم ارسطو(٥٣)

٣٢- العادات (٥٤)

٣٣- خصب البدن (٥٥)

٣٤- المنـــى (٥٦)

٣٥- قوى النفس (٥٧)

٢٦- كتاب في الاسماء الطبية (٥٨)

وتذكر له الترجمات الاجنبية القديمة نقولا اخرى كان لها ان تحظى بالترجمة والنشر وهي :

٣٧- كتاب تقدمة المعرفة لابقراط وشرح جالينوس عليه ، فقد ترجمه الى اللاتينية قسطنطين الافريقي تحت عنوان Prognostica, a Constantino Africano Transl . (٥٩)

٣٨- كتاب قوى الاطعمة لجالينوس ، ترجمه الى اللاتينية اكيوريوس البستوي حوالي سنة ١٢٠٠ م تحت عنوان

Accurius a Pistoia, De Viribus Alimentorum (٦٠)

---

(٥٢) الفهرست ، ص ٣٤٩ .

(٥٣) المصدر السابق .

(٥٤) المصدر المذكور .

(٥٥) المصدر المذكور .

(٥٦) المصدر المذكور

(٥٧) رفاعي ، عصر المامون ، ص ٣٨٤ .

(58) Brockelmann, op. cit; L-LECLERC, Histoire de la médecine arabe, Paris 1878, p. 156.

(59) Leclerc, op. cit.. ibid.

(60) J.H. WENRICH, De autorum graecorum versionibus et commentariis syris, armenis, persicisque commentatio, Lipsiae 1842.

٣٩– كتاب تدبير التشريح لجالينوس ، الابواب ٩–١٥ ، ترجمها الى الالمانية ماكس سيمون ونشرها في ليبزك سنة ١٩٠٦ تحت عنوان

Max Simon, Sieben Buecher Anatomie des Galens (٦١)

وقد سبقت الاشارة الى الترجمة الالمانية لكتاب قوى النفس (٦٢)

التآليف

١ – الزيادة في المسائل التي لحنين . وتأتي لدى المؤرخين القدامى على النحو التالي :

المسائل في الطب للمتعلمين ، ألفها حنين بن اسحق ، وزاد فيها حبيش .

ويشرح ابن ابي اصيبعة ذلك في موضع آخر بقوله : « لحنين كتاب المسائل وهو المدخل الى صناعة الطب ، لانه جمع فيه جملا وجوامع تجري مجرى المبادئ والاوائل لهذا العلم ، وليس جميع هذا الكتاب لحنين ، بل ان تلميذه الاعسم حبيشا تممه» . ويذكر ابن ابي اصيبعة شهادة ابي صادق القائل : « وقد كان حنين جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات بيضّ منها البعض في مدة حياته ، ثم ان حبيشاً رتب الباقي بعده وزاد فيه من عنده والحقها بما اثبته حنين في دستوره . ولذلك يوجد هذا الكتاب معنونا بكتاب المسائل بزيادات حبيش الاعسم . والذي يوجد في النسخ من هذا الكتاب ان زيادات حبيش انما هي من الكلام في الترياق . وقد كان تأليف هذا الكتاب في ايام المتوكل وبعد تعيين حنين رئيس الاطباء ببغداد »(٦٣) .

ويختلف العلماء حول هذا الموضوع ، فيظن بعضهم ان لحنين كتابين هما : المدخل الى صناعة الطب ، والمسائل في الطب للمتعلمين . بينما يقول آخرون انه مصنف

---

(61) ULLMANN, Die Medizin im Islam, Leiden/Koln 1970 .

(٦٢) انظر الهامش ٥٠ .وتذكر له ترجمة من السريانية الى العربية لكتاب جالينوس في التجربة الطبية، ط اكسفورد ١٩٤٧ .

(٦٣) عيون الانباء ، ص ٢٧١ . ويذكر هذا الاثر بالعناوين التالية لدى المؤلفين القدامى : « كتاب الزيادة في المسائل التي لحنين » (ابن النديم ، ص ٣٥٥ ؛ القفطي ، ص ١٧٧) و « كتاب المسائل في الطب للمتعلمين » (ابن النديم ، ص ٣٥٣) ، و « كتاب المسائل وهو المدخل الى صناعة الطب » (ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧١) .

واحد . ونحن مع الرأى الاول . فقد كان من عادة حنين ، ومدرسته ، ان يعيد النظر في الكتب المترجمة والمؤلفة مرات ومرات ، وادخال تعديلات واضافات ، لا سيما كتب المتعلمين ، بحيث يصبح النص المنقح وكأنه كتاب جديد يختلف عن النص الاسبق . وهذا هو — حسبنا — شأن « المدخل » و « المسائل » ، سيما وانه كتاب مدرسي يقوم المعلم بتنقيحه وتعديله عاما بعد عام .

وياتي عنوان هذا المؤلف بالسريانية هكذا : شوآلي دربان حونين لعلولي شروايي عم توسباثا دحوبيش

ܫܘܐܠܐ ܕܪܒܢ ܚܘܢܝܢ ܠܥܠܘ̈ܠܐ
ܫܪܘܝܐ ܥܡ ܬܘܣܦ̈ܬܐ ܕܚܘܒܝܫ (٦٤)

وقد لعب هذا الكتاب دورا مهما في طب العصور الوسطى ، وضمّ الى المجموعة الطبية التي عرفت باسم Articella ، واخرجتها مدينة سالرنو في ايطاليا(٦٥) .

وترجم روفينو هذا الكتاب الى اللاتينية ، نشرت الترجمة في البندقية عام ١٤٨٧ م، ثم اعيد طبعها في ليبزك عام ١٤٩٧ تحت عنوان :

Isagoge Johannitii in Tegni Galeni opera, a Rufino Transl. , Leipzig 1597

ومما يؤيد راينا في اعتبار هذا المصنف كتابين ، وجود ترجمة لاتينية مختلفة ،نشرت سنة ١٥٣٤ تحت عنوان :

(٦٦) Joannitii Isagoge in parvam Galeni, Argentorati 1597,

ونحن ان اسهبنا في الموضوع ، فالسبب الاهمية البالغة التي يتمتع بها هذا الاثر ، ومنه ما يقارب العشرين مخطوطة ، ذكر منها ست عشرة الاستاذ فؤاد سيزكين(٦٧) ، علاوة على مخطوطة ليدز والمخطوطات السريانية التي اقدمها مخطوطة الفاتيكان رقم ١٩٣ وهي من القرن ١١—١٢ م (٦٨) . وكان الاستاذ جيرار تروبو قد افادنا ، منذ اكثر

(٦٤) انظر مخطوطة الفاتيكان Vat. Syr. 193 ، ومخطوطتي برمنكهام Mingaua Syr. 594, 661

(٦٥) السامرائي — العلوجي ، آثار حنين ، ١٨١ .

(66) G. BERGSTRASSER, Hunain ibn Ishaq ueber die Syrischen und arabischen Galen-Uebersetzungen, Leipzig 1925

(67) Sezgin, op. cit., par. 46

(68) Riener DELGEN, The oldest known syriac manuscript =

من سنتين ، بانه عاكف على دراسة الموضوع لغرض القيام بطبعة نقدية لهذا الاثر ، ولترجمته اللاتينية .

وللمسائل ، كما للمدخل ، اكثر من شرح قام به اطباء مشهورون كابن النفيس ، وابن التلميذ ، وابي الفرج عبدالله بن الطيب ، وعبد اللطيف البغدادي ، وابي سعيد اليمامي وغيرهم . وقد قام آخرون بتلخيصه ، كما ناهضه غيرهم[٦٩] .

٢ – كتاب اصلاح الادوية المسهلة[٧٠] . ومنه مخطوطات : طهران ، مجلس ١٥٣٨ و ١٥٤٧ ، طهران ، واينشكاه ٤٦٠ ، ايران ، سنا ٣١٩٠، ٥١

٣ – كتاب الادوية المفردة[٧١]

٤ – كتاب الاغذية[٧٢] . ومنه مخطوطة حلب : فهرس سباط ، ج ١ ، ٢٩٤

٥ – كتاب في الاستسقاء[٧٣] . ومنه مخطوطة حلب – فارس : فهرس سباط ، ج١ . ٢٩٥

٦ – مقالة في النبض على جهة التقسيم[٧٤] . ومنها مخطوطة حلب – فارس : فهرس سباط ، ج ١ ، ٢٩٦ .

٧ – كتاب في الترياق ، ينسبه اليه سرابيون[٧٥]

٨ – امراض العين[٧٦]

٩ – الاقرابا ذين[٧٧]

---

of Hunayn B. Ishaq, Symposium Syriacum 1976, OCA 205, Rome 1978; M.J.L. YOUNG, A manuscript of Hunayn's Masa'il fi'Ilm al-Tibb in the Leeds University Collection, Arabica 1974.

(٦٩) السامرائي – العلوجي ، آثار حنين ، ص ١٧٨ – ١٨٤ .

(٧٠) عيون الانباء ، ص ٢٧٦ ؛ هدية العارفين ، ص ٢٦٣ .

(٧١) المصدران السابقان .

(٧٢) المصدران المذكوران . ويرد ذكر هذا الكتاب لدى الرازي وابن البيطار ايضاً ، ويوردان نتفاً منه .

(٧٣) المصدران المذكوران في الهامش ٧٠ .

(٧٤) المصدران المذكوران

(75) Leclerc, op. cit., p. 156

(76) Hirschberg, Handbuch II, p. 37

(77) Sezgin, op. cit., III, p. 265

يتضح من هذا العرض مدى الخسارة التي لحقتنا بفقداننا معظم ترجمات وتآليف حبيش ، كما هي الحال بالنسبة الى العديد من آثار علما ئنا . والأمل ان يعكف الباحثون على تحقيق ونشر المتبقى منها للاستفادة من جهود من سبقنا في ميادين العلم والحضارة .

التعبير عن النفس في الأمثال العربية

الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمي العراقي
الاستاذ بكلية الاداب / جامعة بغداد

المثل هو الصورة الصادقة لحياة الشعوب والأمم ، ففيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر السنوات الطويلة من حضارتها ، وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها . نجد في طياتها مختلف التعبيرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة ، وطرق متعددة ، كالسخرية اللاذعة والحكمة الرادعة .

ولا تختلف رغبات الانسان وهمسات روحه في أمة من الأمم عن غيرها الا بمقدار الاختلاف الناتج عن البيئة الطبيعية والثقافة العامة والتجربة الفردية ، وفي الامثال تعبير واضح عن النفس البشرية وتطور حياة المجتمع ونمو الحياة التاريخية .

ويحتاج المثل العربي الى دراسات متعددة الجوانب لتسجل تطوره الحضاري، والعوامل النفسية التي دعت الى ضربه لتكون سجلا للنفس العربية عبر تطورها التاريخي والروحي .

ولن أكون من علماء النفس في مقالي هذا انما سوف أحصره بالسلوك الفردي والتصرف الشخصي الذي انعكس على المجتمع العربي لأن ضرب المثل لم يأت الا رد فعل عميق لما في النفس العربية من أحاسيس ومشاعر نتيجة للمؤثرات الشعورية التي اختفت في العقل الباطن فجاء سلوكه تعبيرا عن عمق المؤثرات التي دعت الى ضرب المثل أو الحكمة .

ولا أريد في السلوك الفردي التصرف الانساني للأعمال الانعكاسية التي تصدر بغير ارادة الفرد ودون وعيه ودون تأثير العقل الواعي ، فان هذا من صفات الحيوان الذي لا يعقل ، ولأن أفعاله تأتي بصورة غريزية وتصرفه يكون بدون ارادة .

ان التصرف الواعي يختلف اختلافاً بينا من انسان الى انسان آخر ولو كانت تجاربهما متطابقة لأن اشتراك العامل الانساني ليس معناه تطابق الأمثال في الشعوب كل المطابقة وان تقاربت في كثير منها .

ان عمق التجربة عند أمة قد يختلف عن أمة أخرى تبعا لاختلاف التجارب الفردية للأنسان في المجتمع وتبعا لعاداته وتقاليده وأسلوب حياته ، لأن الأمثال تتغير بتبدل البيئات والتجارب الفردية والاجتماعية . فالأمثال التي تمتدح الكرم قد لا تروق لشعب عاش في جوع وفاقة وشهد الآفات . والأمثال التي تمتدح الفروسية والشجاعة قد لا يستسيغها شعب أحب الهدوء والدعة وانصرف الى ذاته الفردية وعكف على ملذاته الخاصة .

ومن دراسة المثل العربي نجده متسقاً في كثير من حكمته وموافقاً الطبيعة البشرية والسلوك الانساني والاختلافات ضئيلة بين الدنيا العربية رغم اتساع الرقعة وتطور حياة كل قطر من أقطاره واختلاف التجارب الجزئية فيه لأن المظاهر الانسانية والمثل الاجتماعية التي أحبها العربي في صحرائه تطورت وتبدلت ولكن في جذورها نابعة من النفس الانسانية كالغضب والحب والرضا والحزن .

وفي هذه الدراسة لا يمكن تتبع جميع الاستجابات النفسية والدوافع التي دفعت الى ضرب المثل ولكن سنمر على بعضها ونترك سائرها الى فرصة أطول والى وقت أرحب .

الحب والصداقة :

من أبرز مظاهر السلوك الانساني في جميع المجتمعات الانسانية اختلاف عناصرها وتباين لغاتها وتباعد أقطارها ، ظاهرة الحب ، لانها مرتبطة بالحياة وباستمرار الجنس البشري . فنجد المحب يتغاضى عن عيوب محبوبه لأن وجدانه ومشاعره وأحاسيسه تريد أن ترى المحبوب في أجمل الصور وأحلاها ولا يتمنى المحب الا أن يسعد الحبيب ويرضيه ، فهو لا يرى في أعماله الا الحسنات وان كل تصرفاته سليمة صحيحة

وان كانت هذه التصرفات بعيدة عن المنطق والواقع لأن المشاعر العميقة غلبت العقل ، فلم يعد قادرا على التعليل ووضع الأمور في الميزان الطبيعي الذي وضعه الناس وتعارفت عليه التقاليد .

ولا أعني بالحب الغريزة الجنسية بذاتها التي تحدث عنها فرويد ، أنما أريد سعادة الانسان بعواطفه البريئة وأحاسيسه في من يحب لأن هذه الاحاسيس تمده بالرضا والقوة والنشاط الروحي وتحجب كل مساوئ المحبوب وأغلاطه وبهذا جاءت الامثال :

ان الهوى شريك العمى(١)

حبك الشيء يعمي ويصم(٢)

اي انه يخفي مساويه ويصم عن سماع العذل فيه ومثله :

حسن في كل عين من تود(٣)

ومن أبرز مظاهر الحب والصداقة بين الناس الحنان المتبادل والرقة الظاهرة في التصرفات واللطف في المعاملة وصدور تعبيرات نفسية عن الحالات الوجدانية للانسان كالفرح باللقيا والابتسام عند الحديث الجميل والغيرة عليه وبخاصة اذا كانت أنثى فهي أكثر غيرة من الرجل حتى قال المثل :

لب المرأة الى حمق(٤)

فان شدة هذه الغيرة أعمت المرأة واساءت تصرفاتها وفقدت التوازن الاجتماعي من اجل الاحتفاظ بالرجل حتى أصبحت هذه التصرفات حمقاء .

وعندما أراد أن يصف العربي شدة الحب ورقة الحنان وجد في الطير المثال الجميل الذي يعبر فيه عن ما يعتور نفسه من حنان فقال في معاملة المحب للحبيب :

زقه زق الحمامة فرخها(٥)

وعندما خشي العربي من الملل النفسي الذي يسيطر على الانسان من كثرة الوصال

---

(١) مجمع الامثال ص ٨١ .
(٢) مجمع الامثال ص ٢٠٥ .
(٣) م . ن ص ٢٠٥ .
(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٩ .
(٥) مجمع الامثال ص ٣٣٧ .

ومداومة اللقاء عاد الى العامل النفسي لابقاء الحرارة واستدامة الشوق والحب ولدفع الملل والضجر ، لأن البعاد الموقت بين المحبين يؤرث الحب ويستديمه وهذه عادة مألوفة الآن في الغرب فان السيدة المتزوجة تأخذ اجازة سنوية تبتعد فيها عن زوجها كما يأخذ رب الأسرة مثل هذه العطلة حتى يقتل الملل الذي يعانيه من طول الزواج وعندما يعود بعد فترة يجد احساسا نغاير أحساسه الأول ورغبة في اللقاء وادامة الوداد ، وقد عبر المثل العربي عن هذه الظاهرة النفسية بقوله :

الهوى من النوى[1]

واغتراب تتجدد[2]

ورب ثاو يمل منه الثواء[3]

وليس على نفس المحب أمض من الهجر فقد أكثر الشعراء والكتاب من لعن الهجر وتبرم به المحبون رغم ان الهجر يؤرث الحب ويزيده اشتعالا ولعل الخوف من الفرقة الدائمة هو الذي يملأ قلب المحب جزعا وقد يعبر العرب تعبيرا جميلا عن هجر الحبيبة دارها أو حبيبها فقال المثل :

من شم خمارك بعدى[4]

ويلجأ المحب الى ابقاء الذكريات الحلوة واللحظات السعيدة عندما يريد أن يثير حنان الحبيبة لأن الذكريات العذبة تغطي على كثير من الأغلاط وتعيد الحبيبة الى ساعات الرضا واشتداد الاوار وبعدها تبدأ المغازلة باللفظ الجميل والعبارة المنتقاة حتى يصفو قلب الهاجر ويعود الى المحب ولم يجد العربي تعبيراً عن اثارة الحب والرقة من الناقة حتى تدر لبنها بعد الايناس فقال المثل :

الايناس قبل الابساس[5]

وأجمل حنان يملأ النفس سعادة هو حنان الأم على ولدها وقد عبر المثل العربي

---

(١) مجمع الامثال ٢ : ٣٦٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الشطر الاول : آذنتنا ببينها اسماء .
(٤) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٥) الميداني ص ٦٢ .

عن اللطف والعطف في حياته العامة بها فقال :

حرك لها حوارها تحن[١]

وقد وجدنا العقوق من الأبناء للآباء ولكن حياة العرب لم تخل من أم بلا حب ولا رقة ولا حنان تعامل بها ولدها فتهجر الأم ابنها ولا ترعاه ولا تحدب عليه فقال :

ضئر رؤم خير من أم سؤوم[٢]

البغض والعداوة :

مهما تقدم الانسان في الحضارة وشذبت طباعه ولانت جوانبه بالثقافة والعلوم والآداب والفنون فلن يقدر على اخفاء غريزة العداء والبغض في نفسه فقد بقيت في كيان الانسان منذ عصوره الموغلة في القدم لان النفس الانسانية تحب الطموح والتبدل والتغيير لان وجود المعوقات امام رغبات النفس وحجب ما ألفته عنها يثير غريزة الكراهية والعداء ضد تلك المعوقات .

وقد يكون العداء فرديا لسبب خاص أو لتجربة ذاتية او يثار البغض والعداء من اختلاف المثل والديانات وتباين الغايات الفكرية والطائفية او البلدانية ، ولكن مهما كانت دوافع البغض ومسبباته فيجب ان نعترف بوجوده وبالتعبير النفسي عنه .

وقد تبدو تعبيرات الكراهية والبغض بوضوح على السمات الخارجية او باسلوب التعامل الانساني وقد يصدر تعبيرا لا اراديا عن كوامن النفس فيكون الانسان مربد الوجه مغير الملامح متجهم السمات ، وقد عبرت النفس العربية عن هذه الحالات بالامثال التالية :

شاهد البغض اللحظ[٣]

و البغض تبديه لك العينان[٤]

و اذا قرح الجنان بكت العينان[٥]

واذا اشتدت الكراهية وزادت روح البغض والعداء في النفس تتحول التعبيرات

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٠ ومثله حوارها تقر ص ٣٠٤ .
(٢) مجمع الامثال ص ٤٦١ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٧٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٥) المصدر السابق .

الى اعمال العنف والقسوة وسوء المعاملة ، فيقول المثل :

قشرت لـه العصا[1]

لبست لـه جلد النمر[2]

ففي الكناية تعبير عن عميق الالم والبغض باظهار العداء ومهاجمة الانسان المكروه ومكاشفته بما يجول في النفس اذا لم يقدر على كبح جماحه وايقاظ غضبه وتعويق انفعالاته .

ولا بد ان الانسان قد خرج في بغضه الى حد الغضب وثورة النفس وحاول ان يسيطر على أعصابه وكبح ثورته عندما رأى من يحقد عليه ويبغضه أكبر منه قوة وأبعد نفوذا ، فخشى العاقبة واراد ان ينفس عن النفس المكروبة الغضبي ولتسرب ثورته لا بد من عمل شيٌ ، فرسم المثل العربي الانسان الغاضب وهو يخط الارض بسهمه بقوة وانفعال فتتكسر من شدة انفعاله السهام على قوتها ومتانتها ويحطم مداخلها ، فقال المثل :

انه ليكسر علي ارعاض النبل غضبا[3]

ومثل هذه العوامل النفسية وسيطرة العقل على الانفعال والثورة يقول المثل :

انه ليحرق علي الأرم[4]

وهل هناك أشد غضبا ،من ان ينفس الانسان عن حقده وبغضه وثورته ، من عض الأصابع أو عض الحصا أو صريف الأسنان ، ومثل هذا :

تركته يصرف عليك نابه[5]

ومن طريف البغض والشماتة ما كانت تكنه نفس عمر بن الخطاب (رض) للسكران الذي جاء به الحرس بين يديه وهو مسلم قد خالف تعاليم الدين الاسلامي ، فعندما سقط قال له :

لليدين وللفـم[6]

---

(١) الميداني ج ٤٨/٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩ .
(٣،٤) مجمع الامثال ٣٨ ولاحظ السدوسي ص ١١٤ .
(٥) المصدر السابق ١٣٩ .
(٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٨

وقد تجنب العرب اثارة البغض والعداوة وحاولت جهدها الابتعاد عنها وقد وجدت ان الملاحاة طالما أثارت الغضب والعداواة حتى ورد في الحديث الشريف اول ما نهاني ربي عنه عبادة الأوثان وشرب الخمور وملاحاة الرجال ، فقال المثل :

من لاحاك فقد عاداك[1]

لأن الملاحاة تجر الى المناقشة والفوز على المقابل وكثيرا ما تثار النفس ويتجادل المتناقشون وتجر الملاحاة الى أمور بعيدة من الموضوع ذاته وقد (يقشر أحدهم للآخر العصا) أو (يلبس له جلد النمر) فيكرهه من كلمة سوء ويحقد عليه من عبارة سيئة ندت بسرعة دون قصد وبنية حسنة .

البخل والكرم :

الكرم من أبرز ملامح المجتمع العربي ، فالعربي في الأكثر الأعم يكون كريما سخيا يجود بكل ما لديه في سبيل المحتاج والضيف والملهوف ، وهو انعكاس لحياة المجتمع البدوي في الصحراء ، فقد وضع الكريم في منزلة عالية وأعتبر الكرم من الفضائل السامية الممتدحة ، وقد تكون الطبيعة الصحراوية هي التي فرضت هذا التعاون الاقتصادي بين أبناء البادية حتى أصبح جزءاً من الأعراف والتقاليد المرعية ، فالبدوي في صحرائه البعيدة عن العمران المتنقل في خيامه قد تسامى انسانيا فأغاث الجائع وساعد الملهوف وسقى العطشان لأنه قد يقع فيما وقع لهذا الانسان في يوم من الأيام .

وبعكس الكرم هوجم البخل والطمع والشره لان ابن الصحراء يكفيه الطعام القليل والماء المحدود ، فرسم العربي صورة كريهة للشره لا يكاد يصدقها الخيال والواقع إن الشره انسان يهاجم الكلاب على فضلات الطعام، انها زراية وسخرية واحتقار لهذا الانسان عندما عبر المثل عن بخل هذا الانسان بقوله :

هو يبعث الكلاب عن مرابضها[2]

ولا يكتفي العربي بمدح الكريم وذم الشره ، انما يهاجم الغني الذي لا ينفع

---

(١) المصدر نفسه ٢٦٨

(٢) مجمع الامثال ٣٥٦/٢ .

المجتمع بماله ولا يستفيد من ثروته انما يحجز امواله ويكدسها ، انها صورة اخذها العربي من حياة الصحراء ومن ابله ، فقد وجد عشبا نضرا زاهيا سوف يجف ويذهب دون فائدة . فقال عن الغني لا ينتفع الناس بماله :

عشب ولا بعير[١]

وقد عبرت النفس الانسانية تعبيرا جميلا أخذته من الأغنام التي يستفيد الناس من صوفها في الملبس والفراش والخيام وغيرها من الفوائد فوصفت غنى البخيل كالجزة على شاة السوء :

رب جزة على شاة سوء[٢]

وصور السخرية من البخل والبخلاء كثيرة في الأدب العربي ولكن المثل عبر عن النفس العربية باختصار شديد ورسم صورة (كريكاتورية) هزلية ساخرة فقد وصفت حالة البخل عند البخيل بانه منع حتى الفأر من تذوق طعامه الذي يكتفي بالقليل من الطعام والتافه منه ، فقال :

يلجم الفأر في بيته[٣]

وتزداد السخرية والزراية بالغني ذي الاموال الكثيرة الذي لا يصرف على نفسه من ماله ولو كانت هذه الاموال كالبحر كثرة ، فقال عنه :

يصبح ظمآن وفي البحر فمه[٤]

وتفنن المثل العربي بالتنديد بالبخل ورسم لنا صورة الانسان الذي كثر ماله ولكنه لشدة جشعه وعمق طمعه يرى كل هذه الاموال الكثيرة قليلة ، فقال :

رب مكثر مستقل لما في يديه[٥]

ولم يكن البخيل محبوبا حتى من اهله واقربائه لانه انسان يقصر في ماله عن فائدة المجتمع الذي يعيش فيه واشد مرارة على النفس ان يتحاماه اهله ويبعد عنه اقرانه فقال :

---

(١) مجمع الامثال ٤٧٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٢٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢/٣٩٤
(٤) مجمع الامثال ج٢ ص ٣٨٦ .
(٥) المصدر السابق ٣٠٩ .

من شر ما القاك اهلك[١]

ونبذ البخل ومهاجمته ظاهرة في الامثال العربية لتدفع العربي الى الكرم والجود وبذل المال ووصف البخل بصورة ساخرة زراية بصاحبها لإن المجتمع العربي كان شديد الكرم ، فمن الامثال التي تهاجم البخل والبخيل :

يمنع دره ودر غيره [٢]

ما تبلّ احدى يديه الاخرى[٣]

اذا قلت له زن طأطا رأسه وحزن [٤]

لا يبض حجره [٥]

ولو تعلل البخيل بالاعسار فلن يصدقه المثل ، فقال عنه :

قبل البكاء كان وجهك عابسا[٦]

ان الكرم معناه ان تغلب غريزة العطاء الانسانية على غريزة البخل الانانية الفردية لأن أصحاب النزعات الفردية لا يهمهم ما يقاسيه المجتمع من شقاء وألم ، وقد رأى البخيل المصلحة في اشباع رغبته في الجمع لان ذلك يسعده أكثر من مقالة الحمد وعبارة الثناء فقد رغب عن اثبات ذاته اجتماعيا ورغب في اسعاد ذاته بالمال ، فقال :

لايكسب الحمد فتى شحيح[٧]

وقد رغّب المجتمع البدوي بالكرم لان من يجود بالمال لا بد ان يحتاج يوما الى الآخرين ، فقد ينقطع في سفر عن أهله وأسرته أو يصاب بكارثة تذهب بماله ،فقال :

أحسن وأنت معـان[٨]

والتأكيد على الكرم في العادات العربية حماية اجتماعية لكل العرب في البوادي لإن الصحراء فرضت هذه العادة الممدوحة وأصبحت من مقومات المجتمع العربي ولم تتغير الا بعد أن شابتها موازين الحضارة الجديدة وغيرت كثيرا من العادات العربية

---

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) مجمع الامثال ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠ .

(٤) الميداني ص ٦٥ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٩ .

(٦) مجمع الامثال ج ٢ / ٣٩

(٧) المصدر نفسه ص ١٩٩ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٢٤.

السامية وحلت مؤسسات جديدة تنوب عنها في اطعام المسافر وتشبع الجائع وتروى العطشان كالفنادق والمطاعم ولكن بقيت الشراهة في الطعام وأثرها في الآمثال العربية ، فقد قيل عن الشره والطماع الذي لا يرضى بالكسب من ناحية واحدة ؛ :

أراد أن يأكل بيدين[1]

ويضرب المثل بالبخيل الذي يطلب انواع الأطعمة لنفسه ويمنعها عن غيره :

يشتهي ويجيع[2]

والغنى والفقر والري والشبع والجوع ظواهر اجتماعية عند كل الامم ولكنها تبرز أكثر في الصحراء الجرداء لأن العربي في الصحراء يكافح من اجل الحصول على اللقمة ويتتبع منازل الخصب ويعيش على ما تدره الطبيعة عليه ليدفع عنه غائلة الجوع والعطش اذا ضل في الصحراء ولم يجد المسعف فسوف يموت ويهلك لذلك فالغني هو صاحب الكلمة العليا لانه يملك الطعام والشراب ويستأثر باحسنه واطيبه فاخذ العربي يضرب المثل بحاجة الفقير الى الغني ويصف مقدار الحاجة الى عطائه بالمثل التالي :

اذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة[3]

وأشهر الاطعمة وأحسنها الحليب فهو غذاء البدوي وشرابه ومتى كثرت الالبان ودرت النوق يزداد الشبع ويكثر الغنى ومتى حافظ الغنى على امواله وخزنها قال المثل :

صرى واحلبي[4]

ويزداد الخير بكثرة الامطار وانتشار الكلأ الذي ترعاه الابل والاغنام فيعود على صاحبها الغنى باليسر الذي ينسى غيره الذي لم تمطره السماء وتنبت له الزرع ، فعبر البدوي عن الغني الذي لا يدري بحال المحتاج بقوله :

يحسب الممطور ان كلا مطر[5]

وفي الصحراء التي يقل فيها الزرع والنبات يرضى الانسان بالقليل من الطعام وبأدنى حد منه ، بل اسوء انواعه وقد يقنع ، عندما يفصد الدم ويشوي له ويطبخ ليطعم هذا الانسان قال المثل عنه :

---

(١) المصدر السابقص ٣٠٢ .
(٢) مجمع الامثال الميداني ٣٨٤/٢ .
(٣) الدقيقة : الاغنام وهي لا تحتاج الى طعام كثير كالجليلة (الابل) المصدر السابق ص١٧٠ .
(٤) شدي الضرع بالصرار . يلاحظ مجمع الامثال ص ٤١٥ .
(٥) الميداني ج ٢ ص ٣٨١ .

لم يحرم من فصد له (١)

وفي القناعة باليسير عن الكثير قوله :

ارضَ من العشب بالخوصة (٢)

والعربي ابي النفس تدعوه الكبرياء الى كتمان حاجته وعدم التصريح بفاقته للآخرين حتى لايحتقر ويفتضح فقره وقد يكون اقل منزلة في مجتمعه من غيره لاحساسه بان الذي يتفضل عليه بالكرم اعلى منزلة وارفع مقاما ، فرأى في العطش الشديد وصبره على الشدة واللأواء خير من ان يرتوى بمنة رغم الحاجة الشديدة للري حفاظا على كبريائه واثبات ذاته ، قال :

ظمأ قامح خير من رى فاضح(٣)

انه استعلاء وتسامى انسانٍ تغلب حتى على غريزة حب الذات والحياة .

الكبرياء والظلم

في الصحراء المترامية الاطراف ، حيث تنازع البقاء وحيث الطبيعة القاسية الجافية لن يقدر على العيش فيها الا القوي الأ يّد ولا مكان في الصدر الا للشجاع البطل الجسور وحالات النفس الانسانية تختلف باختلاف ما يلاقيه الانسان من انتصارات وسطوة واتساع نفوذه وسلطانه او اخفاقه وخسارته فاذا ما انتصر وسيطر فقد تزدهي نفسه وتخامرها الخيلاء وتداعبها امارات الكبرياء والاستعلاء وفي الطبيعة البدوية الواضحة والمساواة في العشيرة وجدنا العربي يكره مظاهر الاستعلاء واشكال التكبر ، فضربت الامثلة المتعددة للتعبير عن الكراهية منها :

الكبر قائد البغض (٤)

ثمرة العجب المقت(٥)

بالارض ولدتك امك (٦)

ليس هذا بعشك فادرجي (٧)

انا ابن جلا (٨)

---

(١) السدوسي ص ١٧ .

(٢) الميداني ص ٣١٧

(٣) الميداني ٤٥٩ .

(٤) مجمع الامثال الميداني ج ٢ ص ١٢١ .

(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٢ .

(٦) المصدر السابق ١١٤ .

(٧) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٠ .

(٨) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ .

ومن الأمثلة اللاذعة القاسية ما قاله المولدون :

كأن الشمس تطلع من حرامه

وقد اختلفت الامثلة باختلاف ظروفها ولمن قيلت وفيها القاسي العنيف والناصح الرقيق والكناية اللطيفة ، ورغم قساوة الطبيعة في البادية تظهر البساطة على النفس العربية فاذا اختلت الامور في الحياة الاجتماعية وبرز فيها انسان بعد ان كان في اواخر الصف الاجتماعي يعبر المثل عن هذه الحالة النفسية بقوله :

كان سندانا فصار مطرقة (١)

وان البغاث بارضنا يستنسر (٢)

فقد اخذ المثل (ان البغاث بارضنا يستنسر) من صغار الطير التي تظن انها اصبحت ذات اهمية بين الطيور وتريد ان تكون كالنسور ، وهذا من استحالة الامور اذ لا بد لمن يود في المجتمع البدوي السيادة والقوة ان تكون له صفات عالية كالكرم وسمو الاخلاق وغير ذلك من السجايا التي تفرضها تقاليد الحياة العامة وحماية الضعيف ونصرة المظلوم وخير مثال لنا (حلف الفضول) الذي نصر الضعيف الذي لا سند له ، لأن الفروسية ان تحارب من هو بقوتك وتبتعد عن ظلم الضعيف الاعزل الذي لا حول له ولا قوة ، وقد ضرب المثل بالذي يعتدى على الضعيف كالبازي الذي يقطع بمخالبه الطير الاعزل ، فقال :

مخالب تنسر جلد الاعزل (٣)

والضعيف الذي يجد من يذود عنه ويحميه من سطوة الظالمين لا بد أن يقابل صاحبه بالطاعة والخضوع ، فقال المثل :

جرني وأنا حصير (٤)

ورغم العادات والتقاليد الكريمة في حماية الضعيف فقد وجد العربي ان الظلم طبيعة الناس وانه عادة متأصلة بين البشر ، فقال :

الناس شجر بغي (٥)

انها نظرة اسف وألم ان نجعل البشر كلهم كالشجرة التي تنبت البغي وتترعرع عليه

---

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ١١٩ .
(٢) لاحظ الميداني ج ١ ص ١٢ .
(٣) النسر نتف اللحم بالمنقار . الميداني الجزء الثاني ص ٢٧٢ .
(٤) رسالة الامثال البغدادية مثل رقم ١٨٣
(٥) مجمع الامثال ج ٢ ص ٣٠٧ .

وتنمو في احضانها وفي المجتمعات المتأخرة وفي اوقات الفوضى لا مكان الا للقوى والظالم، لذلك وجدنا المتنبي يقول: (والظلم من شيم النفوس فان تجدذا عفة فلعلة لا يظلم).

ولا تخلو الحياة من الحق والعدل والقسط بين الناس وقد وجدنا من قام بوجه الظالمين وحارب المعتدين وقد كثرت عند العرب كلمة الظلم ووصف الظالم بصفات متنوعة ولم يجد البدوي في الصحراء اكثر من الذئب مشاركة له في ماله ومنازعته الحياة من اجل البقاء فرآه ظالما فعبر عن نفسه بامثال منها :

أظلم من ذئب

ومن استرعى الذئب ظلم

وكافأه مكافأة الذئب[1]

ولا يعيش في الصحراء غير القوى الذي يحارب الطبيعة ويثبت امام الغزوات التي تشن على قبيلته ومن لا يدافع عن حرمته يصبح مهانا محتقرا :

ومن لم يذد عن حوضه يهدم

ومن يكن ضعيفاً لا قوة له فليس له الا الصراخ والشكوى وطلب النجدة من الاقوياء لمساعدته في ضعفه وخوره ، وقد قال المثل عنه :

لو ترك الحرباء ما صل [2]

وأبت النفس العربية سيطرة الظلم والاستبداد واحبت الحرية والمساواة ولا تريد سيدا ومسودا في الجزيرة لان الظالم اليوم لا بد ان يكون مظلوما غدا وسيعود ظلمه عليه ومن الامثلة المعبرة :

الظلم مرتعه وخيم [3]

و وقع الكلب على الذئب[4]

ولا تجن من الشوك العنب[5]

ومن يرضَ بالظلم ويسخر للغير ويرضى بالذلة والخضوع والاستسلام يكن مدعاة سخرية وزراية :

---

(١) مجمع الامثال ص ٤٦٢ .

(٢) الحرباء مسمار الدرع . ومثلها كل حرباه اذا كره صل . الميداني ٢/١٠٠ و ص ١٤٩ .

(٣) مجمع الامثال ص ٤٥٩ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٠ و ج ٢ وص ٢٧٤ .

هو أهون عليه من طلبه [1]

اهون مظلوم سقاء مروّب [2]

الجبن والخضوع والخوف :

في مجتمع يقابل الانسان فيها الطبيعة وجها لوجه بسلاحه البدائي وتهاجمه الحيوانات الضارية بغتة ويجوب المفاوز المهلكة والصحارى القاتلة لا يدري اين يكمن له عدوه وفي غموض الكون بالقياس الى تجاربه المحدودة يكون يقظا خائفا وقد وجد الليل ستارا يحجب عنه الرؤية ويحول دون معرفة من تسربل به فاستراب منه وخاف الظلمة والليل، والخوف غريزة طبيعية للمحافظة على الحياة ومن يقدر على كبت خوفه والسيطرة على فزعه فهذا الشجاع الذي امتدحه العرب ، وقد كثرت الامثال في تمجيد الشجاعة والبطولة وعدم الخوف كما كثرت الامثال في وصف الخائف ووصف انفعالات الخوف التي تظهر عليه والتعبيرات التي ترتسم على وجهه رد فعل لما يقاسيه في داخل نفسه ولسنا بصدد اثبات ان الخوف غريزة انما سأتبع التعبير النفسي الذي يصف فيه الخائف المضطرب وما يبدو على جسمه من اضطراب من شدة الهلع والخوف وما يداخل قلبه من رجفة سرعة دقات قلبه وارتفاعها قالت الامثال :

جاء ترتعـد فرائصه

يفزع من ظلـه

قلبي من الفزع في قارورة

طارت عصافير راسه

فلم يترك العربي مظهراً من مظاهر الخوف الا ذكرها وأطرفها الاخير الذي تخيل ان العصافير واقفة على رأسه وانتفض الخائف كالغصن حركته الريح خوفا فهلعت العصافير وطارت .

ووصف الامثال الحالات النفسية التي تعترى الخائف فقد يعقد الخوف لسانه ولايسيطر على نفسه وتصرفاته ويطيش عقله ويتبلد ذهنه .

من بعد قلبه لم يقرب لسانه ولايده

لن يجد في السماء مصعدا وفي الارض مقعدا

وفي الخوف والهلع لا يعود الانسان الى طبعه وهدوئه الا اذا ذهب عنه الخوف

---

(١) الميداني ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٠ .

وخرج الجزع من قلبه فيرتاح قلبه ، فشبه المثل العربي الخوف بالبيضة التي يبيضها الطائر فقال :

قد افـرخ روعـه

افرخ القوم بيضتهم

ولم يقف التعبير النفسي عن وصف ارتعاد الفرائص والاعضاء التي تهتز خوفا انما بالغ العرب في وصف مشاعر الخوف وعمقها في نفس الخائف وعندما ضربوا المثل بشدة هذا الخوف ، قالوا :

اقشعرت منه الذوائب

و اقشعرت منه الدوائر[1]

اما البطل الشجاع الذي لا يخاف ولا ترهبه الرعود او الاصوات المفاجئة وغيرها من مثيرات الخوف فقد وصف بانه انسان لا يكترث بشيء ولا يهتز من صوت ، فقال المثل:

ما يقعقع له بالشنان[2]

وقد امتدح العرب الثابت الجنان الذي لا يرهب الليل وظلمته على الرغم مما في دياجيه من اخطار الاعداء والحيوانات المفترسة لان حجب الظلام تمنع الرؤية الواضحة فيخاف الانسان من المجهول فاذا ثبت ومنع نفسه من الفرار والخوف قال المثل عنه :

انه لرابط الجأش على الاغباش[3]

ولن يكون الانسان رابط الجأش شجاعا الا اذا عاش في مجتمع يحترم ذاته ويقدر رأيه ويساويه مع غيره من افراد المجتمع وفي المجتمعات المتأخرة تضيع الحرية الفردية وتبرز سلطة المستعمر على حساب حرية الشعب ويكون المجتمع البشري في اكثر حالاته خائفا مترددا وجلا وتسوء اخلاق الفرد ويميل الى الخشونة واللاابالية لان السلطات الاستعمارية مهما كان اسلوب لن تعطى الشعب حريته في التعبير فستتولد فيه امور غير طبيعية (من سوء السلوك كالعراك والخشونة بين كل فرد وآخر والاهمال في العمل وفي استعمال الادوات والتراخي وعدم وجود الميل والفوضى العامة)[4] وهذا ما لا

(١) الدوائر : جمع دائرة حيث اجتماع الشعر من منبت الفرس وصدره . مجمع الامثال ٢/٥٤ .

(٢) القعقعة : تحريك مادة صلبة لاخراج صوت ، وكانت العرب تحرك الشنان (القرب) القديمة لتفزع الابل وتدفعها الى المسير . الميداني ٢/٢١٥ .

(٣) الجأش : القلب وهو يضطرب عند الخوف ، الاغباش الظلام . مجمع الامثال ص ٥٦ .

(٤) ميادين علم النفس تأليف جيلفورد ترجمة يوسف مراد .

يطور امة ويقدمها في معارج الحضارة انما ينتشر الخضوع والذل والنفاق بين الشعب .

الخضوع والذل والنفاق :

أما الشعب الذي احترمت ذاتيته وصينت كرامته ، وسمع رأيه فسوف يكون شعبا قويا صريحا واثقا من نفسه ولن يكون كذابا اومتزلفا للسلطةالمستعمرة لانه قوى الشخصية اعتز بمنزلته الاجتماعية وتمكن من مقاومة الظلم والطغيان ولا يخاف عقابا او يرهب من سطوة المستعمر ومتى ضاعت هذه الشخصية وخسر معركته مع المستعمر فسوف يكون شعبا خاضعا هينا يستسلم بسهولة لكل قائد يقوده كالقطيع الذي لا يفكر الا بسلامته وامنه فتظهر الزلفى والقلق والحيرة ومداراة الحاكم والنفاق في الحياة العامة ، وخير تعبير عن النفس العربية من خوفها ونفاقها الامثال التالية :

اذا تكلمت بليل فاخفض (١)

واذا تكلمت نهارا فانفض (٢)

ومثله : اسجد لقرد السوء في زمانه (٣)

ومنها : سبح يغتروا (٤)

ان للحيطان آذانا (٥)

امثال عبرت اصدق تعبير عن الريبة من الناس والخوف من الجواسيس والتقرب الى السلطان بما يسره ويفرحه والابتعاد عما يغضبه ويزعجه وسرت مظاهر النفاق والمداجاة في فترة من الزمن واصبحت جزءاً من حياة المجتمع بعد ان كان النفاق محاربا من التقاليد العربية والعادات الاصيلة ، فقال المثل :

اذا دخلت قرية فاحلف بالهها (٦)

ولم تغب ظاهرة النفاق بعد ان تحضر العرب عن المثل العربي المولد فقال يصف صاحبها بالذل والهوان وبذلك خرجت كلمة النفاق من مدلولها الديني الى المدلول الاجتماعي فقال :

(١ ، ٢) مجمع الامثال ج ١/٦٤ . وهما مثال واحد

(٣) الطالقاني مثل رقم ٩٠ .

(٤) مجمع الامثال ص ٣٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٩٠ . وهو مولد

(٦) المصدر السابق ص ٩١ . وهو مولد

نفاق المرء من ذله [١]

يهب مع كل ريح ويسعى مع كل قوم ويدرج في كل وكر [٢]

يسقي من يد كل كأس [٣]

انه تبدل في المثل العربية التي تربت على الصدق والصراحة ورفض الباطل ومحاربة الظالم بعد ان استبد المستعمر والتذ بالسيطرة واذلال روح الشعب التي نافقت فسبحت بحمده واكثرت من الثناء بالباطل على اعماله وتصرفاته وليس هذا سبيل تربية الشعوب واعدادها الصحيح

الغضب :

بدأنا بالحب ورقته ولطفه ونختتم هذه الجولة بالغضب ، لانه غريزة تبرز الانسان بصورته الوحشية الاولى فالغاضب تتغير تصرفاته وتتبدل طبائعه لان رغبة من الرغاب او هدفا من اهدافه لم يحققها وهو يحس بان هذه الرغبة او هذا الهدف من حقه وبذلك تطور الغضب او تبدل فقد كان باعثه الاول الدفاع عن النفس واثبات الذات والتنازع على البقاء بصورها البدائية التي حولتها الحضارة الى المثل والتقاليد والعادات فيغضب الانسان عندما يؤذى في عقيدته ويثور اذا احس بان مبدأه امتهن وتظهر على الغاضب المعاصر العلامات التي كانت قد ظهرت على اجداده من آلاف السنين وتتجسم على محياه الكراهية والحقد وتتغير ملامح وجهه وطريقة تعبيره واسلوب معاملته للآخرين وقد يتحول الغضب الى البطش والايذاء اذا آمن الغاضب من العقاب ووجد في المغضوب عليه الضعف اما اذا كان المقابل قويا اشرس منه واكثر سطوة واشد مراسا فسوف يتحول الغضب الى ثورة مكبوتة وسوف يكظم الغضب ويكون رد الفعل في نفس الغاضب عميقا وتهتاج اعصابه وتستعد عضلاته للقتال وقد يفقد السيطرة على النفس ويظهر انسانا آخر ويصبح كالديك المتوتر العرف الهائج الجسم وقد صور المثل هذا الانسان بصور متعددة منها :

وجاء نافشا عفريته [١]

وجاء فلان كالحريق المشعل [٢]

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر السابق ٣٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ٣٩١ .

(٤) مجمع الامثال ص ١٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

ثار ثائره[1]

غضبه على طرف انفـه[2]

والقوي الذي يتحدى الغاضب ويكسر شوكته قال عنه المثل العربي :

ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا[3]

لافشنك فش الوطـب[4]

واذا كان علماء النفس قد سربوا غضب الغاضب بطرقهم الحديثة عندما حولوه الى عادة مفيدة فقد عالج العرب الغضب بالنوم ، فما على الغاضب الا النوم ليرتاح ويتخلص من غضبه :

النوم فرخ الغضب[5]

او ان يعامل الغاضب باسلوب جميل واهداء ما يسره ويزيل غضبه فان كان محتاجا مدت له يد المساعدة او كان جائعاً سد جوعه فقد نزل رجل من العرب بقوم وكان غاضبا عليهم ثائرا لامر صدر منهم فما اسرع ما عرفوا جوعه فسقوه لبنا فسكن غضبه فقال المثل :

ان الرثية تفثأ الغضب[6]

وعندما يهدأ الانسان تنبسط اساريره ويعود شخصاً هادئا ، فقال المثل :

تحللت عقده

جاء يتخرم زنده[7]

وجميع الغرائز الانسانية الحيوانية التي غطتها الحضارة وغلفتها العادات والتقاليد تتجه نحو الدمار والفساد اذ سارت مسارها الحيواني ولم يسيطر العقل عليها وتصقلها قوة الارادة ولكنها اذا هذبت واتجهت نحو الخير سمت وارتفعت فاصبحت اداة اصلاح وبناء ، وقد هذب العرب غريزة الغضب وسلكوا بها مسلك البناء وانتفع بها الانسان

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٢) رسالة الامثال البغدادية رقم ٣٢٨ .

(٣) مجمع الامثال ص ٣٢ .

(٤) المصدر السابق . الجزء الثاني ص ٣٠٣ .

(٥) المصدر نفسه ٢٥٠ . فش الوطب اخرج منه الهواء .

(٦) الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو . والفثء : التسكين . الميداني ص ١٢ .

(٧) : تخرم : تسكن . مجمع الامثال ص ١٨٦ .

وافادته التجارب عندما رأى ان غاقبة الحقد والانتقام والشرقد تعود عليه بالشر والاذى ورأى في حلاوة الصفح وجمال العفو ما يرضي الناس ويرفع قدره وينال به الثناء والتقدير فقد حدثنا عن رجل من قريش كان يريد الانتقام من شخص آذاه وان يأخذ بثأره منه ولما ظفر به واصبح بين يديه خاضعا ذليلا سمت نفسه عن الانتقام واخذ الثأر وقال :

ان المقدرة تذهب الحفيظة

ومثله : ظفري بمثلك هزيمة

ان التعبير عن النفس في الامثال العربية يحتاج الى دراسة مطولة والى تحليل أعمق ودراسة اوسع لان العامل النفسي اصدق المؤتمرات والامثال العربية خير سجل واصدقه لحياة العربي ونفسه ومشاعره ففيها صور حياته وتجاربه ورغباته وحياته الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والفكرية . وعساني اثرت في هذا القول رغبة الباحثين والدارسين

مصادر البحث :

١ – الامثال العربية القديمة – دودلف زنهايم ترجمة د . رمضان عبد التواب
٢ – امثال العوام في الاندلس – تحقيق محمد بن شريفة
٣ – رسالة الامثال البغدادية – علي بن فضل الطالقاني
٤ – كتاب الامثال للسدوسي – تحقيق الدكتور محمد الضبيب
٥ – مجمع الامثال – الميداني
٦ – دراسات في علم النفس الادبي د . حامد عبدالقاد
٧ – علم النفس للمجتمع د . عزيز فريد
٨ – مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم د . محمد فرغلي فراج
٩ – ميادين علم النفس جيلفورد ترجمة : د . يوسف مراد

الدكتور يوسف عزالدين

(٣) مجمع الامثال ص ١٦ .
(٤) الطالقاني مثل رقم ٣٠٩ .



الدكتور جميل سعيد

عضو المجمع العلمي العراقي

الاستاذ بكلية الآداب / بجامعة بغداد

البيان والمعنى عند العرب :

ادب العرب الجاهليين ، يرينا انه صورة صادقة لحياتهم البدوية ، في ظلّ الصحراء[1] كانت بيئتهم قليلة التنوّع في طبيعتها ، وفي مناظرها وصورها ، ومن هنا قلّ التنوّع في ادبهم ؛ في موضوعاته وفي معانيه .

ويبدو لنا انهم كانوا اقدر على البيان ، وعلى التعبير الحسن عن المعاني منهم على ابتداع المعاني الجديدة المبتكرة ، حتى نراهم – في كثير من الأحيان – يتواردون على المعنى الواحد ؛ يديرونه ، ويقلّبونه بما شاء الله من صور التعبير الحسنة اللطيفة .

وقد يضيق بعضهم بهذه المعاني المتكرّره، ويبحث عن جديد ، ويعييه البحث حتى ليتوهّم ان المعاني قد نفدت ؛ انفدها السابقون ولم يبقوا شيئاً للاحقين ، فيعبّر بشيء من الضيق عن هذا ، على النحو الذي عبّر به عنترة في مفتتح معلّقته[2] ، بقوله :

هل غادر الشعراء من متردّم ! ؟

أم هل عرفت الدار بعد توهّم ؟

او يبحث عن الجديد ، ويعييه البحث ايضاً ، فلا يرى بدّاً من ان يرتدّ الى القديم ،

(١) انظر الحديث في هذا ، في : فجر الاسلام ، للاستاذ احمد امين بك ؛ ٦٨/١ – ٧٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بمصر سنة ١٩٣٥ .

(٢) شرح المعلقات ، للزوزني .

يعيده ويقنع منه بالصياغة الجديدة الحسنة ، يقولها في شيء من التبرّم ؛ على نحو ما نسب لزهير ، في قوله :

ما أرانا نقول إلاّ معاداً

أو مُعاراً من لفظنا مكرورا

كان هذا في الجاهلية . وفي الإسلام ، ادّعى الفرزدق على جرير سرقة شعره ، وقال :

إن استراقك يا جرير قصائدي

مثل ادّعاك سوى ابيك تَنَقّلُ[1]

وردّ عليه جرير بأن اتهمه بسرقة الشعر ايضاً ، وقال :

ستعلم من يصير ابوه قيناً

ومَن عُرِفتْ قصائدُه اجتلابا[2]

وهجا ابن الرومي البحتريّ ، واتهمه بسرقة الشعر ايضاً ، وقال :

حتى يغير على الموتى فيسلبهم

حُرَّ الكلام بجيش غير ذي لجب

ما إن تزال تراه لا بساً حُلَلاً

اسلاب قوم مضوا في سالف الحقب[3]

شعر يغير عليه باسلاً بطلاً

فينشد الناسَ إياه على رقَب

وزاد هذا بين الشعراء ، واخذ نقّاد الشعر ، واهل البيان من رجال البلاغة يكتبون فيه الكتب ، فكتبوا في سرقات ابي تمام وفي سرقات البحتري ، وفي سرقات المتنبي ، وغيرهم من الشعراء . وحسبنا في بيان صورة لهذا ، ان نورد ما روى عن الأصمعي ، من قول في المولّدين : « ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم[4] » ويريد ابن رشيق ان يعتذر لهؤلاء الشعراء في تكرارهم لمعاني الأولين ،

(١) الوساطة للجرجاني ؛ ص : ٢١٤ . والنقائض ، ١٨٩/١ .
(٢) شرح ديوان جرير ، للصاوي ؛ ص : ٦٦ ط : المكتبة التجارية بالقاهرة .
(٣) السرقات الأدبية – الدكتور بدوي طبانة ؛ ص : ٣١ ط : مكتبة نهضة مصر .
(٤) العمدة لابن رشيق ٩١/١ ط : المكتبة التجارية بمصر ، سنة ١٩٥٥ .

فيورد قولاً ينسبه للامام عليّ رضي الله عنه ، : « لولا ان الكلام يعاد لنفد » ويذهب الى قريب من هذا ، على بن عبدالعزيز الجرجاني ، فيقول : « والسَّرقُ – ايدك الله – داء قديم ، وعيبٌ عتيق » ثم يروح يعتذر لهؤلاء الشعراء ، اهل السرقة ، او التكرار ، بقوله : « وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ، ويستمدّ من قريحته . . . ومتى انصفتَ علمت ان اهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا ، اقرب الى المعذرة ، وابعد من المذمّة ؛ لأن مَن تقدَّمنا قد استغرق المعاني ، وسبق اليها ، واتى على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا ، إما ان تكون تركت رغبةً عنها ، واستهانة بها ، او لبُعد مطلبها واعتياص مرامها ، وتعذر الوصول اليها . . . »[1]

وينظر اهل البيان الى المعاني ، والى صياغتها بالألفاظ ، فيرى بعضهم : ان المعاني هي الأصل ، وان الصياغة او الألفاظ إنما هي تَبَـعٌ لها . ويرى بعضهم أن المعاني وقد عرفت ، واستوى اهل البيان بمعرفتها ، لم تعد مجال مفاضلة بينهم ، وإنما الشأن في الألفاظ ، او في الصياغة التي تورد بها هذه المعاني . وهكذا انقسموا طائفتين ؛ طائفة تتعصّب للفظ ، وترى المعاني ليست شيئاً بإزائه ، وكان الجاحظ[2] رأس هذه الطائفة ، وتابعه ابو هلال العسكري[3] في هذا ، وزاد حماسة عليه في الدفاع عن الألفاظ والاستهانة بالمعاني ، والتقليل من شأنها .

اما الطائفة الأخرى ، فيمثلها عندنا اثنان : هما ابن جنّي وعبدالقادر الجرجاني . وسنعرض في هذا الحديث لآرائهما في دفاعهما عن المعنى ، وتعصّبهما له .

---

(١) الوساطة ، لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني ؛ ص : ٢١٤ ط : البابي الحلبي .. بمصر .
(٢) البيان والتبين – للجاحظ ، ٢٦/١ ، ٦٩ ، ١٢٢ ، ١٣٣ . ط : السندوبي بمصر .
(٣) كتاب الصناعتين ؛ ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ١٣٩ ، ١٩٦ .

ابن جنّي
في دفاعه عن المعنى

عقد ابن جنّي في كتابه : « الخصائص » بابا طويلاً[1] ، بعنوان : « في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ ، واغفالها المعاني » ورأى : « أنّ العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذّبُها وتراعيها ، وتلاحظ احكامها . . . فإن المعاني اقوى عندها واكرم عليها ، وافخم قدراً في نفوسها »[2]

وبيّن انهم انّما عنوا بالألفاظ ، لأنها عنوان المعاني ، وانهم « انما بالغوا في تحبيرها وتحسينها ، ليكون ذلك اوقع لها في السمع ، واذهب في الدلالة على القصد » . وعلّل هذا بقوله : « ألا ترى انّ المَثَل اذا كان مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه ، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله » . فتراه بيّن ان التأنّق في اللفظ انما جاء من اجل الحفاظ على المعنى ، وعلى اشاعته بكثرة استعماله .

وافاض في هذا ، وكرّره ، قال « فإذا رأيت العرب قد اصلحوا الألفاظ وحسّنوها ، وحموا حواشيها ، وهذّبوها ، وصقلوا غروبها ، وارهفوها ، فلا ترَيَنّ ان العناية انما هي بالألفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني ، وتنويه بها » وزاد رأيه ايضاحاً بأن بيّن ان هذا عنده نظير اصلاح الوعاء ، وتحصينه وتزكيته وتقديسه ، وانما المُبتغى بذلك منه الاحتياط للمُوعَى عليه ، وجواره بما يعطّر بشره ، ولا يعرُّ جوهره ، كما نجد من المعاني الفاخرة السامية ، ما يهجنّه ، ويُغِضُّ منه كُدْرَة لفظه ، وسوء العبارة عنه »[3]

وذهب الى الأبيات التي تعلّق بها ابن قتيبة ، وبين انها انما استجيدت لألفاظها الحسنة ، وليس لمعناها ، وهي :

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجة
ومسّح بالأركان مَن هو ماسح

(1) الخصائص ؛ ١/٢١٥ — ٢٣٧ ط : دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٥٢ .
(2) المصدر نفسه ، ١/٢١٥ .
(3) المصدر نفسه ، ١/٢١٧ .

اخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطيّ الأباطح[1]

فردّ عليه اقسى الردّ ، بأن قال : « هذا الموضع قد سبق الى التعلّق به مَن لم يُنعِم النظر فيه ، ولا رأى ما اراه القوم منه ، وانما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وخفاء غرض الناطق » وافاض في شرح المعاني اللطيفة التي تحتويها هذه الابيات ، واعاد القول بعد فراغه من شرح معانيها ، بقوله : « فكأن العرب إنّما تحلّى الفاظها وتُدبّجها وتشيها ، وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها »[2]

والالفاظ عنده خدم للمعاني ، ويقول ، وكأنه يخشى ان يفوت مقصده في عبارته هذه على السامع : « والمخدوم — لاشكّ — اشرف من الخادم » .

وبعد ان بيّن رأيه بهذا الكلام الإنشائي ، احسّ كأنّه لم يوفّ الحديث او البحث حقّه بما يثبتّه في نفس القارىء او السامع ، فعمد الى اللغة نفسها ، يبيّن ان بعض اوزانها المتشابهة ، إنّما اختلف بعضها عن البعض الآخر في تصّرفه ، من اجل احساسهم انهم لو قاسوه على نظيره القريب منه ، لتوهّم السامع أن المعنى لا يختلف فيه ؛ قال : « ومما يدلّ على اهتمام العرب بمعانيها ، وتقدّمها في انفسها على الفاظها أنهم قالوا : في شملَلْتُ وصَعْرَرْت وبَيْطَرْتُ وحَوْقَلْتُ ودَهْوَرْتُ وسَلْقَيْتُ وَجَعْبَيْتُ[3] ، أنها ملحقة بباب دحرج ، وذلك أنهم وجدوها على سمتها : عدد حروف ، وموافقة بالحركة والسكون . . . فلما جاءت مصادرها الرباعية ، والمصادر اصول للافعال ، حكم بإلحاقها بها[4] . . . »

قال : ثم انهم قالوا : قاتل يقاتل قتالاً ومقاتلةً ، واكرم يكرم إكراماً ، وقطّع يقطّع تقطيعاً ؛ فجاءوا بأفعل وفاعل وفعّل غير ملحقة بوزن دحرج ، وإن كانت على سمته وبوزنه . . . ألا تراهم لا يقولون : ضارب ضاربَة ، ولا اكرم اكرمةً ولا قطّع

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة، ص : ١٠ ط : المكتبة التجارية بالقاهرة . وانظر : اسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني؛ص : ١٦ . وانظر « الوساطة » وقد نسب الأبيات لابن الطثرية ؛ ص : ٣٤

(٢) الخصائص ؛ ١/٢٢٠ .

(٣) شملل : سرع وشمر . صعرر الشيء : دحرجه . وحوقل : ضعف ودهور الشيء : جمعه، وقذفه في مهواة . ويقال : سلقاه : اذا طعنه فألقاه على جنبه . وجعباه : صرعه .

(٤) الخصائص ؛ ١/٢٢٢ .

قطّعَةً ! ؟ فلما امتنع فيها هذا ــ وهو العبرة في صحة الإلحاق ــ عُلم انها ليست ملحقة بباب دحرج »[1]

وقال : « الإعتبار بالإلحاق بها ليس إلا من جهة الفَعْلَلَة دون الفِعلال[2] . »
وبين ان العلّة بعدم الإلحاق : ان كل واحدٍ من هذه المُثُل ، التي هي فاعل وافعل ، وفعّل ، جاء لمعنىً ؛ فأفعل عنده للنقل ، وجعل الفاعل مفعولاً ؛ نحو : دخل وادخلته ، وخرج واخرجته . ويكون ايضاً للبلوغ ؛ نحو : أحصد الزرعُ ، واركب المهر ، ولغير ذلك من المعاني .

وامّا فاعَلَ فلكونه من اثنين فصاعداً ، نحو : ضاربَ زيدٌ عمرواً ، وشاتم جعفر بشراً . واما فعّل فللتكثير ، نحو : غلّق الأبواب ، وقطّع الحبال ، وكسّر الجرار . . .

قال : فلما كانت هذه الزوائد ، في هذه المُثُل إنّما جيء بها للمعاني ، خَشُوا إن هم جعلوها ملحقة بذوات الأربعة ، ان يقدّر انّ غرضهم فيها ، إنّما هو الحاق اللفظ باللفظ[3] . قال : « فأخلّوا بالإلحاق لما كان صناعة لفظيّة ، ووقروا المعنى لشرفه عندهم وتقدمه في انفسهم ، فرأوا الإخلال باللفظ في جنب الإخلال بالمعنى يسيراً سهلاً »[4]

ورأى بعد هذا البيان ان قوله هذا ، لا يحتمل الشك ، ولا يحتمل الجدل ايضاً ، حتى قال فيه : « وهذا الشمس إنارةً مع أدنى تأمّل »[5]

ومضى في سبيله هذا ، وبخطّته هذه ، فبيّن : ان مَفْعَل ومِفعَل » لا يكونان ملحقين ، وإن كانا على وزن جَعْفَر وهِجْرَع[6] لأن الحرف الزائد في اوّلهما ، هو لمعنىً ؛ وذلك ان مَفْعَلاً يأتي للمصادر ؛ نحو : ذهب مَذْهباً ، ودخل مَدْخلاً

---

(١) الخصائص ؛ ١/٢٢٢ .
(٢) الخصائص ؛ ١/٢٢٣ .
(٣) الخصائص ، الصفحة نفسها .
(٤) الخصائص ؛ ١/٢٢٤ .
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٦) هجرع : من معانيه الأحمق والمجنون . ومِروح : المروحة ؛ يتروح بها . والمخصف : المخرز . حاشية ص : ٢٢٤ .

وخرج مخرجاً . وَمِفْعَلاً يأتي للآلات والمستعملات ، نحو : مِطْرق ومِروح ومخْصَف ومِئْزَر . قال : « فلما كانت الميمان ذواتي معنى خَشُوا إن هم ألحقوا بهما ان يُتوهم أنَّ الغرض فيهما ، انما هو الإلحاق حسبُ ، فيستهلك المعنى المقصود بها ، فتحاموا الإلحاق بهما ليكون ذلك موفّراً للمعنى لهما .

وزاد في هذا ، بأن قال : ويدلك على تمكّن المعنى في انفسهم ، وتقدّمه للفظ عندهم تقديمهم الحرف لمعنىً في اول الكلمة ؛ وذلك لقوة العناية به . فقدّموا دليله ليكون ذلك امارة لتمكّنه عندهم . وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في اوّل الفعل ؛ اذكنّ دلائل على الفاعلين ، مَن هم ، وماهم ، وكَمْ عِدَّتُهم ؛ نحو : أفعل ، ونفعل ، وتفعل ، ويفعل »[1] .

وبعد ان استنتج من واقع اللغة ما يراه مؤيداً لنصرته للمعنى على اللفظ ، قال : «افلا ترى الى حروف المعاني : كيف بابُها التقدُّمُ ، والى حروف الإلحاق والصناعة ؛ كيف بابُها التأخرُّ[2] ! ؟ ثم ختم هذا بما يكون كالنتيجة لحديثه واستنتاجه ، بقوله : « فلو لم يعرف سبق المعنى عندهم ، وعلوّه في تصوّرهم الا بتقديم دليله ، وتأخّر دليل نقيضه لكان مغنياً من غيره ، كافياً[3] »

وعنده انهم لهذا السبب حشوا بحروف المعاني فحصّنوها بكونها حشواً ، وأمنوا عليها مالا يؤمن على الأطراف المعرّضة للحذف والإجحاف ؛ وذلك كألف التكسير ، وياء التصغير ؛ نحو : دراهم ودُرَيْهم ، وقماطِر وقُمَيْطِر ، فجرت في ذلك – لكونها حشواً – مجرى عَيْن الفِعل المحصَّنة في غالب الأمر .

ومن الواضح ان يرى دليله هذا الذي سلكه في تفضيل المعنى على اللفظ ، يمكن ان تأتي عليه اعتراضات كثيرة ، وقد افاض في الردّ على شبَه كثيرة تخيّلها و رآها تأتي عليه ، ولا ترانا بحاجة الى الإفاضة في تبيانها[4] .

(١) الخصائص ؛ ٢٢٥/١ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) الخصائص : ٢٢٦/١ .
(٤) الخصائص ؛ ٢٢٦/١ – ٢٣٧ .

عبد القاهر الجرجاني
في دفاعة عن المعنى

ولعلّ الجرجاني ؛ عبدالقاهر كان اكثر البلاغيين تحمساً ، لإكبار امر المعنى ، واكثرهم تحيّفاً لأمر اللفظ . لقد طلع بالموضوع من كونه يتعلق في مسألة يكون الحديث فيها امراً ادبياً او فنيّاً ، الى مسألة يكون الحديث فيها امراً دينيّاً ؛ يتعلق بالإيمان والعقيدة ، إذ ربط المسألة بإعجاز القرآن ، ورأى اعجازه بمعانيه لا بألفاظه ، ورأى الذين ذهبوا الى اهميّة اللفظ ورجحانه على المعنى ،انّما ضلوا طريق الإعجاز ، وقصّروا[1] في امر دينهم . وكأنه رأى من واجبه الديني ، قبل واجبه الأدبي او الفنّي ، ان يبيّن هذا لهؤلاء الذين لا يعلمون السبيل ، ويبيّنه لهم بأوضح ما يكون البيان . كما رأى من واجبه الديني ، قبل الأدبي ايضاً ، ان يردّ هؤلاء المعاندين عن رأيهم ببيانه ، بل يقودهم على حدّ تعبيره – بالخزائم الى رأيه في المعنى . ومن هنا انقلبت عنده هذه المسألة ، من مسألة ادبيّة فنية الى مسألة دينيّة تتعلق بالقرآن والعقيدة . وزاد المسألة حماساً عنده ان الذين دعوا الى تفضيل اللفظ ، لم يذهبوا الى تفضيله بدافع ادبي فنّي ، بل بدافع دينيّ ايضاً ذلك هو مذهبهم الى ان اعجاز القرآن يكون بلفظه ، ومن هنا فضّلوا اللفظ على المعنى .

وهكذا ترى الجدل في الموضوع جدلاً فنياً ، ولكنه جدل قد امتلأ اصحابه حماسة وعاطفة ، كان مبعثها الناحية الدينية التي تتعلّق فيه .

إن ابن جنّي لم ينظر الموضوع هذه النظرة التي نظرها عبدالقاهر ، وقد عرضه في كتابه الخصائص . على انه امرٌ ادبي او لغوي ، اذ بحثه وكتب فيه فصلاً كغيره من الفصول اللغويّة التي شملها كتابه الخصائص[2] . وكان حديثه فيه حديثاً علمياً ، مبنياً على الاستقصاء والاستقراء ما وسعه ذلك .

ويبدو لنا ان عبدالقاهر لم يطلّع على رأيه في هذا ، لأننا لا نراه يشير اليه ، ولا نراه ينتفع به . بل نراه يتّجه وجهة اخرى ، مخالفة للوجهة التي اتجهها ابن جنّي . لقد أدار

---

(١) دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص : ٤١٩ ط : رشيد رضا .
(٢) الخصائص – لابن جنى ؛ ١/٢١٥ – ٢٣٧ .

ابن جنّي بحثه على الألفاظ ، وعلى حروف المعاني فيها ، وذهب عبدالقاهر الى الكلام الادبي في جملته وفي مجموعه ، لا الى لفظة لفظة او الى حرف حرف منه كما فعل ابن جنّي . ولئن كتب ابن جنّي فصلاً في الموضوع ، فإن عبدالقاهر قد جعله ينتظم كتاباً كاملاً ؛ هو كتابه : « دلائل الإعجاز » . وقد يبدو للقارىء لهما أنّ كلاً من الرجلين قد تكفّل بالردّ على الموضوع من وجهة معيّنة ، حتى لكأنهما — رغم ما بينهما من الزمن[1] — قد اقتسما الردّ عليه اقتساماً بينهما ؛ هذا فيما يتعلّق بالألفاظ والحروف ، وهذا فيما يتعلق بالكلام الأدبي جملة . ولعلّ هذا هو الذي جعلنا نتحدّث عنهما في هذا الموضوع ونشركهما فيه ، لأننا نرى حديث احدهما يكون مكمّلاً لحديث صاحبه .

ونرى ابن جنّي لا يذكر الجاحظ وآراءه في هذا ، ولكنه يميل على ابن قتيبة وإن لم يذكره بالاسم ، فينقد آراءه ، اما الجرجاني يتناول الجاحظ ، فيذكره صراحةً ، ويعاود الردّ عليه مرّة ، ويذكر اراء ابن قتيبة ، ولكنه لا يعيرها الأهمية التي اعارها للجاحظ وارائه . وهكذا نرى الرجلين قد تكفّلا بالدفاع عن المعنى ؛ كل من وجهة معينة ، واخذا بنصرته على اللفظ .

ونرى بعد هذه الإلمامة ان نأخذ ببيان رأي الجرجاني بشيء من الإيضاح والتفصيل؛ فتقول : تناول الجرجاني الردّ على هذا الموضوع جملة واحدة ، كما ردّ عليه تفصيلاً فيما يتعلّق بجزئياته . والقارىء لارائه يراها قد امتلأت حماساً في الردّ ؛ في الجملة وفي التفصيل . ولا عجب في هذا بعد ان بيّنا ان مبعثه في حديثه هذا كان امراً دينياً ، قبل ان يكون امراً ادبيّاً او فنيّاً .

قال[2] : « في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة ، والبيان والبراعة ، وكل ما شاكل ذلك مما يُعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتعلّموا ، واخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، وراموا ان يعلموهم ما في نفوسهم ،

---

(١) توفى ابن جني سنة ٣٩٢ هـ . وتوفى عبد القاهر الجرجاني سنة ٤٧١ هـ ، وانظر التحقيق في سنة وفاته بمقدمة كتاب : عبد القاهر الجرجاني ؛ للدكتور احمد مطلوب .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص : ٣٥ .

ويكشفوا عن ضمائر قلوبهم . . . » وكأنه بعد ان جمع هذه العبارات التي يستعملها اهل البيان للمفاضلة بين كلام وكلام ، خشي ان يكون قد فاته شيء منها ، فقال : « ومن المعلوم ان لا معنى لهذه العبارات ، وسائر ما يجرى مجراها . . . » فجعل حديثه شاملا لكل ما يتحدّث به الناس عن المفاضلة بين كلام وكلام من الناحية الأدبيّة ، ثم قال : « غير ان يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو اخصّ به واكشف عنه . واتمّ له ، واحرى بأن يكسبه نبلاً ، ويُظهر فيه مزيّة[1]».

وتراه في حديثه هذا قد بيّن ان الألفاظ انما هي تبع للمعاني ، وان الكلام حين تتفاوت طبقاته من الناحية الأدبيّة ، انما يكون تفاوتها بمعانيها . وان الألفاظ حين تتفاضل، لا تكون المفاضلة فيها لذاتها ، ولكن لتعلّقها بهذه المعاني التي تكشف عنها. وزاد رأيه ايضاحاً في هذا ، فقال : « وهل تجد احداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم . وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ! ؟ وهل قالوا : لفظة متمكّنة ومقبولة ، وفي خلافه : قلقه ونابية ومستكرهة ، إلاّ وغرضهم ان يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ! ؟ وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم ! ؟ وان الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، وان السابقة لم تصلح ان تكون لفقاً للتالية في مؤدّاها[2] ! ؟ » .

وهكذا تراه بيّن ان كلّ وصف حسن للفظ ، وكلّ وصف غير حسن له ، انما جاءه بسبب حسن تأديته او سوئها لمعناه . وعلى هذا فاللفظ — عنده — تبع للمعنى ، والمعنى هو المقصود في المفاضلة ، واهمية اللفظ انما تأتيه تبعاً لمعناه .

ويقول ابن قتيبة في كتابه : « الشعر والشعراء » : « تدبّرت الشعر فوجدته اربعة اضرب : ضرب منه حسن لفظه وحلا معناه . . . وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى . . وضرب منه جاد معناه وقصّرت الفاظه . وضرب منه تأخر معناه ، وتأخّر لفظه[3] » .

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٣٦ .

(٣) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ص : ٦ — ٨ ، ط : باريس سنة ١٩٧٤ .

وينكر الجرجاني امكان الفصل بين اللفظ والمعنى ، وامكان الحديث عن اللفظ منفردا بالحسن والمزيّة ، ويردّ على ابن قتيبة من غير ان يذكر اسمه او كتابه ، بقوله : « والذي له صاروا كذلك انهم حين رأوهم يفردون اللفظ عن المعنى ، ويجعلون له حسناً على حدة ، ورأوهم قد قسموا الشعر ، فقالوا : إن منه ما حسن لفظه ومعناه ، ومنه ما حسن لفظه دون معناه ، ومنه ما حسن معناه دون لفظه . . . ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى ، ظنّوا أنّ للفظ ، من حيث هو لفظ حسناً ومزيّة ونبلاً وشرفاً . وان الأوصاف التي نحلوه اياها ، هي اوصافه على الصحة . وذهبوا في انّ لهم في ذلك رأياً وتدبيراً ، وهو ان يفصلوا بين المعنى الذي هو الغرض وبين الصورة التي تخرج فيها ، فنسبوا ما كان من الحسن والمزيّة في صورة المعنى الى اللفظ ، ووصفوه في ذلك بأوصاف هي تخبر عن نفسها ، انها ليست له ! كقولهم : إنّه حَلْيُ المعنى ، وانه كالوشي عليه ، وانه قد اكسب المعنى دَلاً وشكلا ، وانه رشيق انيق ، وانه متمكّن ، وانه على قدر على المعنى لافاضل ولا مقصّر . . .. » وبعد ان يعدد عباراتهم واقوالهم في هذا ويقول ، وكأنه خشيَ ان يكون فاته شيء من اقوالهم : « . . . الى اشباه ذلك مما لا يشك انه لا يكون وصفاً للفظ من حيث هو لفظ او صدى صوت . . . » ويزيد : « ومما الصفةُ فيه للمعنى وإن جرى في ظاهر المعاملة على اللفظ . . . وَصْفُنا اللفظ بأنه مجاز..» وبعد ان يبيّن رأيه في هذا ، يقول : « وذلك ما لا يُشَكّ في بُطلانه[1] » .

ويتناول الحديث عن الألفاظ ، وعن اعتبار الفصاحة في الحديث عن : جرسها وخفتّها ، وثقلها على اللسان بالنطق ، وما يعتبر لها من وعورة حين تتقارب مخارج حروفها . ومع انّ هذا الأمر اعتبره البلاغيون عامةً من البحوث الهامة في دراستهم ، وافرد له بعضهم الأبواب في كتبهم ، واطالوا في الحديث عنه وهذا ما نجده عند المتأخرين منهم ، كأبن سنان[2] الخفاجي ، وابن الأثير[3] ، وهما من المدرسة الادبية في البلاغة ، ونجده اخذ الشطر الكبير من علم البديع عند اهل المدرسة الكلامية ،

(١) دلائل الاعجاز ، ص : ٢٨١

(٢) سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي ؛ في الحديث عن اللفظة المفردة ، ص : ٦٦–١٠١ ط محمد علي صبيح ، القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٣) المثل السائر ، لابن الأثير ؛ ١/١٤٢ – ١٩٢ ، ط : محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة »

مع هذا نجد الجرجاني يهوّن امره ، ويقسو في الردّ على الجاحظ الذي اعتبره امراً هاماً في باب الفصاحة ، بل كأنه اعتبره الرأس فيها ؛ يقول الجرجاني في حديثة عن هذا : «وهذه شبهة اخرى ضعيفة ، عسى ان يتعلّق بها متعلّق ممن يقدم على القول من غير رويّة ، وهي : ان يدّعي الاّ معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي ، وتعديل مزاج الحروف ، حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان[1] » ، ويقول ، وكأنه يخاف ان يقرأ قوله هذا القارىء، ولا يدري انه انما عنى به الجاحظ ، يقول : « كالذي انشده[1] الجاحظ من قول الشاعر :

وقبر حرْبٍ بمكان قفر
وليس قُرب قَبر حرب قبر[2]

وقول ابن يسير[3] :

لا أذيل الآمال بعدك إني
بعدها بالآمال جدُ بخيل
كم لها موقف بباب صديق
رجعت من نداه بالتعطيل
لم يضرْها والحمد لله شيء
وانثَنَت نحو عزف نفس ذَهول

يقول : « قال الجاحظ : فتفقّد النصف الأخير من هذا البيت ستجد بعض الفاظه تتبرّأ من بعض » ويستمرّ في سرد رأي الجاحظ مهوّناً منه ، يقول « ويزعم – اي الجاحظ – ان الكلام في ذلك طبقات ، فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه ؛ كالذي مضى ، ومنه ما هو اخف منه ، كقول ابي تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى
معى واذا ما لمته لمته وحدي

(١) دلائل الإعجاز ص : ٤٥ .

(٢) نسبوا هذا البيت للجن ، الذين نسبوا اليهم قتل حرب بن أمية ؛ والد ابن سفيان بن حرب . انظر : الحيوان – للجاحظ ؛ ٢٠٧/٦ . ط : عبدالسلام محمد هارون . والبيان والتبيين – للجاحظ ؛ ٦٥/١ .

(٣) ابن يسير : شاعر بصري هجاء ، ترجم له صاحب الأغاني . والأبيات هذه من كلمة له ، في احمد ابن يوسف ؛ كاتب ديوان الرسائل للمأمون . البيان – للجاحظ ٦٥/١ .

ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان، إلاّ انه لا يبلغ ان يعاب به صاحبه ، ويشهر امره في ذلك ، ويحفظ عليه[1] » ويقول : « ويزعم – اي الجاحظ – ان الكلام اذا سلم من ذلك ، وصفا من شوْبه ، كان الفصيح المشاد به ، والمشار اليه ، وأنّ الصفاء ايضاً يكون على مراتب ، يعلو بعضها بعضاً ،وانّ له غاية اذا انتهى اليها كان الإعجاز »

وبعد ان يعرض الجرجاني رأى الجاحظ ، بهذه الصورة من الوضوح ويبيّن انه انما يجعل اللفظ هو المقياس الذي يفاضل به بين كلام وكلام ، حتى ينتهي الأمر به الى ان يجعله وسيلة الإعجاز في الكلام الأدبي ، يأخذ في الردّ عليه ؛ يقول ؛ « والذي يبطل هذه الشبهة ، إن ذهب اليها ذاهب ، أنّا اذا قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك ، وجعلناه المراد بها ، لزمنا ان نُخرج الفصاحة من حيّز البلاغة ، ومن ان تكون نظيرة لها . واذا فعلنا ذلك لم نخل من احد امرين : اما ان نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرّج على غيره ، واما ان نجعله احدما نفاضل به ، ووجهاً من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام[2] . . » ويقول : « فإذا اخذنا بالأوّل لزمنا ان نقصر الفصاحة عليه ،حتى لا يكون الإعجاز إلاّ به ، وفي ذلك ما لا يخفي من الشناعة ؛ لأنه يؤدي الى ان لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة ، من وضوح الدلالة، وصواب الإشارة و . . . والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل ، والإجمال ثمّ التفصيل ، ووضع الفصل والوصل موضعهما ، وتوفية الحذف والتأكيد، والتقديم والتأخير شروطهما– مدخلٌ فيما له كان القرآن معجزاً ، حتّى ندّعي أنه لم يكن معجزاً من حيث هو بليغ ، ولا من لا حيث هو قول فصل ، وكلام شريف النظم ، بديع التأليف . وذلك لا تعلّق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف[3] »

ويبيّن الجرجاني : ان الأخذ بالأمر الثاني ،وهو ان يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه المفاضلة بين كلام وكلام . . . وانه يرجع الى سلامة اللفظ ، مما يثقل على اللسان، ويقول : « وليس واحد من الأمرين بقادح فيما نحن بصدده »[4]

---

(١) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٤٦ .
(٢) دلائل الإعجاز ، ص : ٤٦ – ٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ؛ ص : ٤٧ .
(٤) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٤٧ .

ثم يعود فيهوّن امر اللفظ ، ويراه اقلَّ من ان يكون السبب في المفاضلة التي يصل بها الى الإعجاز ، يقول : « وذلك انا لا نعلم لتعادل الحروف معنىً سوى ان تسلم من نحو ما نجده في بيت ابي تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى . . . وبيت ابن يسير : وانثنت نحو عزف نفس ذهول » . ويعقب على هذا بقوله : « وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز ، ولا بعزيز الوجود ، ولا بالشيء الذي لا يستطيعه الا الشاعر المفلق، والخطيب البليغ » ويورد الأمثلة على هذا بقوله : « فقولنا اطال الله بقاءَك ، وادام عزّك واتمَّ نعمته عليك و . . . لفظ سليم مما يكدّ اللسان ، وليس في حروفه استكراه[1] . . » ثم يعقب حديثه بقوله : « وهكذا حال كلام الناس في كتبهم ، ومحاوراتهم ،لا تكاد تجد فيه هذا الإستكراه»[2] ثم يبيّن ان هذا الإستكراه شيء يعرض للشاعر اذا تكلّف وتعمّل ، واما المرسل نفسه على سجيّتها فلا يعرض له ذلك .

والقارىء لرأي الجرجاني هذا يجده على صواب فيما ذهب اليه . حتى اننا لو اردنا ان نجمع نماذج كثيرة من هذا الطراز الذي ذكره الجاحظ لأبي تمام ولابن يسير ، لرأينا ها لا تقع لنا إلا بعد طول استقصاء وتنقيب . وقد ينظر الناظر في قصائد كثيرة للشاعر فلا يعثر فيها الا على بيت او شطر بيت ، وقد ينظر في خطب للخطيب الذي يرسل نفسه على سجيّته ، فلا يعثر على عبارة واحدة من النمط الذي ذكره الجاحظ ، لأبي تمام ولابن يسير . وربّما كان لهذه الصعوبة نفسها ، اننا صرنا نجد امثلة هذا الضرب بعينها تدور في كتب البلاغة عندهم ، ونرى المتأخر منهم ينقلها عن المتقدم من غير ان يكلّف نفسه بالبحث عن امثلة جديدة من نمطها .

ويعود الجرجاني الى جرس الألفاظ ، والى اهمّيتها حين يتعدّى الأمر ثقلها بالنطق على اللسان . وحين يجاوز هذا الى كونه عنصراً من عناصر الجمال يحدث ضرباً من ضروب النغم الذي تهشّ له النفس وترتاح له ، ويفلسف الموضوع في هذا ، ويتعمّقه ، ويردّ هذه الراحة الى امر يتعلّق بالفكر ، لا بالأذن ؛ يريد انه يتعلق بالمعاني لا بالألفاظ

(١) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٤٩ .

(٢) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٤٩ .

باعتبارها جرساً او صوتاً ؛ يقول : « وإنها – اي المزيّة – ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك ، وتستعين بفكرك ، وتعمل رويّتك ، وتراجع عقلك ، وتستنجد في الجملة فهمك[1] » ويقول : « وإنها من حيّز المعاني دون الألفاظ » .

ثم يعود الجرجاني ، الى ما اعتاد الناس اسباغه من صفات حسنة على الالفاظ ، من نحو قولهم : لفظ شريف ، وانه قد زان المعنى وان له ديباجة ، وان عليه طلاوة، وان المعنى منه في مثل الوشي، وانه عليه كالحَلْي . . والى اقوالهم : لا يكون الكلام يستحق إسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ، وقولهم يدخل في الإذن بلا اذن[2] . . والى امثال هذه العبارات التي نجدها تدور اكثر ما تدور في كتب الجاحظ وابي هلال العسكري اللذين ينصران اللفظ على المعنى . . يعود الجرجاني الى الردّ عن هذا وامثاله من الأقوال جملة ، بأن هذه الصفات الحسنة التي تُجرونها على اللفظ ، انما هي صفات للمعنى، لا للفظ[3]

ويزيد في هذا ، حتى يجرد اللفظ من كل صفة حسنة اعتاد الناس اسباغها عليه ، حتى ليقول : « إن الفصاحة والبلاغة، وسائر ما يجرى مجراها اوصاف راجعة الى المعاني، أو الى ما يدل عليه بالألفاظ ، دون الألفاظ[4] انفسها » ويقول: «ان الفصاحة والبلاغة، وتخيّر اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه ، يكون معاني الكلام عليها ، وعن زيادات تحدث في اصول المعاني » .

ويعود الجرجاني بعد ان بيّن ، وفصّل في حديثه عن جرس الألفاظ حين تتلاقى مع بعضها ، ويأتلف منها الكلام ، وبيّن ان هذا ليس في الأمر الهام عنده ، يعود الى اللفظـــة في مفردها ، فينفي ان يكون له شأن عن الحديث عنها ، من ناحية الجرس ؛ لأنـــه رأى هذا اهون من ان يستحق الحديث عنـــه . وقد مرَّ بنا ان ابن جنّي قد ادار بحثه في الفصل الذي كتبه عن المعاني بهذه الناحية ، يقول الجرجاني :

---

(١) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٥١ .

(٢) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ؛ ص : ٢٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ؛ ص : ٢٠٠ . وانظر تفصيلا عن هذا ، كتاب :

The Meaning - of Meaning - by : C.K. Ogden and I. A. Richards. Kegan Paul LTD. London.

« هذا ما ينبغي للعاقل ان يجعله على ذكر منه ابداً ، وان يعلم ان ليس لنا ، اذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلمة المفردة شغلٌ ، ولا هي منّا بسبيل ، وانما نعمد الى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب[1] » . وينفى ان يكون للفظة بذاتها او بمفردها حسناً ، ويورد طائفة من الألفاظ ، يراها تأتي في كلام فتكون حسنة ، وتأتي بكلام آخر فلا يرى لها ذلك الحسن الذي رآه لها . ويرى ان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما اشبه ذلك مما لا تعلّق له بصريح اللفظ ؛ يقول : « ومما يشهد لذلك انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر » ، ويورد امثلة ، كان النقاد قبله ، قد اشاروا اليها ؛ يرى ان لفظة « الأخدع » في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحيّ حتى وجدتني
وجعت من الإصغاء لِيتاً واخدعا

وفي بيت البحتري :

وإني وإن بلّغتني شرف الغنى
واعتقت من رقّ المطامع اخدعي

قد جاءت ، وعليها ما لا يخفى من الحسن ، ويقول : ثم انك تتأمّلها في بيت ابي تمام :

يا دهر قوِّم من اخدعيك فقد
اضججت هذا الأنام من خُرُقك[2]

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير ، اضعاف ما وجدت هناك من الرَّوْح والخفّة والإيناس والبهجة .

ويرى ان لفظة « الشيء » قد جاءت مقبولة حسنة في قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي :

ومن مالىء عينيه من شيء غيره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمى

(١) دلائل الإعجاز ، ص : ٥٧ .
(٢) انظر « الوساطة » لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني ؛ ص : ٤٠ .

وهي كذلك في قول ابي حيّة :

اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ

تقاضاه شيءٌ لايملُّ التقاضيا

ويقول : ثم انظر اليها في بيت المتنبي :

لو الفلك الدوار ابغضت سعيه

لعوّقه شيءٌ عن الدوران

فانك تراها تثقل وتضؤل ، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم ، ثم يختم حديثه عن هذا ، بقوله: فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، واذا استحقت المزيّة والشرف استحقت ذلك في ذاتها ، وعلى انفرادها دون ان يكون السبب لها في ذلك حالٌ لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إمّا ان تحسن او لا تحسن ابداً[1] »

ويبالغ الجرجاني في الاستقصاء بحديث اللفظ ، فيجاوز الحديث عن اللفظة ، باعتبارها جرساً وصوتاً ، الى الحديث عن جرس حروفها منفردة ، ومع انّه ليس ثمّة مَن يدّعي الحديث عن اللفظة حين تكون جميلة في جرسها انها تكون كذلك ؛ لأن كل حرف من حروفها له جرس جميل حين ينطق به منفرداً ، وهو يبيّن هذا بقوله : « ثم انه لاشبهة في ان هذه الفصاحة التي يدّعونها للفظ هي مدعاة لمجموع الكلمة دون آحاد حروفها » يرى انهم لم يبلغ بهم تهافت الرأي الى ان يدّعوا المزية لكل حرف من حروفها على انفراده ، يبيّن هذا ، ويورد لفظة : « اشتعل » في الآية الكريمة : « واشتعل الرأس شيباً » ويبيّن أنهم لم يبلغ بهم تهافت الرأيالى ان يجعلوا الشين على حدته فصيحاً ، وكذلك التاء والعين واللام . . . »[2]

والعجب عندنا ، انه بعد ان يبيّن أنّهم لم يروا هذا ولم يدّعوه يتخذه اساساً للردّ

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ؛ ص : ٤٠ وانظر : بحثاً طريفاً في هذا ، بعنوان :
The interinanimation of words.
بكتاب : The philosophy of Rhetoric - by - I.A. Richards.

(٢) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٣١٣ .

عليهم ، فيقول : « وما مثل مَن يزعم ان الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظٌ ونطق لسان ، ثم يزعم ان يدّعيها لمجموع حروفه دون آحادها إلاّ مثل من يزعم ان هاهنا غزلاً اذا نسج منه ثوب كان احمر ، واذا فرّق ونظر اليه خيطاً خيطاً لم تكن فيه حمرةٌ اصلاً[1] . . »

وهكذا تراه في جدله يسير في الناحية المنطقية الى نهايتها ، حتى تراه يهدم الرأي الذي اتخذه اساساً لحديثه عن الالفاظ التي يكون جمالها بتلاقي معانيها كما ادّعى وكما بيّن ، وان اللفظة الواحدة نفسها تكون جميلة مرة ، ولا تكون جميلة أخرى . ولو طبّق هذه القاعدة على رأيه الذي بيّنه لما استقام الأمر له ، لأنه يشترط في الكلام الجميل ان تكون كل لفظة من الفاظه جميلـــة على انفرادها . ثم يحدث من هذا الجمال المنفرد لكل لفظة على انفرادها ، جمال عاماً للعبارة ، ثم جمال للقطعة الأدبية نثراً او شعراً ، وهذا ما لا يدين به هو ولا يراه في هذه العبارات التّي اوردها ،ورآها جميلة في مجموعها.

وكما يميل في حديثه عن الألفاظ هذا الميل ، الذي يراه القارىء معروضاً بمعرض المتعصّب على اللفظ ، المبالغ في الاستهانة به ، يعرض حديثه عن المعنى عرضاً يراه القارىء مبالغاً في أهميّته الى درجة المتعصّب له ايضاً . إنه يقسو على الجاحظ ، لأنّه هوّن من شأن المعاني ، يقول : « واذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كلّ مبلغ ، ويتشدّد غاية التشدد » الى ان يقول : « وقد انتهى في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مشتركاً ، وسوّى فيه بين الخاصة والعامة . » ويورد حديث الجاحظ وأنه سمع ابا عمرو الشيباني ، وقد بلغ من استجادتـــه بيتين من الشعر ، وهم فـــي المسجد الجامع يوم الجمعة ، ان كلّف رجلاً حتى احضره قرطاساً ودواة ليكتبهما . قال : «قال الجاحظ : وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً ابداً ،ولولا ان ادخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت ان ابنه ، لا يقول الشعر ايضاً » والبيتـان هما :

لا تحسبنّ الموت موت البلى

وانّما الموت سؤال الرجال

---

(١) المصدر نفسه ، والصحيفة نفسها .

كلاهما موت ولكنّ ذا
اشدُّ من ذاك على كلّ حال

ثم قال ـ أي الجاحظ ـ : «وذهب الى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ؛ يعرفها العجميُّ والعربيُّ والقرويُّ والبدويُّ ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، وانّما الشعر صياغة وضرب من التصوير[1] » .

وبعد ان يعرض الجرجاني رأي الجاحظ بألفاظه ، يتناول العبارات التي تتعلق بحديثه ، وهي مما يتصل بالمعنى ، فيفردها بالحديث ، ليلفت النظر اليها ، متجاوزاً غيرها من العبارات التي لا تتصل بأمر المعنى مباشرة ؛ يقول معقباً على الجاحظ : « . . فقد تراه كيف اسقط امر المعاني ، او ابى ان يجب لها فضل ، فقال : وهي مطروحة في الطريق ، ثم قال : وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين ، لا يقول شعراً ابداً ، فأعلمك ان افضل الشعر بلفظه لا بمعناه[2] » .

وبعد ان يوضّح الجرجاني رأي الجاحظ هذا الايضاح ، يأخذ في تبيان السبب الذي دعاه الى هذا الرأي ، والسبب ـ عند الجرجاني ـ متصل بأمر الإعجاز ، يقول : « واعلم انهم لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ، ما بلغوه ، إلا لأن الخطأ فيه عظيم ، وانه يفضي بصاحبه الى ان ينكر الأعجاز ، ويبطل التحدّي من حيث لا يشعر ، وذلك انه إن كان العمل على ما يذهبون اليه ، من ان لا يجب فضل ومزية الا من جانب المعنى . . . فقد وجب اطّراح جميع ما قاله الناس ، في الفصاحة والبلاغة ، وفي شأن النظم والتأليف . وبطل ان يجب بالنظم فضل ، وان تدخله وان تتفاوت فيه المنازل . واذا بطل ذلك ، فقد بطل ان يكون في الكلام معجز . وصار الأمر الى ما يقوله البهود ، ومن قال بمثل مقالهم[3] » .

وبعد ان يوضّح الجرجاني . رأي المنكرين لأهمية المعنى ، هذا الإيضاح يأخذ

(١) دلائل الإعجاز ، ص : ١٩٨ . وانظر : الحيوان ـ للجاحظ ؛ والعبارة فيه : « وضرب من النسج ، وجنس من التصوير » ١٣٢/٣ ط : عبدالسلام محمد هارون .
(٢) الحيوان للجاحظ ؛ ١٣١/٣ . والجرجاني ؛ ص : ١٩٨ .
(٣) دلائل الإعجاز ، ص : ١٩٩ .

في الردّ عليهم ، فيبيّن ان المزية في التفاضل بين العبارة والعبارة ، لا تكون الا بالمعنى ، يقول : « لا يكون لأحدى العبارتين مزيّة على الأخرى حتى يكون في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها[1] » ويكرر ما سبق ان بيّنه ، وهو : ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما اوصاف راجعة الى المعاني ، والى ما يُدلّ عليه بالألفاظ ، دون الألفاظ انفسها[2] . ويذهب الجرجاني الى ان ليس هناك عبارتان تؤديان معنىً واحداً على التحديد والدقة ، وليس هناك معنىً واحداً يمكن ان يؤدى بصورتين مختلفتين . يقول : « واعلم انك اذا سبرت احوال هؤلاء الذين زعموا انه اذا كان المعبّر عنه واحداً ، والعبارة اثنتين ، ثم كانت احدى العبارتين افصح من الأخرى واحسن ، فإنه ينبغي ان يكون السبب في كونهما افصح واحسن اللفظ نفسه ، ثم يبيّن سببما اوقعهم في الخطأ ، وهو قياسهم الكلام مع الكلام ، على اللفظة مع اللفظة ، يقول : « . . وجدتهم قد قالوا ذلك من حيث قاسوا الكلامين على الكلمتين ، فلما رأوا انه اذا قيل في الكلمتين ان معناهما واحداً لم يكن بينهما تفاوت . . . ظنّوا ان سبيل الكلامين هذا السبيل[3] » ثم يبيّن ان غلطهم هذا ، انما جاء بقياسهم هذا الذي توهّموه ، يقول : « ولقد غلطوا فأفحشوا ؛ لأنه لا يتصوّر ان تكون صورة المعنى في احد الكلامين ، او البيتين مثل صورته في الآخر البتة[4] » .

ثم يفيض الجرجاني بذكر نماذج كثيرة من الشعر تعارف النقاد على ان المعنى فيهما واحد ، وان هذا الشاعر اخذه من هذا ، ويورد قول رجل من الخوارج اصحاب قطريّ ، اتى الحجاج في جماعة فقتل الحجاج اصحابه ، ومنّ عليه ، وعاد فقال له قطريّ : عاودْ قتال عدوّ الله الحجّاج ، فقال :

أأقاتل الحجّاج عن سلطانه

بيد تقـرّ بأنهـا مولاتـه

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) المصدر نفسه ؛ ص : ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ؛ ص : ٣٧٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه
في الصفّ واحتجّت له فعلاته
وتحدّث الأقوام أن صنائعاً
غرست لديَّ فحنظلت نخلاته[1]

مع قول ابي تمّام
اسربل هجر القول مَن لو هجوته
إذن لهجاني عنه معروفه عندي[2]

ويورد قول البحتري :
فلا تُغلِينْ بالسيف كلَّ غلائه
ليمضى ، فإن الكفّ لا السيف ، تَقطع[3]

مقروناً بقول المتنبي :
اذا الهند سوّت بين سيفي كريهةٍ
فسيفُك في كفٍّ تزيل التساويا

وقول ابن الرومي :
امامٌ يظل الأمس يعمل نحوه
تلفُّت ملهوف ويشتاقه الغد[4]

مقروناً بقول ابي تمّام :
يشتاقه من كماله غَده ويكثر الوَجد نحوه الأمس

وقول البحتري :
ومَن ذا يلوم البحر إن بات زاخراً
يفيض ، وصوب المزن إن راح يهطل[5]

---

(۱) دلائل الإعجاز ؛ ص : ۳۸۳ .
(۲) دلائل الإعجاز ؛ ص : ۳۸٤ .
۳) دلائل الإعجاز ؛ ص : ۳۸۰ ، ۳۸۱ .
(٤) دلائل الإعجاز ؛ ص : ۳۸٦ .
(٥) دلائل الإعجاز ؛ ص : ۳۸۷ ، ۳۸۸ .

وقول المتنبي :

وما ثناك كلام الناس عن كرم

ومَن يسدُّ طريق العارض الهَطِلِ

ويورد امثلةً في صفحات على هذا ، مما اعتاد النقاد تسميته : « بالأخذ » او : « بالسرقة» ثم يبيّن ان الصور في هذه المعاني ، التي توهّموها واحدة ، ليست واحدة ، يقول : « فانظر الآن نظر من نفى الغفلة عن نفسه ، فإنك ترى عياناً ، ان للمعنى في كل واحدٍ من البيتين ، من جميع ذلك صورة ، وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر[1] ».

ويؤكد قوله هذا ، ويزيده بياناً بقوله : « إن العلماء لم يريدوا حيث قالوا : إن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك : ان الذي تعقل في هذا لا يخالف الذي تعقل من ذاك . وأن المعنى عائدٌ عليك في البيت الثاني ، على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الأوّل ، وان لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه . . . » ثم يبين ان هذه المعاني تتقارب تقارب الشيئين يجمعهما جنس ٌ واحدٌ ، كالخاتم والخاتم ، والشنف والشنف ، والسوار والسوار ، وسائر اصناف الحلى التي يجمعها جنسٌ واحد ، ، الا انها تفترق بخواص ومزايا وصفات ، فيكون الاختلاف شديداً بينها في الصنعة والعمل .

وبعد ان يبيّن الحديث عن المعاني تتقارب بصورة مجملة ، يعود فيبيّنها تفصيلاً او تطبيقاً على بعض ما عرض له بصورة مفردة مفصّلة ؛ فيتناول المعنى في بيت الخارجي ، والمعنى في بيت ابي تمام ، وقد أدارهما النقاد في الحديث عن الأخذ والسرقة مبينين ان هذا من ذاك ، يقول :

« ومن هذا الذي ينظر الى بيت الخارجيّ وبيت ابي تمام ، فلا يعلم ان صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا ؟ »[2] . ثم يأخذ في تبيان ذلك ، فيقول : « كيف ، والخارجيّ يقول : واحتجت له فعلاته ! ؟ ويقول ابو تمام : إذن لهجاني عنه معروفه عندي ؟ . ومتى كان : احتجّ وهجا واحداً في المعنى ! ؟ »

وبعد ان يبيّن هذا يرى انه الحكم فيسائر ما ذكر من المعاني التي اوردها في كلامين او في شعرين .

---

(١) دلائل الإعجاز ؛ ص : ٣٨٨ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص : ٣٨٩ .

ويزيد في ايضاح هذا بأن يرى ان هذه المعاني تفترق عن بعضها ، كما يفترق انسان عن انسان ، وفرسٌ عن فرَس بخصوصيّة تكون في صورة هذا ولا تكون في صورة ذاك .

ويذكر الأبيات التي استحسنها ابن قتيبة[1] لألفاظها، وردّ عليه بها ابن جنّي ، ويراها حسنة ، لا لحسن الألفاظ وحدها على نحو ما اشار اليه ابن قتيبة ، ويورد شطر البيت الأخير منها على انه ضرب من ضروب الاستعارة الخاص النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا افراد الرجال[2] .

وكأنه يكتفي بالإشارة في دلائل الإعجاز الى ما بيّنه تفصيلا من امرها في كتابه « اسرار البلاغة » قال هناك : « فانظر الى الاشعار التي اثنوا عليها من جهة الألفاظ ، ووصفوها بالسلاسة ، ونسبوها الى الدماثة وقالوا . . . وقالوا . . . » ثم يذكر الأبيات ويقول :

« ثم راجع فكرك واشحذ بصيرتك ، واحسن التأمّل ودع عنك التجوّز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفاً إلاّ الى استعارة وقعت موقعها ، واصابت غرضها ، وحسن ترتيب تكامل مع البيان حتى وصل المعنى الى القلب ، مع وصول اللفظ الى السمع . . . وإلا الى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد . . . » وبعد ان افاض في تبيان محاسن هذه الأبيات افاضة ، قال : « فقل الآن : هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من الفاظها ، حتى ان فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو ذكرت على الانفراد ، وازيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه ! ؟[3] » .

ونستطيع ، بعد تطوافنا بآراء الرجلين ؛ ابن جنّي والجرجاني ، ان نقول : إنّهما قد اقتسما امر الدفاع بينهما عن المعنى واهميّته ، فبحثه احدهما في بناء اللغة ، وفي اللفظة المفردة ، وبحثه الآخر في الاسلوب ، وفي الكلام الأدبيّ جملة ، وتطرّف بحماسة ، حتى نقله من امر ادبيّ ، الى امر دينيّ يتعلّق بالعقيدة ، وبإعجاز القرآن ، ورأى المقصّر فيه ، انما هو مقصّر في امر دينه .

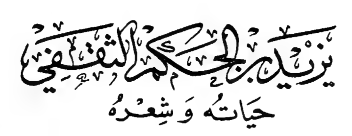
---
(١) انظر : ص ٤ : من هذا البحث .
(٢) دلائل الإعجاز ، ص : ٥٨ — ٥٩ .
(٣) اسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني ؛ ص : ٢٣ .

وعندنا ان حديثهما في هذا الدفاع ، كان شاملاً مستقصيً ، حتى لا تكاد تجد جديداً فيه لمن جاء بعدهما .

مراجع البحث التي اشير اليها في هوامش صفحاته :

١ – اخبار ابي تمّام – للصولي
٢ – البيان والتبيين – للجاحظ
٣ – الأغاني – للأصفهاني
٤ – الحيوان – للجاحظ
٥ – الخصائص – لابن جنّي
٦ – دلائل الإعجاز – لعبد القاهر الجرجاني
٧ – اسرار البلاغة – لعبدالقاهر الجرجاني
٨ – سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي
٩ – السرقات الادبية – الدكتور بدوي طبانة
١٠– شرح ديوان جرير – للصاوي
١١– شرح المعلّقات – للزوزني
١٢– الشعر والشعراء – لابن قتيبة
١٣– كتاب الصناعتين – لأبي هلال العسكري
١٤– عبدالقاهر الجرجاني – للدكتور احمد مطلوب
١٥– فجر الاسلام – احمد امين بك
١٦– المثل السائر – لابن الأثير
١٧– الموازنة – للآمدي
١٨– النقائض – بيفان
١٩– الوساطة – لعليّ بن عبدالعزيز الجرجاني
The philosophy of Rhetoric - by I.A. Richards –٢٠
The Meaning of Meaning - by C.K. Og den and I.A. Richards. –٢١

جميل سعيد



يزيد بن الحكم الثقفي
حياته وشعره

الدكتور نوري حمودي علي القيسي
عضو المجمع العلمي العراقي
استاذ في كلية الاداب/جامعة بغداد

يزيد بن الحكم بن ابي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي وعمه عثمان بن ابي العاص كان في وفد ثقيف الذين قدموا على رسول الله (ص) في المدينة فاسلموا وكان عثمان من اصغرهم فجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلهم فاسلم وأقرأه قرآنا ولزم ابي بن كعب وكان يقرئه ، فلما اراد وفد ثقيف الانصراف الى الطائف ، قالوا : يا رسول الله أمرّ علينا ، فأمّر عليهم عثمان بن ابي العاص ، وقال انه كيّس وقد اخذ من القرآن صدراً ، فقالوا لا نغيّر اميراً امّره رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما كان زمن عمر بن الخطاب وخط البصرة ونزلها من نزلها من المسلمين اراد ان يستعمل عليها رجلاً له عقل وقوام وكفاية فقيل له عليك بعثمان بن ابي العاص فقال ذاك اميرٌ امّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كنت لا نزعه قالوا له اكتب اليه يستخلف على الطائف ويُقبل اليك ، قال أما هذا فنعم ، فكتب اليه بذلك فاستخلف اخاه الحكم بن ابي العاص الثقفي على الطائف . ويُعَدُّ يزيد من الاشراف[1] وكان ابوه اميراً على البحرين وذلك ان اخاه عثمان ولاه عُمر عمان والبحرين . فوجه اخاه الحكم على البحرين[2] ، ونقل عن المدائني قوله وافتتح عثمان والحكم فتوحاً كثيرة بالعراق سنة تسع عشرة وسنة عشرين[3] . وام يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر ،

---

(١) ابن سعد . الطبقات ٢٦/٧ – ٢٧ .
(٢) ابن عبدالبر . الاستيعاب ٣٥٨/١ .
(٣) ابن عبدالبر . الاستيعاب ٣٥٨/١ .

وهي اول عربية ركبت البحر[٤] .

وتعبر بعض قصائده عن العلاقة غير المستقرة بينه وبين اخيـه عبد ربـه الثقفي اوابن عمه كماتذكر بعض الروايات الذي عاتبه في بعض قصائده واكدفيها وجهة نظره ويبدو من خلالها ان حياته قد اتسمت بالجدية والتجربة،الجدية التي تمحّص الاحداث وتنتقى منها ما يلائم،والتجربة التي تعتمد التحليل والاستنتاج من اجل الوصول الى النموذج المعتمد في سياق الحياة . وقد كادت الصورة تصبح شكلاً عاماً ، أو سمةً واضحة في كل صورة من صورهِ أو نموذجاً من نماذج اشعاره . ويبدو أنّ طبيعة العلاقة التي كانت تشده وابناء قومه قد تركت في نفسه آثاراً . سلبية واضحة لما شابها من اخفاقات ، واعتراها من احداث . حتى لونت شعره بالوان أخلاقية صافية ، التزمت بالضوابط ، وحددت المفاهيم وقد تجلت هذه الظاهرة في قصيدته الوعظية التي وعظ فيها ابنه ، وهي صورة للمثال الذي اراده ، والنموذج الذي رسمه لنفسه ولمجتمعه الذي كان يبحث عنه،وقد حاول ان يجمع فيها كل الخصال التي تحدد العلاقة بين الناس ، وتنظم احوال المجتمع ، فالود الصافي صورة لدوام العلاقة الانسانية التي تعطي الحياة قيمتها ، وتوفر لها بقاءها ، وتترك لطموحها مجال التطور والازدهار . وحقوق الجيرة حقوق اكدتها نوازع الاطمئنان، وفرضتها لوازم الاحساس بالانسان الذي يكون اقرب الى نفسك ، وهو حق يعرفه الكريم ، وكرم الضيافة يقضي بتقديم ما يمكن ان يقدم الى الضيف لانه لسان لكل صورة يحملها وان كلمة الضيف التي سيقولها بحق من يؤدي أولايؤدي هذا الحق سيكون لها وقعها وستترك اثرها سلباً او ايجاباً ؛ اما المقولة التي يتوزع بموجبها الناس الى صنفين كبيرين محمود وذميم ، فمقولة يؤمن بها الشاعر ، ويراها حقيقة قائمة وان كل الاعمال التي تصدر هي نتيجة طبيعية لهذا التقسيم ويؤكد الشاعر على العلم لانه اداة الانتفاع ، ووسيلة الوصول الى تحقيق المطامح .

---

(٤) ابو الفرج : الاغاني ١١/١٠٠ والخزانة ١/٥٤ .

والشاعر يستمر في هذا الحديث الذي كان صورة نفسه ، ودليلَ حياته ، ولوحة من الواح فنه الاخلاقي والاجتماعي . يعرض فيها لامور الدنيا وعواقبها واحداثها ونتائجها ، ويقرب في بعض الاحيان الى الزهد ...

وقد كثرت قصائد العتاب في شعره لبروز هذه الظاهرة ، واتساع شقة الخلاف بينه وبين اخيه وابن عمه . حتى شغلت حيزاً من شعره ، وقد كانت صور الخصومة تحمل طابع التأثر الشديد ، وتكشف عن عمق الخلاف المستحكم ...

ان وقوفنا عند الجانب الذي عبّر عنه الشاعر لا يحول دون اعادة النظر في موقفنا من الشاعر نفسه ، لان انصرافه الى توجيه الطعون الى خصومه لا يعنى تبرئته من مواقف خاطئة ربما كان متحذراً منها ، ولكن ضعف المصادر التي عالجت هذا الموضوع وضآلة المادة التي يمكن الاهتداء من خلالها الى تحديد الاسباب ، جعلتنا نقف عند هذا التقدير ، وحددت خطوات بحثنا بالاشكال التي استطعنا الوقوف عندها .. ولعلّ المزيد من الشعر الذي ستجود به علينا المخطوطات ، والاخبار التي تتوفر. ستحدد لنا مسيرة أخرى لسلوك هذا الشاعر وكثير من الشعراء الآخرين الذين ما تزال اخبارهم غير واضحة وعلاقاتهم غير متميزة ، وله اخ اسمه بدر عاتبه في بعض قصائده عتابه لعبد ربه ، ولا بد لي وانا اتابع هذا الاتجاه الشعري المتميز في علاقاته بهؤلاء الاخوة أو ابناء العم . الذين لم يحفظوا له وعداً (حماسة البحتري / ٦١) ويشمتوا ان اصابته مصيبة (حماسة البحتري / ١٠٤) ويكفروا بنعمة من يسدي اليهم النعمة . (حماسة البحتري / ١١٠) ويظلموا دون ان يراعوا عاقبة البغى . (حماسة البحتري / ١١٤) ويحرموا اقاربهم من خيرهم ويولونه الاباعد من الناس (حماسة البحتري / ١١٦، ٢٤٨) اقول هذا الاتجاه قد دفعه الى ان يعبّر عن دواخل نفسه من خلال هذه النفثات وكان صورة واضحة ، وشكلاً متميزاً لما كان يعانيه حتى اصبحت معانيه تمتد الى كل قطعة ، وتأخذ بكل تعبير ، وتملأ كل احساس من احاسيسه وهو يخاطب هؤلاء

الاخوة وابناء العم . وكأنه قد تجرّع منهم الغصص ، ولقى منهما يؤذي ، وقد ظل شعره الذيقدمه وقصائده التي عبر فيها عن هذا الاحساس هي المصدر الوحيد الذي يحدّد لنا طبيعة الهموم التي كانت تتنازعه ، وطبيعة الانفعال الذي يفرض عليه توجيه القصائد بما يخفف عنه أعباء الوضع النفسي ويزيل عنه بعض ما كان يضاعف عليه تراكم الهموم ، ويدخل على نفسه ما يزيدها ألماً ويورّثها تعقيداً . ان الشعور بالايذاء ، والاحساس بمرارة الاغتراب والاستمرار بالمعاناة الناتجة عنهما تركت في نفس الشاعر اثاراً سلبية عميقة ، وولدت مشاعر غريبة جعلته لا يطمئن الى ابناء عمه ولا يشعر بالارتياح لاخوته فانطلق يعاتبهم عتابه المر ، ويلومهم اللوم المؤذي ، ويضفي عليهم من صفات المعاملة القاسية ، فهم ذئاب سوء لو استطاعت ان تنال منه لاصابت دمه ، وقد حاول الشاعر في كل احاديثه ان يعطي لنفسه الصفات المضادة لما كان يصف به هؤلاء فهو يعرض عما يسيء الى هؤلاء مجاملة منه واكراماً وهو حليم لا يعاملهم المعاملة التي يعاملونه بها .

لقد حاول الشاعر — كما اعتقد — ان يعبر عن نفسه وهو يتحدث الى هؤلاء ويعبّر عن احساسه العام وهو يجرب واقع الناس ، ويرى منازعهم وقد سيطرت عليها الروح الفردية ، وتحكمت فيها الاهواء الذاتية ، فوظف شعره هذا التوظيف ، وسخر موهبته من أجل الدعوة الى الالتزام بالمثل الخيّرة ، والقيم النبيلـــة ، والتقاليد الحسنة ، ولعلّ قصيدته الى (بدر) تكشف عن الجانب التوجيهي السليم الذي حاول ان يضمنه ابيات القصيدة ، والجانب الانساني الذي طبع به ابياتها بعد محاولته التأكيد على مجموع الخصال الحميدة ، والصفات الاصيلة التي حرص المجتمع على الاحتفاظ بها ، واكدت اشكال سلوكه الالتزام بها ، وشجعت نوازع المجتمع الجديد على الحرص عليها . ويمكن اعتبار هذا الغرض في شعره توجهاً جديداً يعطي الشعر قيمته الحقيقية ويترك له مجال التعبير عن الواقع الاجتماعي الذي كان يشعر به والواقع النفسي الذي يعانيه .

اما اخبار ابنائه فقد وقفت عليها من خلال قصائده التي قدمت بها بعض هذه القصائد فعنبس ابنه مات فجزع عليه فرثاه ، وابيات الرثاء اربعة كما اوردها ابو الفرج واورد له صاحب اللسان في (ضحا) بيتاً ارجح ضمه الى هذه الابيات لاقترابه من معنى الزهد وصلته بالكلام الذي ذكره في ابيات الرثاء ، والابيات توحي بالجزع الذي اعتراه ، والهم الذي ركبه ولكنني على ثقة اكيدة بان القصيدة طويلة ، وابياتها اكثر مما ذكر ولكنها ضاعت مع ما ضاع من شعر هذا الشاعر . وله ولد اسمه العباس جاء على ذكره صاحب الاغاني وقال عنه بانه هرب من يوسف بن عمر الى اليمامة وفي مسجدها صادف جريراً الشاعر وسأله عن شعروالده[1] . ويُكنى يزيد اباخالد[2]. ولا نعرف لهذه الكنية سبباً .

وعلى الرغم من قلة الشعر الذي عثرنا عليه لهذا الشاعر فان اخباراً متفرقة احتفظت بها مصادر شعره وحياته تؤكد قيمة هذا الشعر وما كان يتمتع به من مكانة مرموقة ، فقد ذكر ابو الفرج في خبر له أن الفرزدق مَرَّ بيزيد بن الحكم بن ابي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من اشعارنا فقالوا يزيد بن الحكم ، فقال : نعم اشهد بالله أن عمتي ولدته [3] . وهي شهادة تؤكد القدرة الشعرية التي كان يمتاز بها شعره بحيث ان شاعراً كبيراً من شعراء العصر يحكم له بهذه الموازنة ويعترف له بهذه المنزلة التي وصل اليها شعره . ولجرير حكاية تشابه هذه الحكاية اوردها ابو الفرج ، وهي حكاية اخرى تحمل دلالة اعجاب جرير بشعره وحفظه له[4] وقال ابو عمرو بن العلاء بانه مولد يجيد الشعر[5] وهو من الشعراء المشهورين كما نعته صاحب الخزانة[6] ، اما ابو الفرج فقد ترجم

---

(١) ابو الفرج : الاغاني ١٠٣/١١ .
(٢) البكري . سمط اللآلي ٢٣٨/١ .
(٣) ابو الفرج . الاغاني ١٠٠/١١ (بولاق)
(٤) ابو الفرج . الاغاني ١٠٣/١١ .
(٥) ابو الفرج الاغاني ١٠٤/١١ .
(٦) البغدادي . خزانة الادب ٥٤/١ .

له وذكر بعضاً من شعره [1] واستشهد له البحتري في حماسته في سبعة عشر موضعاً [2] كما استشهد به ابن منظور في سبعة مواضعفي اللسان[7] .وذكر صاحبالخزانة وهويذكر قصيدته البائية المشهورة انها قصيدة جيدة في بابها[3] واوردها القالي في اماليـــه ، وابن الشجري في اماليه مختصرة . وفي رواية كل واحد منهم ما ليس في رواية الآخر ، واوردها ابو علي الفارسي يتمامها في المسائل البصرية . وقد اعتمدها صاحب الخزانة في روايته [4] .

اتصل يزيد بالحجاج بعد ان دعاه الحجاج وولاّه كورة فارس،ودفع اليه عهده بها فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج انشدني بعض شعرك ، ويذكر ابو الفرج ان الذي اراده من يزيد هو ان ينشده مديحاً له ، ولكن يزيد ينشده قصيدة يفخر فيها ويقول :

وابي الذي سلب ابن كسرى راية
بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره ، نهض مغضباً وخرج يزيد من غير ان يودعه فقال الحجاج . لحاجبه ارتجع منه العهد فاذا ردّه ، فقل له ايهما خيرٌ لك ، ما ورثك ابوك ام هذا ، فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له :

ورثتُ جدّي مجده وفعاله
وورثت جدّك أعنزاً بالطائف

وخرج منه مغضباً فلحق بسليمان بن عبدالملك ومدحه بقصيدته التي اولها :

---

(١) تنظر ترجمة في الاغاني ١١/١٠٠ – ١٠٥ .
(٢) البحتري . الحماسة الصفحات ٦١ مكرر ٦٩ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٨ مكرر ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ مكرر ، ٢٠٩ ، ٢٤٨ .
(٣) البغدادي . الخزانة ١/٤٩٦ .
(٤) نفس المصدر .

أمســـى باســـماء هذا القـــلب معمـــودا

إذا اقـــول صحـــا يعتـــاده عيـــدا ..

ولا يمكن الذهاب وراء ما جاء في هذه الحكاية من اخبار ، لأن الوضع أو المبالغة أو الصنعة ظاهرة عليها ، فالحجاج الذي دعاه ليوليه كورة فارس لا يمكن ان يبعث اليه حاجبه ليرتجع منه العهد ، لان يزيد بن الحكم لم يمدحه. وانما يقول قصيدة يفخر فيها بابيه ، والمعروف ان يزيداً والحجاج ثقفيان وان الفخر انصب على سلب راية كسرى ، وانهاء جبروت كسرى ، وهو مدعاة للاعتزاز لكليهما ، فَلِمَ يغضب الحجاج؟ لقد حاولت الرواية ان تؤكد الجانب النفعي وتعطي المسألة بعداً فردياً ، فالولاية لا تعطى إلا لمن يقدم المديح للوالي ، وكأنّ الدولة بكل ما فيها يقوم على قول بيت من الشعر يرضي الوالي أو يقنع غروره أو تعاليه .

لقد حاولت امثال هذه الاخبار ان تدخل في كثير من الاحكام ، وتؤثر في كثير من التقييمات التي قيلت في الرجال أو حددت مواقع الاعمال في أطار الرواية التاريخية غير المعقولة . وقد عكس هذا التصور اخباراً لا يمكن الاطمئنان اليها ، وقد اصبحت عند بعض المؤرخين اسساً من اسس التقييم وشكلاً من اشكال تحديد الاتجاهات ، وقد حاولت ان اعثر على ظل لهذه الحكاية في تاريخ الطبري مثلاً فلم أفلح وانما وجدت اشارة واحدة جمعت بين يزيد الشيباني ويزيد الثقفي وقد حرّض فيها الثقفي الشيباني وطلب منه أن يعيش ملكاً او يموت كريماً وقد ارتفع سيفه . * اما غير هذا فلم اجد له اثراً ..

لقد حاولت كثير من الروايات ان تطوي في ثنايا اخبارها ما يغلّب الجانب الذاتي ويترك الصورة الكبيرة وطبيعة الاحداث التي كانت تعالج ، وقد استطاعت أمثال هذه الاخبار ان تحول دون الرؤية الحقيقية ، كما استطاعت ان تبعد الحقائق الكثيرة التي قدمها هؤلاء من خلال مواقفهم الثابتة ، وصلابتهم التي اشارت اليها كتب التاريخ . ولعلّ كتابة تاريخ الدولة الاموية في غير زمانها أو في اوقات

خصومها قد ترك المجال مفتوحاً امام كثير من الروايات التي الحقت برجالها وقادتها وولاتها ، ومن المؤسف ان تظل هذه الاخبار لاحقة بكل ترجمة ، قائمة عند كل حديث ، إن تدقيق الاخبار في ظل المسائل العقلية ، ومناقشة الروايات في اطار الموضوعية السليمـــة يمكن ان تحقق لنا مجموعـــة من الاخبار التي تدحض كثيراً من المقولات التي امتلأت بها الكتب وشاع استعمالها على ألسنة المتعلمين والباحثين .

يشكل الشعر المتبقي من اشعار يزيد بن الحكم ابياتاً مفردة وقطعاً متناثرة وقصيدتين تجاوزت الواحدة منهما عشرين بيتاً فقد بلغ عدد الابيات المفردة اربعة عشر بيتاً يمثل كل بيت منها بقية قطعة أو قصيدة و ست قطع تتألف من بيتين وخمس قطع تتالف من ثلاثة ابيات وقطعتين من اربعة ابيات واربع قطع من خمسة ابيات وقطعة واحدة من ستة ابيات ومثلها من سبعة ابيات ، وهناك قصيدتان الاولى ثلاثة وعشرون بيتاً والثانية ستة وعشرون بيتاً والذي يطالع هذا الجمع الشعري يجد ملاحظة ظاهرة متميزة ، لا يمكن ان تكون مقصودة لذاتها ، وهي هذه الابيات المفردة والقطع الشعرية الصغيرة. والذي اراه ان هذه الابيات والقطع تمثل بقايا قصائد أو مقطعات قد ذهبت مع ما ذهب من شعر ،وبقيت مصادر الاستشهاد تكتفي بذكر البيت وتشير الى البيتين دون الاشارة الى بقية الابيات ، فالاخبار التي ذُكرت في مجال الحديث عن شعره ، تشير الى قدرة شعرية ، وتؤكد نمطاً معيناً ، وان هذه المحاولة لجمع شعره ووضع التصورات المتوقعة لما يمكن ان يقدمه هذا الشعر في حالة العثور عليه تمثل التوجه الحقيقي للبحث عن هذه النفثات الشعرية واللمحات الانسانية والنماذج الفنية التي حاولت ان تعالج الواقع وتشير الى الطبيعة البشرية التي عبر عن سلوكها من خلال عتابه أو نقده .

إن قدرة الشاعر وبراعته الشعرية قد حملت بعض الناس قديماً على نسبة شعره الى غيره من الشعراء المعروفين امثال طرفة بن العبد وعمر بن ابي ربيعة وغيرهم فقد نسبت ابياته :

امسـى باسـماء هـذا القلـب معمـودا
اِذا أقـول صحـا يعتـاده عيـدا
كأن احـور مـن غزلان ذي بقـرٍ
اهدى لهـا شـبه العينين والجيـدا

الى عمر ابي ربيعة[1] .

ونسبت قصيدته المشهورة :

تكاشـرني كرهـاً كانـك ناصـحٌ
وعينك تبـدي أن صدرك لي جـوِ

الى طرفة بن العبد[2] . وقد التفت القدامى الى هذه الظاهرة فصححوا النسبة ، فقد ذكر ابو الفرج أن من نسب قصيدته الدالية الى عمر بن ابي ربيعة فقد اخطأ ، وعلق على نسبة القصيدة الثانية بقوله : ان العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم الثقفي . ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد بن الحكم وليس كذلك لكان معلوماً انه ليس لطرفة ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو ايضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه وهو بيزيد اشبه ، وله في معناه عدة قصائد يعاتب فيها اخاه عبد ربه بن الحكم وابن عمه عبدالرحمن بن عثمان [3] . ثم يقول : فاما تمام القصيدة التي نسبت الى طرفة فانا اذكر منها مختاره . تم يقول بعد انتهاء الابيات وهذا شعر اِذا تأمله من له في العلم ادنى سهم عرف انه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه ...

اِن هذه الملامح العابرة التي يتلمسها الباحث في شعر يزيد يُدرك مجاراته لهؤلاء الشعراء ، واقتراب شعره من شعرهم .

لقد تجلّى اباء الشاعر في همته العالية واتضح شممـّه في علو كعبه وهو يفخر بهذا الاباء الشامخ ، ويرفع راية الانتصار التي تعالت في حروب التحرير الذي

(١) ابو الفرج . الاغاني ١٠١/١١ .
(٢) ابو الفرج . الاغاني ١٠٤/١١ .
(٣) ابو الفرج . الاغاني ١٠٤/١١ .

حملت رسالتها الامة وهي تنشر الدعوة الانسانية وتحرر الانسان من جبروت كسرى وهيمنة البيزنطيين الذين اذاقوا هذا الانسان مرارة الذل وعبودية الحياة ، وقد وجد الشاعر في ذلك ما يدعو الى الفخر ، ويحمل على الاعتزاز وهو فخر صادق لايَشوبه الكذب ، واعتزاز يحمل معاني القوة .

اتصل يزيد بن الحكم يسليمان بن عبدالملك (توفي سنة ٩٩ للهجرة) ، واتصل بيزيد بن المهلب (قتل سنة ١٠٢ للهجرة) . وتختفي اخباره بعد هذه الفترة ، ولم نجد حادثة مشهورة تكتنف حياته ، أو تستحوذ على شعره . ولكن ظل الاحداث النفسية التي تركت طابعها المتميز على شعره ، قد امتدت الى كثير من قصائده ومقطعاته حتى اصبحت الاطار العام الذي يحيط بهذه الكمية الشعرية التي عثرنا عليها .

انِ جمع شعر يزيد بن الحكم الى جانب اشعار شعراء آخرين من ثقيف يمكّن الباحثين من دراسة شعر الفترة بما يحدد ملامحها ، ويبرز صورتها الكاملة ويعطي الدارسين فيضاً جديداً من القيم الاصيلة التي استمدها الشعر من الواقع النفسي والاجتماعي وستبقى هذه اللمحات اشارات بارزة في حركة الشعر العربي .

لا يسعني في ختام هذه الدراسة الا أن أقدم لاخي الكريم الاستاذ محمد نايف الدليمي الشكر الوافر لمعاونتي في جمع الشعر والله اسأل ان يوفق الجميع لخدمة هذه الامة . وتراثها الخالد

[١]

التخريج :

القطعة في الأغاني ١٠٠/١١ ، وخزانة البغدادي ١١٤/١ ، وهي عدا الأول في حماسة البحتري ١١٠/ .

قال يزيد بن الحكم الثقفي يذكر أخاه عبد ربّه الثقفي :

[من البسيط]

١ – أخي يَسُرُّ لِيَ الشّحناءَ يُضمِرُها
حتى وَرَى جَوفَهُ مِن غِمْرِهِ الدّاءُ[1]

٢ – حَرّانُ ذو غُصَّةٍ جَرّعتُ غَصّتَهُ
وَقَدْ تَعَرَّضَ دونَ الغُصَّةِ الماءُ[2]

٣ – حتّى إذا ما أساغَ الرِّيقَ أنزَلَني
منهُ كَمَا يُنزِلُ الأعداءَ أعداءُ

٤ – أسعى فَيَكفُرُ سَعْيِي مَا سَعَيْتُ لهُ
إنّي كذاكَ مِنَ الإخوانِ لَقّاءُ

٥ – وَكَمْ يَدٍ ويَدٍ لي عِنْدَه وَيَدِ
يَعُدُّهُنَّ تِراتٍ وَهْيَ آلاءُ[3]

---

[١]

(١) الشحناء : الكراهية والحقد .
(٢) الحران : الصدي العطشان .
(٣) الترات : جمع ترة وهي العيب والخطأ . والآلاء : النعم .

٢– رواية البحتري في ما تحته (يارب ذي) . وفي حماسة البحتري دون المجرع الماء .
٤– (من) في موضع (ما) في الحماسة البحترية . ويكفر سعيي .. اني بذاك .
٥– رواه البحتري في حماسته :
كم من يد ويد عند امرئ ويد يعد هن ذنوباً . . . .

[٢]

التخريج :

الأبيات في الأغاني ٩٧/١١ ، ومختاره ٣٧٥/٨ .

وقال يرثي ولده عنبساً :

[من الطويل]

١ — جزَى اللهُ عــنّي عَنْبَســاً كُلَّ صالحٍ
إذا كانَتِ الأَولادُ شَيْناً جزَاؤُهــا

٢ — هو ابني وأمسي أجرُهُ ليْ وَعزَّنــي
على نَفْسِهِ ربٌّ إليــهِ وَلاؤُهـــا

٣ — جَهولٌ إذا جَهْلُ العَشيرةِ يُبْتَغَــى
حليــمٌ وَيَرْضى حلِمَهُ حلماؤُهـــا

٤ — وَيأمَنُ ذو حِلم العشــيرة جَهْلَهُ
عَلَيْهِ ويخشــى جَهْلَهُ جُهَلاؤهـــا

[٣]

التخريج :

اللسان ـ ضحا ٤٧٥/١٤ .

وله أيضاً : •

[من الطويل]

١ — بِها الصَّوْنُ إلاَّ شَوْطَها مِن غَداتِهــا
لتمرينهــا ثـــمَّ الصَّبوحُ ضُحاؤهـــا[1]

[٣]

• أظن أن البيت تبع للأبيات قبله ، وحديثه فيه عن النفس وزوالها بسرعة .
(١) الصبوح : الشرب في الصباح . الصون : الصيانة والحفظ .

[٤]

التخريج :

حماسة البحتري / ١١٤

[من الطويل]

١ - ومــن يتخمــط بالمظالم قَومُــهُ
وإنْ كرُمتْ فيهم وعزّتْ مَنَاصبهُ[١]

٢ - يُخَدّشْ بأظفار العشيرةِ خَــدُّهُ
ويُجرحْ رَكُوباً صَفْحَتَاهُ وغَارِبُــه

[٥]

التخريج :

حماسة البحتري / ٢٤٨

وقال يزيد بن الحكم الثقفي

[من الطويل]

وما خيرُ مَن لا يَنْفعُ الأَهلَ مالُهُ
فإنْ مات لم تَحزَنْ عليــه أقاربُــهْ

كَهَامٌ عن الأقصَى كليــلٌ لســانُــهُ
وفي البَشَرَ الأدنى حديــدٌ مخالبُــهْ

[٤]

(١) في هامش الحماسة يقول : وفي الهامش : يتخيط .

التخريج :

الأبيات في الأغاني ٩٨/١١ وقد عقب على ذلك بقوله أنها تروى لحمزة ابن بيض * مع يزيد ، وهي في مختار الأغاني ٣٧٦/٨ ، وخزانة البغدادي ١١٣/١ .

وقال يخاطب يزيد بن المهلّب ** وهو اي (ابن المهلب) في سجن الحجاج :

[من المنسرح]

١ – أَصْبَحَ في قَيْدِكَ السَّماحَةُ والجو
دُ وَفَضْلُ الصَّلاحِ والحسبُ

٢ – لا بَطِرٌ إنْ تَتَابَعَتْ نِعَمٌ
وَصابِرٌ في البلاءِ مُحْتَسِبُ

٣ – بَرَّزْتَ سَبْقَ الجيادِ في مَهَلٍ
وَقَصَّرَتْ دونَ سَعْيِكَ العَرَبُ

[٦]

* حمزة بن بيض : بن نمر بن عبدالله بن شمر الحنفي ، (من بني بكر بن وائل) ، شاعر مجيد، سائر القول، كثير المجون ، من اهل الكوفة ، كان منقطعاً الى المهلب بن ابي صفرة وولده ، ثم الى بلال بن ابي بردة ، وحصلت له اموال كثيرة ، واخباره مع عبدالملك بن مروان وغيره كلها طرف .

** يزيد بن المهلب : بن ابي صفرة الأزدي ، ابو خالد ، امير من القادة الشجعان الاجواد ، ولي خراسان بعد وفاة ابيه ، فمكث نحواً من ست سنين ، وعزله عبدالملك بن مروان برأي الحجاج ، وكان الحجاج يخشى بأسه ، فلما تم عزله حبسه ، فهرب يزيد الى الشام ، ولما أفضت الخلافة الى سليمان بن عبدالملك ولاه العراق ثم خراسان فعاد اليها وافتتح جرجان وطبرستان ...

٢– فاتحته (لابطراً) في الأغاني وله وجه من حيث اعرابه .

[٧]

التخريج :

القطعة عدا البيت الرابع في الأغاني ٩٨/١١ ، ٩٩ ، والبيتان الثالث ، والرابع ، في عيون الأخبار ٥١/٤ ، والرابع فقط في مختار الأغاني ٣٧٦/٨ .

وقال أيضاً :

[من الوافر]

١ – ألا لا مَرْحَبـاً بِفراقِ ليـلى
ولا بالشَّـيْبِ إذ طرَقَ الشّبـابا

٢ – شَـبابٌ بانَ محمـوداً وَشَـيْبٌ
ذَميـمٌ لَمْ نَجِـدْ لَهُمـا اصْطحابا

٣ – فَما مِنْكَ الشّـبابُ وَلَسْتَ مِنْـهُ
إذا سَأَلَتْكَ لحيَتُـكَ الخِضابـا[١]

٤ – ومـا يرجو الكبيرُ مِـن الغَوانـي
إذا ذَهَبَـتْ شَـبيبَتُهُ وَشـابا

٥ – عقائِلُ مِـن عَقائِلِ أهْـلِ نَجْـدٍ
وَمَكّةَ لَمْ يُعَقِّلْنَ الرِّكابـا[٢]

٦ – وَلَمْ يطرُدْنَ أَبْقَـعَ يـومَ نَجْـدٍ
وَلا كَلْبـاً طَـرَدْنَ ولا غرابـا

[٧]

(١) الخضاب : الحناء . يوضع للشعر فيغير لونه .

(٢) قوله يعقلن الركابا : اي لم يربطهن بالعقال . تقول عقلت الدابة والناقة اذا ربطتها .

[٨]

التخريج :

اللسان / صدى ١٤/٤٥٥ .

وقال أيضاً :

[من الطويل]

١ – بِكُلِّ يَفاعٍ بومُها تُسْمِعُ الصَّدى

دعاءً متى ما تُسمِعُ الهامَ تنأجِ (١)

[٩]

قال الثقفي :

١ – من كان ذا عَضُدٍ يدركْ ظُلاَمتَهُ

إن الذليلَ الذي ليست له عَضُدُ

٢ – تنبو يداه اِذا ماقل ناصره

ويأنف الضيم أنْ اثرى له عددُ

---

[٨]

(١) تنأج : تصيح .

---

[٩]

قال محقق بهجة المجالس ٧٨٤/١ ، ذكر هامش البيان ٨٢/١ انه يزيد بن الحكم الثقفي على الاحتمال ، وقد نص في الشعر والشعراء على انه الاجرد الثقفي .
وينظر البيتان في عيون الاخبار ٢/٣ والمصون / ٧ والعقد الفريد ٤٤٠/٢ ، ٤٤١ والحيوان ٤٥/٣ .

التخريج :

في اول الأمر وجدنا ستة أبيات من القصيدة منسوبة لعمر بن أبي ربيعة وهي في ديوانه /١٠٦ بعد أن راينا اغلب المصادرقد نسبتها ليزيد بن الحكم ، فهي في سبعة ابيات في الأغاني ٩٧/١١ لصاحبنا في مدح سليمان بن عبدالملك ، ومختار الأغاني ٨-٣٧٤ ــ ٣٧٥ ، واللسان / عود ، وقد أضاف اليها البيت الثاني ، واسقط الرابع ، ونسبها لشاعرنا ، والخزانة ١١٣/١ ، ليزيد في مدح سليمان ، والبيت الثاني فقط في الخصائص ١٧٠/٣ ونسبته فيه لعمر بن أبي ربيعة ، والذي يبدو ان نسبة القصيدة لابن ابي ربيعة وهم ، لأن الدلائل تشير الى ان يزيد بن الحكم هو الذي مدح سليمان بن عبدالملك بهذه القصيدة بعد أن ترك الحجاج بن يوسف الثقفي في خبر ، ويؤيد ذلك ما ذكره البغدادي في خزانته اذ قال : ومن الناس من ينسب هذه الابيات لعمر بن ابي ربيعة وذلك خطأ نقلاً عن الاغاني .

[من البسيط]

١ ــ أمسى بأسماءَ هــذا القلبُ مَعمــودا
إذا أقــولُ صَحَا يَعتادُهُ عيــدا[١]

٢ ــ كأنّني يومَ أُمســي لا تُكلّمُني
ذو بُغْيَــةٍ يَبْتَغــي ما ليسَ مَوجودا

٣ ــ كأنَّ أحورَ من غِزلانِ ذي بَقَرٍ
اهدى لَهُ شَبَهَ العينين والجيــدا[٢]

[١٠]

(١) المعمود : الذي أثر به الحب حتى مرض .
(٢) ذي بقر : اسم موضع .

٢- (ما تكلمني) في موضع (لا تكلمني) في اللسان .
٣- في اللسان والخزانة (لنــا) في موضع (لــه) وروى ابن منظور (سنة) في موضع (شبه) .

٤ – أجري علـى موعدٍ منها فتُخْلِفُني
فلا أمـلٌ ولا توفـي المـواعيـدا

٥ – سُمِّيتَ باسمِ امرئٍ أشبهتَ شيـمتَهُ
عدلاً وَفَضْلاً سـليمانَ بنَ داؤدا

٦ – أَحْمِدْ بهِ في الورى الماضينَ من ! ملكٍ
وأنـتَ أصبَحْـتَ فـي الباقينَ محمودا

٧ – لا يبرأُ النّاسُ مِن أنْ يحمدوا مَـلكاً
أولاَهُمُ فـي الأمورِ الحُلْمَ والجـودا

[١١]

التخريج :

حماسة البحتري / ١٧٤

وقال يزيد بن الحكم

[من الطويل]

١ – ولا تُصْفيَنْ بالُودّ مَـن ليس أهلَـهُ
ولا تُبْعِدَنْ بالـوُدّ ممـن تـودّدا

[١٢]

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري /١١٦ ، والحماسة البصرية ٢٧٧/٢ .

ومن شعره أيضاً :

[من الوافر]

١ – رأيـتُ أبـا أميّـةَ وهـو يلْقـى
ذوي الشّحْنـاءِ بالقَلْـبِ الوَدودِ

٥– قدم صاحب الخزانة (فضلا) على (عدلا) ورواه صاحب اللسان .:
صميت باسم نـبي أنـت تشـبهه   حلمـاً وعلمـاً . . . .
٧– فا تحته في اللسان (لا يعذل) وروى (أن يشكروا) في موضع (أن يحمدوا) ايضاً .

٢ – فشرُّ بني أميّةَ للأدَاني
وخيرُ بني أميّةَ للبعيدِ

[١٣]

التخريج :

البيت في عيون الاخبار ٤/٥٤

كان يَعْلَى بن الحكم بن أبي العاص يعير أخاه يزيد بالقصر فقال يزيد :

[من البسيط]

١ – هَمُّ الرِّجالِ العُلا أخذاً بِذِرْوَتها
وإنّما هَمُّ يعلى الطُّولُ والقِصَرُ(١)

[١٤]

التخريج :

البيت في اللسان / عزه ، وتاج العروس ٣٩٩/٩ .

وقال يزيد :

[من الوافر]

١ – فحقّاً أيقني لا صَبْرَ عِنْدي
عَلَيْهِ وأنتِ عِزْهاةٌ صبورُ(١)

[١٥]

التخريج :

البيت في حماسة البحتري / ١٤٨ .

وقال أيضاً :

---

[١٢]
٢– في الحماسة البصرية (فشر أبي وخير ابي) .
[١٣]
(١) ذروة الشيء : اعلاه .

[١٤]
(١) العزهاة : المرأة التي أسنت ونفسها تنازعها الى الصبا .

[من الطويل]

١ – ألا لَيْتَ حَظّي مــن عُذاقَةَ أنّها
تُكَفْكِفُ عــنّي خيرَهــا وشرُورَهــا

[١٦]

التخريج :

الأَبيات في الخزانة ٥٥/١ ، والثاني فقط في الأَغاني ٩٦/١١ ، والعمدة ٧٣/١ ، ومختار الأَغاني ٣٧٤/٨ .

قال وقد عهد له الحجاج على فارس وأتاه يودعه فقال له الحجاج : أنشدني وقدر انّه يمدحه ، فأنشده الأبيات ، فغضب الحجاج ، واسترد العهد منه ، وقال لحاجبه ، اذا ردّه عليكفقل له : أورَّثكَ أبوك مثل هذا ؟ فقال له الحاجب ذلك، فقال يزيد: قل للحجاج :

وورثتُ جدّي مجــدَهُ وفعالَــهُ
وورثــت جــدّك أعنــزاً بالطّائــفِ

ثم تركه ولحق بسليمان بن عبدالملك ومدحه *

[من الكامل]

١ – وَأبــي الذي فتــح البــلادَ بسيفهِ
فأَذَلّهــا لِبَنــي الزّمــانِ الغابــرِ

٢ – وأبــي الــذي سَلَبَ ابن كســرى رايــةً
بيضاءَ تَخْفِــقُ كالعُقــابِ الطائــرِ **

٣ – واذا فَخَرْتُ فَخَــرْتُ غيــرَ مُكَذّبٍ
فخــراً أدُقُّ بــهِ فخــارَ الفاخــرِ

[١٦]

* ينظر تخريج القطعة المرقمة / ٢٥ من هذا الشعر .
** اعتمدنا رواية أبي الفرج ، وابن منظور وابن رشيق لهذا البيت .
٢– رواية عجزه في الخزانة :
في الملك تخفق كالعقاب الكاسر .

[١٧]

التخريج :

الأبيات في الأغاني ٩٨/١١ ، ومختاره ، ٣٧٦/٨ ، واعلام الزركلي ٢٣٢/٩ ، والبيت الثاني والثالث في تاريخ الطبري ١٥٥/٨ ،

وقال لما خلع يزيد بن المهلّب • يزيد بن عبدالملك :

[من الطويل]

١ – أبـا خالدٍ قـَدْ هِجْـتَ حربـاً مَرِيرةً
وقـد شمرَّتْ حربٌ عـوانٌ فَشَمِّرِ[١]

٢ – فإنَّ بـني مَرْوانَ قـد زالَ مُلْكُهُمْ
فإنْ كُنْتَ لم تَشْعُرْ بذلك فاشْعُرِ

٣ – فَمُتْ ماجداً أو عِشْ كريماً فإن تَمُتْ
وَسَيْفُكَ مَشْهورٌ بِكَفِّكَ تُعْـذَرِ

[١٨]

التخريج :

القطعة في حماسة ابن الشجري / ١٣٩ ، والحماسة البصرية ١٧/٢ ، والبيت الثاني في اعلام الزركلي ٩-٢٣٢ ، وقد تداخل مع ابيات تنسب في معظمها للبيد بن ربيعة ، ينظر تخريجها في ديوانه / ٣٨٠ .

وقال ايضاً :

[من الطويل]

١ – تَرَى المرءَ يخشى بعضَ ما لا يَضيرهُ
ويأملُ شيئاً دونَـهُ المـوتُ واقِـعُ

٢ – ومـا المالُ والأهـلونَ إلاّ ودائـعٌ
ولا بـدَّ يومـاً أن تُرَدَّ الـودائـعُ

---

[١٧]

• ترجمنا له في هامش القطعة المرقة / ٦

(١) حرب عوان : حرب شديدة فاتكة . وابو خالد : كنية يزيد بن عبد الملك .

٢– فاتحه في الطبري (إن) وبعده (باد) في موضع (زال) .

٣– رواية شطره في الطبري :

عش ملـكاً أو مت كريمـاً وان تمت.

٣ ـ فَكلُّ أمانـيٍّ امـرئٍ لا يَنالُهـا
كأَضغاثِ أحـلامٍ يَراهُـنَّ هاجِـعُ
٤ ـ وفي اليأسِ من بعضِ المطامعِ راحةٌ
ويارُبَّ خـيرٍ أدركَتْـهُ المطامِـعُ
٥ ـ أبى الشّيبُ والاسـلامُ أن اتبع الهوى
وفي الشّيبِ والاسـلامِ للمرءِ وازِعُ

[١٩]

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري /١٣١ ، ومجموعة المعاني / ٦٩ .

وله أيضاً : *

[من الطويل]

١ ـ رأيتُ سَخيَّ النَّفْسِ يأتيـهِ رِزْقُـهُ
هَنيئاً ولا يُعْطَى على الحِرْصِ جاشعُ(١)
٢ ـ وكل حَريصٍ لن يُجاوِزَ رزقَـهُ
وكَمْ مِن مُوَقّى رزقَهُ وهـو وادعُ(٢)

[٢٠]

التخريج :

وجدنا هذين البيتين في هامش حماسة ابن الشجري / ١٣٩ ، وقال المحقق عنهما : زاد في هامش ب هذين البيتين وهما صعبا القراءة . ا . ه . ونحن لم نجدهما في مرجع آخر لنتثبّتَ من قراءتهما الصحيحة ولكننا نطمع أن يكونا تابعين لما سبقهما في النصين ـ ١٨ و ١٩ ـ . والبيتان مختلا العروض وقد حاولنا تصحيحهما اجتهاداً قدر المستطاع غير مبتعدين عن ما يحمله مضمون النص .

[١٩]

* الذي يبدو من النص انه تبع لما قبله في القطعة المرقة / ١٨ .

(١) الحرص : الاقتار والبخل .

(٢) الوادع : المطمئن .

١ ـ روى صاحب مجموعة المعاني (السخي) في موضع (سخي) .

٢ ـ في مجموعة المعاني (وكم من) .

وقال يزيد : *

[من الطويل]

١ – أرِحْني بِـلا إن كنتَ عَيْنَ مُصدّقٍ
رجائي ، يَجدني سافِرَ الصُّنعِ صانِـعُ

٢ – فَبَرْدُ زُلالِ اليأسِ أعذَبُ مَوْرداً
على الحرص لو عانى الحرارةَ طامِـعُ

[٢١]

التخريج :

الأبيات في الأغاني ٩٩/١١ ومهذبه ١٤١/٤ .

وقال في جارية كان يهواها :

[من المديد]

١ – يـا أيُّهـا النـازِحُ الشّسـوعُ
وَدائِـعُ القَلْـبِ لا تَضيـعُ[1]

٢ – أسْـتَودِعُ الله مَـنْ إليـهِ
قَلْـبي عـلى نأيـهِ نَـزوعُ[2]

٣ – إذا تَذَكّرتُـهُ اسْتَهَلّـتْ
شـوقـاً الى وَجْهِـهِ الـدُّمـوعُ

[٢٢]

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري / ٢٠٩

وقال يزيد بن الحكم

[من الطويل]

---

[٢٠]

* روايتهما في الأصل :

ارحني بلا أن كنت عين مصدق ... رجائي يجدني سافرا صنع صانع
فبرد زلال اليأس اعذب مورداً ... على الحرص لو عان حرارة طامع

---

[٢١]

(١) الشسوع : البعيد

(٢) النأي : البعد . والنزوع : المائل اليه الراغب فيه .

١ - الى غيـر الأنـام يُحتَبَـلُ الفتَـى
وإن كان شـهماً في العشـيرةِ أرْوَعـا
٢ - وكُلُّ جديـدٍ سـوفَ يَخلُـقُ حُسْنُهُ
وما لم يُوَدِّعْ مِثْـلَ مـا كانَ وَدَّعا

[٢٣]

التخريج :

البيتان في كامل المبرد ٣٣٨/٣ ، ورغبة الآمل ٤٠/٨ - ٤١ ، وشرح نهج البلاغة ١٦٢/٤ .

وقال يخاطب مجّاعةَ بنَ سعر : •

[من الكامل]

١ - وَدَعَاكَ دَعْـوَةَ مُرْهَـقٍ فأجبتَـهُ
عُمَرٌ وقَدنَسِيَ الحيَـاةَ وضَـاعـا
٢ - فرَدَدْتَ عاديةَ الكتيبـةِ عن فتَـىً
قدْ كادَ يتْرُك لحْمَـهُ أوزاعـا[1]

[٢٤]

التخريج :

البيت في لسان العرب ـ ظلف ٢٣٠/٩

وقال يزيد بن الحكم يصف جارية :

[من البسيط]

١ - تَشْكو إذا ما مَشَتْ بالدِّعْصِ أخمَصَها
كأنَّ ظَهْرَ النّقاقُفُ لهـا ظَلَفُ[1]

---

[٢٣]

• مجاعة : بضم الميم وتشديد الجيم وفتح العين - كذا ضبطه صاحب القاموس - بن يزيد بن خليفةبن سنان بن قطن بن مرة .

(١) عادية الكتيبة : شدتها وكثرة عددها . والأوزاع : الاقسام .

[٢٤]

(١) القف : بضم القاف ، الغليظ من الأرض .
والظلف : الأرض التي لا يتبين لها أثر . والدعص : منعرج الرمل .

[٢٥]

التخريج :

القطعة في خزانة البغدادي ١ / ١١٢ وينظر امالي الزجاجي / ٢١٩

وقال مفتخراً أمامَ الحجاج حين ولاة فارس : *

[من الوافر]

١ – مَــنْ يَــكُ سـائلاً عَــنّي فإنّــي
أنا ابْنُ الصَّيدِ مِــن سَلَفَيْ ثقيفِ

٢ – وفي وَسَــطِ البطاحِ محــلُّ بيــتي
محــلُّ الليــثِ مِــن وَسَطِ الغَريفِ[1]

٣ – وفي كَعْبٍ ومَــنْ كالحــيِّ كعبٍ
حلَلْتُ ذُؤابــةَ الجبــلِ المنيفِ

٤ – حَوَيْــتُ فخارَهــا غَوْراً ونَجْــداً
وذلك منتهى شَرَفِ الشّــريــفِ

٥ – نمانــي كلُّ أصْيَــدَ لا ضَعيفٍ
بِحَمْــلِ المُعْضِلاتِ ولا عَنيــفِ

[٢٦]

التخريج :

البيت في الأغاني ٩٧/١١ ، ومختارُهُ ٣٧٤/٨ ، والعمدة ٧٣/١ .

وقال يفخر أمام الحجاج : *

(من الكامل)

١ – وَوَرِثْتُ جَــدّي مجــدَهُ وفَعالَــهُ
وَوَرِثْــتَ جَــدَّك أعنــزاً بالطّائفِ

[٢٧]

التخريج :

البيت في اللسان / شذا

---

[٢٥]

(*) أنظر مفصل الخبر في تخريج القطعتين / ١٠ و / ١٦ من هذا المجموع .

(١) الغريب : بفتح الغين المعجمة، الأحجة او الغابة .

قال يصف قداحاً :

[من الطويل]

١ ـ يَقيها الشّذا بالنّجو طَوراً وَتارةً
يقلِّبُها في كَفِّه ويَذوقُ[١]

[٢٨]

التخريج :

البيت في اللسان / وزى ٣٩١/١٥ .

وقال أيضاً : *

[من الطويل]

١ ـ إذا سَافَ مِن أعيارِ صَيْفٍ مُصامَةً
وزاه نَشيجٌ عِنْدَها وشهيقُ[١]

[٢٩]

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري ١٦٠/١٦١ ، وروي الثاني في بهجة المجالس منسوباً الى آخر وقال أيضاً :

[من الوافر]

١ ـ ذَوُو الأَحسابِ أكرَمُ مُخبِراتٍ
واصبَرُ عِنْدَ نائبةِ الحقوقِ

٢ ـ وما استخَبيتُ في رَحْلٍ خبيثاً
كدينِ الصدق أو حَسَبٍ عتيقِ

[٣٠]

التخريج :

الأبيات في حماسة البحتري ـ ٦١ .

وقال يزيد :

---

[٢٧]

(١) اي أنه لا يترك الذباب يسقط عليها ، كذا فسره ابن منظور .

[٢٨]

* الذي يبدو أن هذا البيت من قصيدة لم يبق منها الا هذا البيت والبيت الذي سبقه.إذ يتكلم فيه عن القداح ايضاً.

(١) وزاه : اغضبه

[من البسيط]

١ – عَلامَ جُدْتَ فلمّا خِفْتَ مُوحِيَةً
تَعَقّبَتكَ مِنَ البُخْلِ العَقابيلُ[١]

٢ – قَدْ قُلْتَ خيراً وَخيرُ القَولِ أَصدَقُهُ
لو كانَ مِنْكَ بِفِعْلٍ صُدِّقَ القيلُ

٣ – عَلّلتُموني وَعَقْلي غيرُ مُشْتَرَكٍ
ولا تَقومُ لِذي العَقْلِ التّعاليلُ

٤ – ياليتَ شِعْري أجاني نفعَ خيرِكُمُ
أم غَوّلَتْ خيرَكُمْ مِن دونِيَ الغولُ[٢]

[٣١]

التخريج :

وجدنا هذه الابيات منسوبة ليزيد بن الجهم في الحماسة ١٣٥/٤ ، وهي ايضاً له في الحماسة البصرية ١٢/٢ ولكن المحقق ذكر في هامش الصفحة أن نسخة مكتبة نور عثمانية نسبتها ليزيد بن الحكم الثقفي فآثرنا اثباتها مظنة أن تكون له .

قال ابن الجهم او ابن الحكم :

[من الوافر]

١ – تُسائِلُني هَوازِنُ أينَ مالي
وَهَلْ لي غيرَ ما أنفَقْتُ مال

٢ – فقلْتُ لها هوازنَ إنَّ مالي
اضرَّ بهِ الملمّاتُ الثِّقالُ

٣ – اضرَّ به نَعَمْ وَنَعَمْ قديماً
على ما كانَ من مالٍ وبالُ

[٣٠]

(١) العقابيل : اصله بقايا . العلة والعداوة ومعناه هنا الشرور .

(٢) أجاني : همزته الاستفهام وجاني من جنى الثمر يجنيه اذا قطفه .
والغول : الحيوان الخرافي .

[٣١]

٢ – في الحماسة لابي تمام ونسخة نور عثمانية من الحماسة البصرية (المهمات) في موضع (الملمات) .

[٣٢]

التخريج :

البيت في المخصص ٢٠/١٦ ، وشرح درّة الغواص /١٠٦ غير معزو ، والخزانة ١١٢/١ .

وقال في هجاء النحويين

[من الوافر]

١ — إذا اجتمعوا على ألفٍ ويَاءٍ
وواوٍ هاج بينهُمُ قِتالُ[1]

[٣٣]

التخريج :

الأبيات في حماسة البحتري / ٦١ .

ومن شعره أيضاً :

[من الطويل]

١ — وما فَضْلُ مَنْ كانَتْ سَرِيعاً عِداتُه
وَمَنْ هُوَ إنْ طالَبْتَهُ الوَعْدَ ماطِلُهْ

٢ — وَمَنْ إنّما مَوعودُهُ بَرْقُ خُلَّبٍ
اَوِ الآلُ مَنْفِيّاً بِفَيْفاءَ جائِلُهْ[1]

٣ — أمانيُّ تُرجى مثلَ ما راحَ عارضٌ
مِنَ المُزْنِ لا يُنْدي حِسانٌ مُخائِلُهْ[2]

[٣٢]

(١) الشاهد فيه على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذاركبت وإن كان بناؤها اصلياً .ومعناه أنهم اذا اجتمعوا للبحث عن اعلال حروف العلة ثار بينهم الجدال . واذا صحت نسبة الابيات في القطعة (٣١) الى يزيد فأرجح ان يكون هذا البيت من القطعة نفسها

.. روى شرح درة الغواص (الف وباء وتاء) في حشو البيت . وعند البغدادي (الف وواو وباء) في حشوه وقافيته (جدال) .

[٣٣]

(١) الخلب : بتشديد اللام الكاذب . الآل : ما يتراءى لك كانه ماء وهو ليس منه في شئ ومثله السراب ويكون الآل في الليل والسراب في النهار . والفيفاء : الصحراء

(٢) العارض : المطر يكون خفيفاً . ومخائله : علاماته .

[٣٤]

التخريج :

القطعة في الأغاني ١١/١٠٠ ، وخزانة البغدادي ١/٥٦ .

وقال يذكر ابن عمه عبدالرحمن بن عثمان بن أبي العاص : •

[من الطويل]

١ – وَمَوْلَىً كَذِئْبِ السُّوءِ لَو يَسْتَطيعُني
أَصابَ دَمي يوماً بغيرِ فتيلِ

٢ – وأعرضَ عمّا ساءَهُ وكأنّما
يُقادُ إلى ماساءني بِدَليلِ

٣ – مُجاملةً منّي وإكرامِ غَيْرِهِ
بلا حَسَنٍ مِنْهُ ولا بِجَميلِ

٤ – ولو شِئْتُ لولا الحلمُ جدَّعتُ أنفَهُ
بايعابِ جدعٍ باديءٍ وَعَليلِ [1]

٥ – حِفاظاً على أحلامِ قومٍ رُزِيتُهم
رزانٍ يزَيّنونَ النّديَّ كهولِ [2]

[٣٥]

التخريج :

اللسان : سوا

وله أيضاً :

[من البسيط]

١ – هُمُ البحورُ وتَلقى مَنْ سَواءَهُمُ
مِمَّنْ يُسَوَّدُ أثماداً وأوشالا [1]

[٣٤]

(١) أصل الجدع : القطع .

(٢) الندي : مجتمع القوم وهو النادي والمندى أيضاً . والرزان : الحلماء العقلاء .

[٣٥]

(١) الأثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل لا مادة له ، وهو ما يكون في الشتاء ويجف في الصيف . والوشل : الماء القليل الذي ينزل من جبل وجمعه أوشال .

[٣٦]

التخريج :

البيت في اللسان / علم .

وقال أيضاً :

[من الوافر]

١ – ومسترقُ القَصائدِ والمُضاهي
سواءٌ عِندَ عُلاّمِ الرِّجالِ[1]

[٣٧]

التخريج :

القصيدة بتمامها في حماسة أبي تمام ٤٦/٢ وما بعدها ، وشرحها للمرزوقي/ ١١٩٠ – ١١٩٧ ، وشرحها للتبريزي ١٠٥/٣ وما بعدها ، والأبيات من ١–١٧ عدا الثامن في التذكرة السعدية / ٢٩٢ والذي يليها ، والأبيات الأول ، والخامس ، والسابع ، والتاسع ، في اعلام الزركلي ٢٣٢/٩ ، والبيتان السادس ، والسابع في حيوان الجاحظ ٨/١ ، وحماسة البحتري / ١٣٧ ، والتاسع فقط في محاضرات الأدباء ٢٦٠/١ ، والثاني عشر فقط في مجمع الأمثال ٨١/١ .

وقال يعظ ابنه بدراً : (من مجزوء الكامل)

١ – يا بَدْرُ والأمثالُ يَضْرِبُها ... لِذي اللُّبِّ الحكيمُ
٢ – دُمْ لِلْخَليلِ بِوُدِّهِ ... ما خيرُ وُدٍّ لا يَدومْ
٣ – واعرِفْ لجارِكَ حقَّهُ ... والحقُّ يعْرِفُهُ الكريمُ
٤ – واعلَمْ بأنَّ الضَّيفَ يو ... ماً سوفَ يَحْمَدُ أو يلومُ
٥ – والنّاسُ مُبْتَنَيانِ : محمودُ ... البِنايةِ ، أو ذَميمُ
٦ – واعلَمْ بُنَيَّ فإنّهُ ... بالعِلمِ يَنْتَفِعُ العليمُ
٧ – إنَّ الأمورَ دَقيقَها ... ممّا يَهيجُ لَهُ العَظيمُ
٨ – والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّينِ تُقْضاهُ وقد يُلْوَى الغَريمُ[1]

[٣٦]

(١) العلام : بضم العين والعلامة ، الكثير العلم الغزيره .

[٣٧]

٦ – فاتحته في الحيوان (فاعلم) . وحماسة البحتري (اعلم) باسقاط الواو .

(١) التبل : الثأر

٩ – والبَغيُ يَصْرَعُ أهلَهُ والظُّلمُ مَرْتَعُهُ وَخيمُ

١٠– وَلَقَدْ يكونُ لك البعيـ ـدُ أخاً وَيَقْطَعُكَ الحَميمُ

١١– والمرءُ يُكْرَمُ للغنى ويُهانُ للعَدَمِ العَديمُ

١٢– قد يُقْتِرُ الحَوِلُ التقيُّ ويكثرُ الحَمِقُ الأثيمُ

١٣– يُملى لِذاكَ وَيُبْتلَى هذا ، فأيُّهما المَضيمُ(٢)

١٤– والمرءُ يبخَلُ في الحقو قِ وللكَلالةِ ما يسيمُ

١٥– ما بُخْلُ مَنْ هو للمنَو نِ وَرَيْبِها غَرَضٌ رَجيمُ

١٦– وَيَرى القُرُونَ أمامَهُ هَمَدوا كما هَمَدَ الهَشيمُ

١٧– وَتُخَرِبُ الدُّنيا ، فلا بُؤسٌ يَدومُ ولا نَعيمُ

١٨– كلُّ امرئٍ سَتَئيمُ منْـ ـهُ العرسُ أو منها يَئيمُ(٣)

١٩– ما عِلْمُ ذي وَلَدٍ أيُثْـ ـكَلُهُ أمِ الوَلَدُ اليَتيمُ

٢٠– والحربُ صاحبُها الصَّليـ ـبُ على تَلاتِلِها العَزومُ(٤)

٢١– مَنْ لا يَمَلُّ ضِراسَها ولَدى الحَقيقةِ لا يَخيمُ

٢٢– واعلَمْ بأنَّ الحربَ لا يَسْطيعُها المَرِحُ السَّؤومُ

٢٣– والخيلُ أجوَدُها المُنا هِبُ عِنْدَ كَبَّتِها الأَزومُ(٥)

[٣٨]

التخريج :

البيت في الأغاني ٩٨/١١ .

وله أيضاً : [من الكامل]

١ – فَنِيَ الشَّبابُ وَكلُّ شيءٍ فاني
وَعَلا لِداتي شَيبُهم وَعَلاني(١)

---

٩ ـ فاتحة التاسع في محاضرات الأدباء (البغي) باسقاط الواو .

١٠ – (الغريب) في موضع (البعيد) رواية المرزوقي .

(٢) يملي : يمد في عمره .

(٣) الأيم : الذي تجرد من الأهل .

(٤) الصليب : القوي . وتلاتل الحرب : شدائدها .

(٥) المناهب : الكثير العدو . والكبة : بفتح الكاف الحملة في الحرب . والأزوم : العضوض .

[٣٨]

(١) اللدات : النضراء .

التخريج

القصيدة بتمامها في خزانة البغدادي ٤٩٦/١ نقلاً عن ابي علي الفارسي في المسائل البصرية . وهي عدا ، الثالث ، والعاشر ، والثاني والعشرين ، والسادس والعشرين في امالي القالي ٦٨/١ . والأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، والتاسع عشر ، والعشرون والحادي والعشرون ، والثاني والعشرون ، والثالث والعشرون ، والرابع والعشرون ، والخامس والعشرون ، والسادس والعشرون ، والسابع والعشرون ، في هامش شرح الأشموني ٤٠٣/٢ . والأول ، والثاني ، والتاسع ، والرابع عشر ، والحادي عشر ، في الحماسة البصرية ٢٧٦/٢ ــ ٢٧٧ ، والأول ، والرابع ،والسابع ، والثامن، والثالث عشر ، والرابع عشر ، والسابع عشر ، والحادي والعشرون ، والثاني والعشرون ، والسادس والعشرون في الأغاني ١٠٠/١٠ . والأول ، والعاشر ، والرابع عشر في سمط اللآلي ٢٣٧/١ ، ٢٣٩ . والبيت الأول فقط في شروح سقط الزند ٣٦١/١ . والسابع ، والرابع عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، في هامش شرح الأشموني ١٩٨/٣ ، والتاسع ، والثالث عشر في حماسة البحتري ١٤/٨ ، والرابع عشر في شرح الأشموني ١٩٨/٣ ، وشرح ابن عقيل ١١٣/٢ . والثالث والعشرون فقط في الأشموني ٤٠٣/٢ ، وابن عقيل ٤١/٢ ،

وقال يعاتب ابن عمه عبدالرحمن بن عثمان بن أبي العاص(*) :

[من الطويل]

١ ــ تُكاشِرُني كُرهاً كأنَّكَ ناصِحٌ
وَعَيْنُكَ تُبدي أنَّ صَدْرَكَ لي دَوِي(١)

٢ ــ لِسانُكَ لي أرْيٌ وَغَيْبُكَ عَلْقَمٌ
وَشَرُّكَ مَبْسوطٌ وَخَيرُكَ مُلْتَوِي(٢)

---

[٣٩]

* وتروى وهماً للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد البكري ، وقد رد ذلك أبو الفرج الأصفهاني ، ولم يقبله ، وعقب بقوله : وليست من شعره ، ومن يقرأ شعر طرفة يجد الفرق واضحاً . كما اوردها ابو علي الفارسي بتمامها في المسائل البصرية على ان يزيد قالها في أخيه من أمه وأبيه وهي ليست كذلك والصحيح ما اثبتناه باتفاق أغلب الروايات .

١ــ في الأغاني قافيته (جو) بكسر الواو .

٢ــ رواية أبي علي القالي والأشموني والحماسة البصرية (ماذي) في موضع (لي أري) .

(١) تكاشرني : من كاشر الرجل الرجل ، اذا ابدى له أسنانه عند التبسم . والدوي : وصف من الدوى بفتح الدال وهو المرض . ودوي صدره ايضاً بمعنى : ضغن وحقد .

(٢) الأري : العسل .

٣ – تُفاوِضُ مَنْ أطويْ طَوَى الكشحِ دونَه
وَمِن دونِ مَنْ صافَيْتُهُ أنتَ مُنْطَوِيْ

٤ – تُصافِحُ مَنْ لاقَيْتَ لي ذا عَداوَة
صِفاحاً وَعَنّي بَيْنُ عينيكَ مُنْزَوِي(٣)

٥ – أراكَ إذا استَغْنَيْتَ عَنّا هَجَرْتَنا
وأنتَ إلَينا عندَ فَقْرِكَ مُنْضَوِي(٤)

٦ – إلَيْكَ انعَوى نُصحِيْ ومالي كِلاهُما
وَلَسْتَ إلى نُصحي ومالي بِمُنْعَوِي(٥)

٧ – أراكَ إذا لَمْ أهْوَ أمراً هَوِيْتَهُ
وَلَسْتَ لِما أهوَى مِنَ الأمرِ بالهَوِيْ

٨ – أراكَ اجتَويتَ الخيرَ منّي وأجتَوي
أذاكَ فَكلٌ مُجتَوٍ قُربَ مُجتَوِي(٦)

٩ – فَلَيْتَ كفافاً كانَ خَيْرُكَ كلُّهُ
وَشَرُّكَ عَنّي ما ارتوى الماءَ مرتوي

١٠ – لعلّكَ أنْ تنأى بأرضِكَ نيّةً
وإلاّ فإنّي غيرَ أرضِكَ مُنْتَوِي(٧)

١١ – تَبَدَّلْ خليلاً بي كَشَكْلِكَ شَكْلُهُ
فإني خَليلاً صالحاً بكَ مُقْتَوِي(٨)

---

(٣) بين : تقرأ بالرفع على الابتداء وليست ظرفاً وخبرها منزوي ، وعني متعلق به. والمنزوي المتقبض ، يقال : انزوت الجلدة في النار اي اجتمعت ، وزوى ما بين عينيه أي قبضهما .

(٤) منضوي : من قولك انضوى اليه اذا لجأ وانظم اليه .

(٥) أنعوى : مال وانعطف . وهو من افعال المطاوعة .

(٦) اجتويت : كرهت .

(٧) منتوي : متوجه وقاصد .

(٨) مقتوي : في الصحاح ، القتو : الخادم ، وقتوت أقتو قتواً ومقتى بمعنى خدمت . ويقال للخادم مقتوي : بفتح الميم وتشديد الياء .

٤– في الأمالي ، والأغاني والأشموني (وعيني) في موضع (وعني) .

٨– روى الاصفهاني البيت .

اراك احتويت الخير مني واحتوي   أذاك فكل يحتوي قرب محتوي

وهي رواية ثانية عنده وقد اثبت الأولى أيضاً .

١٢- فلم يُغوِنيْ رَبّي فكيفَ اصْطِحابُنا
وراسُكَ في الأغوى من الغَيِّ مُنْغَوِيْ

١٣- عَدُوُّك يَخْشَى صَوْلَتــي إنْ لَقيتُهُ
وأَنْتَ عَدُوِّيْ ليسَ ذاكَ بِمُستَوي

١٤- وكَمْ مَوْطِنٍ لولايَ طِحْتَ كما هوى
بأجرامِه من قُلّـــةِ النِّيــقِ مُنْهَوي[9]

١٥- نَداك عنِ المولى وَنَصْرُكَ عاتِمٌ
وأنتَ لَهُ بالظُّلمِ والغِمرِ مختَوي[10]

١٦- تَوَدُّ لــه ، لو نالَهُ نابُ حَيّةٍ
ربيبِ صَفَاةٍ بينَ لِهبَيْنِ مُنْحَوي[11]

١٧- إذا ما بنــى المجدَ ابنُ عَمِّكَ لم تُعِنْ
وَقُلتَ ألا بلْ ليتَ بُنيانَهُ خَوِي[12]

١٨- كأنّكَ إنْ قيلَ ابنُ عمّكَ غانِمٌ
شجٍ أو عميدٌ أو أخو مَغْلَةٍ لَوي[13]

١٩- تملأْتَ من غيظٍ عليٍّ فلَمْ يزَلْ
بِكَ الغَيْظُ حتى كِدتَ في الغيظِ تَنْشَوي

٢٠- فَما بَرِحَتْ نَفْسٌ حسودٌ حُشيتَها
تُذيبُكَ حتى قيلَ : هل أنتَ مكتوي

١٣- رواية الحماسة البحترية للبيت .

تود عدواً ثم تزعم أنني صديقك ليس الفعل منك بمستوى

(٩) الاجرام : جمع جرم بكسر الجيم وهو الجسم . وقد وهم ابن الشجري وفسر معناه على الذنوب .
والنيق : بكسر النون : ارفع موضع في الجبل . وقلته : ما استدق منه .

(١٠) الندى : الجود . والعاتم : البطيء . والغمر : بكسر الغين ، الحقد والغل . والمختوي : بالخاء الجائر .

(١١) الصفاة : الصخرة ، الملساء . واللهب : بكسر اللام ، الشق في الجبل . والمنحوي بالنون بعده حاء ، المجتمع .

(١٢) الخوي : الساقط ، ومنه قوله تعالى (فهي خاوية على عروشها) .

(١٣) الشجي : الحزين المهموم ، ومنه قول الشاعر :

فقلت لها إن الشجا يبعث الشجى اليك وهذا كله قبر مالك

والعميد : الذي قد عمده المرض اي هده . والمغلة : العلة في الجوف . واللوي الذي في جوفه وجع .

٢١- وقالَ النِّطاسِيُّونَ إنّكَ مُشْعَرٌ
سُلالاً ألا بَلْ أنتَ مِن حَسَدٍ جَوِي(١٤)

٢٢- فَدَيْتَ امرأً لَمْ يَدْوَ للنأيِ عهدُهُ
وَعَهْدُكَ مِنْ قبلِ التنائي هُوَ الدَّوِيْ

٢٣- جَمَعْتَ وَفُحشاً غَيْبَةً ونَميمةً
خِلالاً ثلاثاً لستَ عَنْها بِمُرْعَوِيْ

٢٤- أفحشاً وَخِباً واخْتِناءً عَلى النّدى
كأنّكَ أفعى كديةٍ فرَّ مُحْجَوي(١٥)

٢٥- فَيَدْحو بِكَ الدَّاحي الى كُلِّ سوءَةٍ
فَيا شرَّ مَن يَدْحو بأطيشِ مُدحَوِي(١٦)

٢٦- أتَجمعُ تَسْآلَ الأخلاءِ مالَهمْ
وما لَكَ مِنْ دونِ الاخلاءِ تَحْتَوِيْ

٢٧- بَدا منكَ غشٌّ طالما قد كَتَمْتَهُ
كما كَتَمَتْ داءَ ابنِها أمُّ مُدَّوِي(١٧)

---

(١٤) النطاسيون : العلماء بالطب . واحده نطاسي . والسلال : بضم السين ، مرض السل . والجوي : من الجوى وهو داء قاتل .

١٤- في شروح سقط الزند (موقف) في موضع (موطن) .

١٨- رواية شطره عند ابي الفرج :

كأنك إن نال ابن عمك مغنماً

و (غلة) في موضع (فعلة) في عجزه .

(١٥) الخب : بكسر الخاء المعجمة مصدر خبيت يا رجل تخب خبا ، اذا خدع ومكر . والاختناء : بالخاء ، التقبض ، كذا فسره ابو علي الفارسي . والكدية : بضم الكاف الأرض الصلبة . والمحجوي : المنطوي كذا فسره ابو علي القالي في اماليه نقلا عن ابي بكر بن دريد .

(١٦) الداحي من الدحو وهو الرمي . يقال للفرس : مر يدحو دحواً ، اذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكته، عن الارض كثيراً .

(١٧) ام مدوى : يضرب بها المثل لمن يوري بالشيء عن غيره ويكنى به عنه . واصله ان امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها الى ام الغلام تنظر اليه فدخل الغلام فقال لامه : أدوي بتشديد الدال ، فقالت له : اللجام معلق بعمود البيت والسرج في جانبه ، فاظهرت ان ابنها اراد اداة الفرس للركوب . والذي اراده ابنها أكل الدواية بضم الدال ، وهي القشرة التي تعلو اللبن .انظر الخزانة ١٢٤/٣

٢٣- رواية ابي الفرج في قافيته (عنهن ترعوي) .

٢٥- رواية البيت في الأغاني :

ويدعوبك الداعي الى كل سوءة   فيا شر ما يدعو الى شر مدعي

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري / ١٠٤ .

وقال يزيد بن الحكم الثقفي .

[من الطويل]

١ – لا يفرَحَنَّ الشامتــونَ فإنّمــا
يَعيشونَ بعــدَ الذّاهبينَ لَياليــا[1]

٢ – ولا تَحْسبوا الآجــالَ منهم بعيدَةً
فإنَّ قريبــاً كلُّ مــا كانَ جائيــا

المصــادر

الأبشيهي : شهاب الدين احمد المتوفى ستة ٨٥٠

المستطرف في كل فن مستطرف : المكنبة التجارية ـ ١٣٧٩

الأشموني :

شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

الأصفهاني :

ابو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ .

الأغاني : دار الكتب ، وساسي في بعض المواضع .

الاصفهاني

ابو القاسم حسين بن محمد الراغب ت ٥٠٢ هـ .

محاضرات الادباء ٠ مجهول سنة الطبع

البحتري :

ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ت ٢٨٤ هـ .

الحماسة ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، تحقيق لويس شيخو .

البصري :

صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري ت ٦٥٩ هـ .

(١) الذي يبدو أن الشطر الأول من البيت الأول بحره من الكامل وبقية النص من الطويل وهو كثير في اشعار العرب اسقاط حرف من بداية النص .

الحماسة البصرية ، تصحيح مختار الدين احمد ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٨٣هـ ١٩٦٤ م .
البغدادي :
عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، نشرة محب الدين الخطيب وعبدالفتاح فتلان ، السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
البكري :
ابو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد ت ٤٨٧ هـ .
سمط اللآلىء ، طرر عبدالعزيز المبمني ، لجنة التأليف ، القاهرة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م
التبريزي :
ابو زكريا الخطيب والبطليوسي والخوارزمي ت ٥٠٢ هـ
شرح ديوان الحماسة ، بولاق ، ١٢٩٦ هـ .
ابو تمام :
حبيب بن اوس الطائي ت ٢٣١ هـ
ديوان الحماسة .
الجاحـــظ :
ابو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ
الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
ابن جنـــي :
ابو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ
الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، دار الكتب ١٩٥٥ م .
ابن ابي الحديد :
عزالدين ابو حامد بن عبدالحميد المدائني ت ٦٥٥ هـ .
شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية .
الحريري :
ابو محمد القاسم بن علي ت ٥١٦ هـ

درّة الغواص في اوهام الخواص ، الجوائب ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ
الخالديـــان :
ابو بكر محمد ت ٣٨٠ هـ وابو عثمان سعيد ت ٣٩٠ — ٣٩١ هـ
الاشباه والنظائر تحقيق د. محمد السيد يوسف ، القاهرة ، لجنة التأليف ١٩٥٨ م .
الخفاجي :
شرح درّة الغواص ، الجوائب ، القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
ابن ابي ربيعة :
ديوان عمر بن ابي ربيعة .
ابن رشيق :
الحسن القيرواني ت
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . مصر ، السعادة ط ٣
الزبيدي :
محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥ هـ
تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية — ١٢٠٧ .
الزجاجي :
ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق ت ٣٣٧ هـ
الأمالي ، مطبعة المدني ، مجهول سنة الطبع .
الزركلي :
خير الدين
الأعلام : قاموس تراجم
سيبويه :
ابو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ
الكتاب ، الاميرية ، بولاق ١٣١٦ هـ
ابن سيدة :
ابو الحسن علي بن اسماعيل ت ٤٥٨ هـ
المخصص ، الاميرية ، بولاق ١٣٢٠ هـ

ابن الشجري :
ابو السعادات هبة الله بن علي بن محمد ت ٥٤٢ ﻫ
الحماسة ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٥ ﻫ .
الطبري :
محمد بن جرير ت ٢١٠ ﻫ
تاريخ الرسل والملوك ، الحسينية المصرية .
ابن عبد البر :
ابو عمر يوسف بن عبدا ت ٤٦٣ ﻫ
بهجة المجالس وأنس المجالس ، تحقيق محمد الخولي في سلسلة تراثنا .
العبيدي :
محمد بن عبدالرحمن بن عبدالمجيد .
التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، تحقيق عبدالله الجبوري مطبعة النعمان ، النجف
ابن عقيل :
شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك
القالي :
ابو علي اسماعيل بن القاسم ت ٣٥٦ ﻫ
الأمالي والنوادر ، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي ، بيروت . دار صادر
ابن قتيبة :
ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦ ﻫ
عيون الاخبار ، دار الكتب .
المعاني الكبير ، حيدر آباد ، الهند ١٣٦٨ ﻫ ١٩٤٩ م .
لبيد بن ربيعة العامري :
ديوان لبيد
المبرد :
ابو العباس محمد بن يزيد الثمالي ت ٢٨٤ ﻫ
الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته دار نهضة مصر .

مجهول :
مجموعة المعاني ، الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠١ هـ
المدائني : ابوالحسن
كتاب التعازي . ت : ابتسام مرهون الصفار ـ ١٩٧١
المرزوقي :
ابو علي احمد بن الحسن ت ٤٢١ هـ
شرح ديوان الحماسة ، تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون ، القاهرة لجنة التأليف ١٩٥٢ م .
المرصفي :
سيد بن علي ت
رغبة الآمل من كتاب الكامل ، النهضة ، مصر ، ١٩٢٧ م
المعري :
ابو العلاء ت ٤٤٩ هـ
شروح سقط الزند ، تحقيق طه حسين واخرين .
ابن منظور :
ابو الفضل جمال الدين بن مكرم ت ٧١١ هـ
لسان العرب
الميداني :
ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم النسيسابوري ٥١٨ هـ
مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مصر ، السعادة ط٢ ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .
نزهة الأبصار بطرائف الاخبار والأشعار .

عرض الكتب

تاريخ مدينة دمشـــق

وذكر فضائلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها

(تراجم حرف العين المتلوّة بالألف من «عاصم» الى «عايذالله»)

تصنيف الإمام ابن عساكر، وتحقيق د . شكري فيصل

(من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق)

٩٦٧ صفحة من القطع الكبير : – مقدمة المحقق ٣٠ ص + ١٣ الرموز وأنموذجات أصول الكتاب المخطوطة + ٥٢٧ المتن + ٤١٨ الفهارس العامة + ١٢ مراجع التحقيق + ٩المستدركات والتصحيحات

مصنّف هذا التاريخ العظيم هو أحد أفراد الدهر في عصره بعلمه وبحثه وبُعد مطارح همّته ، ومن أعاظم المحدّثين المؤرخين الذين يُعَدُّون مِئِينَ . . نشؤوا تحت جناحي العروبة والإسلام ، ونَعِمُوا بفضائلهما وخيرهما ، وكان لهم منهما في تربيتهم مَدٌّ فيّاض متدفق ، سما بهم إلى معالي الأمور ، ووصل آفاقهم النفسية والذهنية بآفاق العلم والمعرفة ، فتبحّروا في الرواية والدراية ، حتى صاروا قِمماً في العلم والحصافة وقوة المدارك ، ثم انبعثوا إلى العطاء الثرّ مما اكتسبوه من ذلك ، فألّفُوا التآليف الروائع وأبدعوا ، وملؤوا الدنيا علماً ، وكتبوا في كل ما اهتدت اليه عقول البشر من الثقافات والعلوم والفلسفات والآداب والفنون ، وأضافوا إليها الشيْ الكثير الغزير من مبتكرات عقولهم الناضجة الحصيفة ؛ وأُحصِيت العلوم والفنون التي ألّفُوا فيها خمسَ مئة ضربٍ عَدّاً ، وكان الواحد منهم يعدل ألف عالم من علماء الأمم فيما قدّم من تآليف حِسان خوارق . ومَرَدُّ ذلك إلى أنّ الناشئ منهم كانوا ينشّؤونه منذ نعومة أظفاره على الجِدّ والطموح والبحث والنظر والحفظ والتفكير في شؤون دينه ودنياه ، ويُعِدّونه للقيادة العلمية والعقلية ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، فيثيرون فيه الهمة للاغتراب والرحلة إلى الآفاق شرقاً وغرباً للتزود من العلم والتبحُّر فيه بلقاء الشيوخ الكبار ومذاكرتهم والاقتباس من علومهم وأفكارهم ، ثم يعود الى وطنه بعد سنين طوال من الطواف في البلاد ، وقد فاض وِطابه ، واتسعت مداركه وتعمقت ممّا اكتسب وأوعى وأوعب من زاد العلم ومن تجارب الحياة في الاغتراب والتثقّف بكدّ الذهن والمذاكرة

والمفاحصة . وهذا سلوك عجيب ، قد انقطع العهد بمثله ، فلا نعرف اليوم رجلاً كصاحب هذا التاريخ العظيم ، وهو واحد من أنداد له كثيرين في تاريخنا العلمي ، رحل السنين الطوال من مثل دمشق الفيحاء ذات الغُوطة الغنّاء والخضرة والماء والأفق السمح الجميل ، مطوِّحاً بشبيبته الغَضّة في اقتحام السهول والوعور ، وعيشه على الخبز القَفَار ، وآلتُه الناقة وليست السيارة أو الطيارة ، وهو يجوب بلاد الشام والعراق والجزيرة والحجاز ، ويمضي الى أقاصي الشرق الإسلامي ، ويسمع — بمكة ومِنىً والمدينة والكوفة وبغدادَ (في نظاميّتها الشهيرة) وأصبهان ونيسابور وهراة وسرخس وأبِيوَرْد وطوس والرّيّ ومرو الشاهجان وزنجان — من ثلاث مئة وألف شيخ ، وزَيْد على ثمانين شيخة من فضليات العالمات المسلمات . ثم عاد إلى وطنه ، وهمّه كله لا في التنفُّج وصيد المال ، ولكن في إفادة الناس مما اكتسب من علم وتجارب في عفة بالغة ، وتواضع جَمّ ، ووفاء للأهل والأصحاب والأمّة والوطن ، ومسعى دائبٍ في إشاعة الفضائل وصالح الأعمال في تجرُّدٍ غَرَسَه الإيمان ، فارتفع به الى المنازل الرفيعة ، وأصاب به حظه من القدر والجلال . ولولا هذه الخلائق ، ما استطاع الحافظ ابن عساكر أن ينال هذه الرفعة في دينه ودنياه ، ويؤلف في عمره الذي لم يتجاوز الثانية والسبعين ١٤٣ مصنفاً . . منها هذا التاريخ العظيم ، ومعجم الصحابة ، ومعجم الشيوخ والنبلاء ، ومعجم النِسوان ، وقد كتب ما كتب بأمانة المؤرخ وصدق المحدِّث مع غزارة المادة وجودة النظر والتثبت والإتقان . وقد بلغ تاريخه هذا ثمانين مجلدة ، كل مجلدة تسع مئة صفحة كبيرة ، ألفه على شرط المحدثين بالسند والرواية ، التزاماً للصدق وخروجاً من العُهْدَة ، وأتى فيه بالعجائب ، فكان شاهداً على علوّ كعبه في التاريخ وأصالته ، كما كان شاهداً على صدقه وأمانته . ومن هنا كانت قيمة هذا التاريخ العظيم قبل ضخامة حجمه وامتداد أبعاده وغزارة مادّته . وظاهر دلالةِ تسميته (تاريخ مدينة دمشق) أنه تاريخ خاص بمدينة بعينها ، ولكنه في حقيقة أمره — كما لاحظ الباحثون ومنهم محقق هذه المجلدة الفاضل — «تاريخ حضاري وثقافي لهذه البلاد التي انتشر فيها الاسلام ، وسادت العربية ، وانساحت فيها مهاجرة العرب المسلمين بين أقصى الشرق فيما وراء النهر وبين أطراف المحيط . . ثم يجاوز ذلك ليكون على امتداد الوطن الإسلامي والثقافة

الإسلامية . . ويمتد في الزمان ليسجل أطرافاً من تاريخ العرب قبل الإسلام ، ثم يكون تاريخاً للسيرة النبوية والعصر الراشدي والخلافة الأموية في دمشق وفي الأندلس والخلافة العباسية والدويلات الى آخر أيام المؤلف ٥٧١ هـ . ويمتد عمقاً فيتناول روح التاريخ حين يقدم المادة الأولية الغنية لرصد حركة الحضارة ديناً وشريعة وثقافة وفكراً»[1].

وهذا أسلوب في تدوين التاريخ ، اصطنعه المؤرخون المحدثون قبل ابن عساكر بأزمان، ومنهم : القُشَيْري في تاريخ الرَّقّة ، والحاكم في تاريخ نيسابور ، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ، وحمزة السَّهْمي في تاريخ جُرجان ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . وتاريخ الخطيب البغدادي أوسعها رقعةً على الإطلاق ، ومؤلفه الإمام الحافظ المؤرخ العظيم من أقربهم الى الحافظ ابن عساكر زماناً ، إذ كانت وفاته في سنة ٤٦٣ هـ ، وهو قد جعل مفتتح تاريخه العظيم خطط بغداد ، وساق بعد ذلك التراجم ، فألّف الحافظ ابن عساكر تاريخه على نَسَقه ، وأبَرّ عليه في توسُّعه في خطط دمشق وما إليها ، وفاقه في ترتيب التراجم . وقد قدِّرت المدة التي سلخها في تأليفه بنحو ثلاثين عاماً ، وقال فيه حافظ مصر عبدالعظيم المنذري ، مستعظماً شأنه وقد وقف على جزء منه : « ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه ، وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبُّه » . . قال القاضي المؤرخ الكبير ابن خلكان : « ولقد قال (أي الحافظ المنذري) الحقَّ . ومن وقف عليه ، عرف حقيقة هذا القول ، ومتى يتّسع الوقت للإنسان حتى يَضَع مثله ؟ وهذا الذي ظهر (أي من هذا التاريخ) هو الذي اختاره، وما صَحَّ له هذا إلا بعد مُسَوَّدات ما يكادينضبط حصرها ، وله غيره تواليف حسنة وأجزاء ممتعة » .

هذا الكنز العظيم ظل مخفياً في خزائن الكتب إلى أوائل هذه المئة الرابعة عشرة الهجرية فيسَّرَ الله له الشيخ عبدالقادر بدران رحمه الله ، وقد وجد منه نسختين سقيمتين في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فهذبه بحذف أسانيده واختصار أخباره ، وطبع من هذا التهذيب خمسة أجزاء ، ثم نُشر منه بعد وفاته جزءان ، فكان للباحثين مدد أيّ مدد

---

(١) مقدمة التحقيق .

من هذا التاريخ الجليل ، وظلت النفوس مشرئبّة إلى باقي أجزائه ، فلم تنشر حتى اليوم . فلما أسِّس (المجمع العلمي العربي) بدمشق في (١٩١٩ م) ، تسامى رجاله إلى نشر تاريخ ابن عساكر في صورته الأصلية محققاً تحقيقاً علمياً ، ولم يرتضوا نسختي المكتبة الظاهرية ، فطفقوا يبحثون عن نسخه المخطوطة في خزائن الشرق والغرب جاهدين في الحصول على مصوراتها ، وهو أمر عسير على طالبيه ، وقد استغرق هذا سنين طوالاً ، حتى اذا كانت سنة ١٩٥١ م التمعت أُولى نتائج مساعيهم في نشر المجلدة الأولى منه في مثال رائع من التحقيق والطباعة ، وقد وفيتُها حقها من النقد والتقريظ في هذه المجلة (م٤/ج ١) ، ثم نشر القسم الأول من المجلدة الثانية في سنة ١٩٥٤ م وقد تضمنتا خطط دمشق ، ووصف مسجدها الجامع ومساجدها الأخرى، وذكر أبوابها ، وقلعتها ، ومدارسها، وميادينها ، وأسواقها ، وحماماتها ، وأنهارها وقنيّها ، وطواحينها ، وبساتينها ، وكنائسها وأديرتها ، والقُرى من حولها ، ونشأة دمشق ، وبناءها ، وفتوحها ، وأخبارها قبل الإسلام . ثم وقف النشر إلى سنة ١٩٦٣م فظهرت فيها المجلدة العاشرة منه وقد تضمنت التراجم المبدوءة بحرف الباء والتاء وبعض الثاء ، ويلاحظ أن هنالك ثغرة واسعة بين هذه المجلدة وما سبقها ، وقد اعتذر المجمع في تقديمه هذه المجلدة من ذلك بأنه « وزع من هذا التاريخ أقساماً في نخبة من العلماء ، فاعتذر فيما بعد من اعتذر منهم » لتعدد نسخه وغموضها وعسر قراءتها ، ووعد بأنه سيسعى جاهداً لسدّ هذه الثغرة . ويظهر أن العلة ما بَرِحَتْ صعبة الإبراء ، بدلالة انقطاعه عن مواصلة نشره ، ولو أجزاء غير متصلة ، حتى سنة ١٣٩٧هـ—١٩٧٧م فظهرت فيها هذه المجلدة ، أي بعد مرور أربع عشرة سنة على ظهور المجلدة العاشرة ، والعمل في تحقيق هذا التاريخ صعب جداً ، والذين يستطيعون أن يضطلعوا به قد ندروا، ولا إخال من يُقبِل عليه إلا مغامراً جريءَ القلب وصابراً محتسباً وله الكِفاية والكفاءة .

وقد تضمنت هذه المجلدة ، التي لم توسم برقم ، خمسة وستين ترجمة من تراجم حرف العين المتلوَّة بالألف من «عاصم » إلى«عايذالله » ، لرجال مشاهير امتدت رقعة أزمانهم من عصر ما قبل الإسلام الى المئة السادسة الهجرية ، وفيهم الفرسان والشعراء المذكورون من عصر ما قبل الإسلام وعصر ما بعده ، ونفرٌ من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وآخرون من التابعين ، ومن أصحاب القراءة القرآنية ، والقضاء ، ومن أهل الزهد ، ومن أهل الفتك وإيقاد الفتن الداخلية في بلاد الشام . وقد اختلفت تراجم هؤلاء طولاً وقصراً ، كما اختلفت في سماتها وصفاتها وأحوالها ، وجملتُها تمثل جوانب من التاريخ العربي الإسلامي في السياسة والحرب والعلم والأدب والسلوك ، وفيها موادّ غنية تمدّ المؤرخين . ومن التراجم الحافلة في هذه المجلدة ترجمة عامر بن مالك أبي براء المشهور بملاعب الأسنة (٤٣٨ — ٤٥٢) ، وترجمة المجاهد الفاتح أبي عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح أمين الأمة وأحد العشرة المبشرة بالجنة (٢٥٣—٣٢٢) ، وترجمة عامر بن واثلة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخر أصحابه موتاً مات بمكة في سنة مئة للهجرة (٤٥٧ — ٤٨٠) ، وترجمة عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (٤٢ — ٥٩) ، وترجمة العاص بن سهل بن عمرو بن عبد شمس أبي جندل العامري القرشي (٩١ — ١٠١) ، وترجمة عامر بن ربيعة بن كعب ابن مالك أحد المهاجرين الأولين (١١٤ — ١٣٢) ، وترجمة عاصم بن بهدلة بن أبي النّجُود الكوفي صاحب القراءة المعروفة (٣ — ٢٦) ، وترجمة القاضي الشعبي عامر بن شراحيل نادرة زمانه في الحفظ والعلم بالقضاء والظرف المستملح (١٣٨ — ٢٤٧) ، وترجمة عامر بن عبدالله المعروف بابن عبد قيس البصري الزاهد العجيب الأحوال (٣٢٣ — ٣٧٠) ، وترجمة عامر بن عمارة بن خريم أبي الهيذام المُرّي زعيم قيس في الفتنة التي نشبت بين قيس واليمانين بدمشق في أيام الرشيد (٣٩٣ — ٤٢٦) ، وترجمة عامر بن لُدَيْن الأشعري الأردني القاضي التابعي الثقة (٤٢٩ — ٤٣٣) ، وترجمة عامر بن عبدالله بن قيس أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري ، التابعي الفقيه (٣٧١ — ٣٩٢) ، وترجمة عايذالله بن عبدالله أبي إدريس الخَوْلاني قاضي دمشق أيام الخليفة عبدالملك بن مروان (٤٨٥ — ٥٢٥) ، وغيرهم .

وقد اضطلع بتحقيق هذه المجلدة عالم فطين وقدير على تذليل الصعب وتيسير العسير ، وهو صديقي الدكتور شكري فيصل عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وأحد أركانه ، وأشرك معه — إذ هو صاحب أسفار وحمّال أعباء في المؤتمرات والمعاهد — سيدتين فاضلتين وثلاثة أساتذة . وأشهد أنهم اقتحموا ما يهرب منه الشجعان القادرون ، وعَنَوْا

أنفسهم تعنيةً بالغة في قراءة خطوط هذا التاريخ العسرة المُعَمّاة ، ومقابلة مخطوطاته العديدة بعضها ببعض ، حتى كشفوا الغوامض ، وقد صبروا عليها صبر المجاهدين المحتسبين ، وراءهم البحر وأمامَهم العدوُّ ، فإمّا الشهادة وإما الظفر ، وكان لهم حسن العقبى .

وقد أقيم هذا التحقيق على القواعد التي وضعت للمجلدة الأولى من هذا التاريخ فعُنِيَ بايراد اختلاف النسخ وإثبات ما صح منها على ما يؤدّي اليه الاجتهاد ، ووضعت شروح كثيرة على طوائف من أسماء الاعلام والمدن والألفاظ الغريبة غير المأنوسة . وأُوجزت التعليقات في كل ذلك كما تقتضيها طبيعة الكتاب ، وضبط كثير من الألفاظ ، ووضعت النقط والفواصل والأقواس المتنوّعة وإشارات الاستفهام والتعجب لتوضيح النص ، ورقمت السطور لتسهيل المراجعة ، ومُيّز المتن عن الأسانيد بالحروف ليقع النظر عليها بلا جهد ، ثم حُفّ من جانبيه بمقدمة للمحقق بارعة ، وبخمسة عشر فهرساً ، وخُتم بالمستدركات والتصحيحات إمعاناً في تقويم النص وحرصاً على توثيقه وأداءً للأمانة ، فكان ذلك غاية المطاف في الإحسان إلى هذا التاريخ ، وإنه لمجهود كبير خليق به الإكبار والإعجاب .

وإذْ لم يجد المحقق الفاضل وأصحابه غَضاضَةً على أنفسهم ، أن يثبتوا تلك المستدركات والتصحيحات ، فلن يغُضّ من علمهم وعملهم في هذا التحقيق البارع الدقيق كذلك أن تورد أمثالها من «فوائت» نَدَّتْ عن الذهن المتوقد اللماح ، أو تجاوزتها الباصرة عند التصحيح ، ولم تنشأ من قصور في العلم أو قلّة بصر بالتحقيق . . ذلك ظنٌّ بعيد . ولطالما وقع أمثاله لأجلّة العلماء فيما ألّفوا أو حققوا ونشروا ، ولم يسلم لهم ما حرصوا على سلامته ، ولم ينجهم علمهم وحدّة أذهانهم وحذرهم وتوقّيهم من التورط فيما يتجهمون له من الغلط ، ويحرصون على استبعاده . وهيهات أن يسلم مؤلف أو محقق ولا سيما مع عُقَد الطبع ومشكلاته ، ولم يغضّ الاستدراك عليهم من أقدارهم في العلم .

وإني مورد من هذا « الفوات » أشياء أراها يسيرةً بجنب ضخامة هذا العمل وتجويده ، فاذا حالفني فيها السّداد فذاك ، وإلا رجوت التعقيب على ما أُثبِت من

ذلك ، رفعاً للخطأ ، وأداءً لأمانة العلم ، ولأتعلّم وأنتفعَ ، ويتعلّمَ وينتفعَ غيري كذلك ، والله تعالى من وراء القصد .

١ – فوات النّصّ :

في ص ٢/س ٦ : « وهو أعزب » . وفي دواوين اللغة : « رجل عَزَبٌ ، لا أهل له ، ورجلان عَزَبانِ ، ورجال أعزابٌ ؛ وامرأة عَزَبَةٌ وعَزَبٌ : لا زوج لها . . ، ولا يقال : رجل أعزب ، وأجازه بعضهم » وأقول : إن كانت هذه الإجازة من هذا « البعض » قائمة على السماع من الفصحاء فذاك ، وإلا فلا ، لأن « الكثرة » على المنع .

وفي ١٤/٣٤ : « يا بن أخي » بإسقاط همزة « ابن » ، وحقّها هنا أن ترسم ، وقد تكررت نظائرها كثيراً فلا أذكرها بعد .

وفي ١/٦١ : « كان عمر يَوْمَّ الناس في جُبّة وِشاحٍ ليس عليه إزار » كذا بإضافة « جُبّة » إلى « وِشاح » ، ولا أرى العبارة تستقيم ، ولعلها : « في جُبّةٍ وَوِشاح » بعطف « وِشاحٍ » على « جُبّة » ، ومن معاني الوِشاح – غير معناه المشهور المتعارف – : السيف ، والقوس ، فليتأمّلْ .

وفي ٩/٦٢ :

إذا حزنت أمور القوم ولّى ويأتيهم إذا كان الرخاءُ

و « حَزَنت » هنا تصحيف : « حَزَبت » بالباء الموحدة ، يقال : حَزَبَ الأمر يَحْزُبُ حَزْباً ، إذا اشتدّ ، وحَزَب الأمر القومَ – مُعَدّى : نابَهُمْ واشتدّ عليهم ، وهو يقابل « الرخاء » في آخر البيت مقابلة تَضادّ .

وفي ٥/٧٤ :

إنّي لكافٍ حافظ غير خاذل عشيّة دلّاها وديعةُ في اليمّ

في البيت خَرْم ، وهو إسقاط حرف من أوله ، وحقه : « وإني لكافٍ.. » ، وقد كان يحسن التنبيه عليه .

وفي ٧٤ / ٦ :

فخلّيته والقوم لمّا رأيتُهم بدومةَ يحشون الدماق من الغَمّ

وقد علق في الحاشية على « الدماق » : « لا تتضح اللفظة في ب ، وما هنا عن

س ، وفي ع : يحسون الدماء ، وفي ر : يحشون الدماق ، وفي م : يحشون الرماق »، ولم يعيّن الصحيح من هذه الروايات المختلفة ، ليعرف المعنى ، ولعلّ القريب الى الصواب : « يَحْسُون الدِّماءَ » أي يشربون الدماءَ من الغَمّ الذي حلّ بهم ، وأصل الحَسْو للطائر ، وهو كالشرب للإنسان .

وفي ١٣/٨٥ :

غداةَ أتانا عاصم بجنوده   وقد عبّأَ الجُبْنا حماةَ الكتائب

يبدو أن « الجُبْنا » في البيت موضع بعينه ، وليس في أسماء المواضع في أرض الشام بلد أو موضع يطلق عليه هذا الاسم ، وأرى اللفظ قد تَحيّفته آفة التصحيف ، وأصله « الجِنْثاء » ، وقد قصره الشاعر اضطراراً ، وهو فيما قال ياقوت صقع بين دِمَشْقَ وبَعْلَبَكَّ .

وفي ٢/٨٦ :

وأخرجكم عن رِيفنا إن تطاولت   حياتي قليلا أو تسيل رواحبي

كذا رسمت « رواحبي » بالحاء المهملة ، ولم تفسر لتعرف ، وهي أيضاً قد تحيّفتها آفة التصحيف ، وصوابها : « رَوَاجِبي » بالجيم ، والرواجب في أحد تفاسيرها : مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأناملَ ، أراد : تسيل دماء رواجبه نَزْفاً .

وفي ١٦/٨٩ :

« كان عندنا بأطرابُلُسَ رجلٌ يعرف بعاصم ، ويكنى أبا علي ، فتوفي ، فرأيته في النوم ، فقلت : إيش حالك يا أبا علي ؟ فقال : إنّا لا نُكْنَى بعد الموت . ولم يجبني بغير هذا . فقلت له : إيش حالك يا أبا عاصم ؟ وإلامَ صرتَ ؟ فأجابني . . » ، قلت : إن صواب « يا أبا عاصم » : « يا عاصمُ . . » ، فذلك هو اسمه الّذي ناداه به ، فأجابه ، بعد أن امتنع عن إجابته حين ناداه بكنيته : أبي علي .

وفي ٩/١٠٤ :

« أمّا جِنّي فهو أبو الفتح عثمان بن جني » ، والصحيح : « أما جِنّي فهو أبُو أبي الفتح عثمان بن جني ، أو والد أبي الفتح . . » .

وفي ١٤/١٨٤ : « وأَحِبَّ من رأيته يعمل بالخير وإن كان أخرمَ سِنْدِيّاً . . » كذا

رسمت « بالخير » بالياء المثنّاة التحتيّة، وسياقها في النّصّ يقتضي رسمها بالباء الموحدة « بالخَبَر » ، أي الخَبَر عن رسول الله صلّى الله عليه وسَلّم ، ذلك أنّ الكلام في النّصّ هو على أهل الأهواء والبدع من المرجئة والحروريّة والقدريّة وغيرهم ، فهو – أي المتكلم – ينهَى مُخاطَبَه عن متابعتهم ، ويحضّه على اتّباع السنة النبوية الصحيحة . ويعضده قوله في عبارة أخرى سبقت (س ٩) : « واعمل بالقرآن ، ولا تكن حَرُورِيّاً » .

وفي ١٥٨/٢٠ :

أنشأت تنطق في الأمو ... رِ كوابد الرَّخَم الدوائرْ

وقد علّق في الحاشية على الشطر الثاني بأنه « في ديوان الشاعر (وهو الكميت) : كوافد الرَّخَم المداور » ، وتُرِك « وابِد » فما صُحح ولا فسِّر ، وهو اسم فاعل من قولهم : وَبِدَتْ حال الرجُلِ تَوْبَدُ وَبَداً ، إذا ساءت حاله من كثرة العيال وقلّة المال . وهذا المعنى ليس له موضع في سياق البيت . وكذلك « وافد » في رواية الديوان ، فانها قلقة فيه ، وليست ذات دلالة مقبولة . ولعلّ أقرب شيْ إلى صحة هذا اللفظ ، هو « آبِد » ، أي متوحش ، وهو مما يوصف به الرخم ونحوه من الطيور الجوارح ، وجمع «آبد» : أوابد ، وقد تكون ألفها حرفت كافاً .

وفي ٨/٢٠١ : « ورأيت عنده ابناً له ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إني لأذكر به ما قال الشاعر . قال : وما قال ؟ قلت :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ ... مُستَقبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمامْ » .

والوجه : « قلتُ : قال (أي الشاعر) : هذا غلام . . . » .

وفي ٥/٢٠٢ : «قال : الحمدلله الذي ظَفَّرَني بك ، ياشعبيُّ» ، والصحيح : «أظْفَرَني بك» .

وفي ٢٠٥ / ١٠ :

مَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ الناسُ أمْرَهُ

ومَنْ يَغْوَ لايَعْدَمْ على الغيّ لائمـا

في هذا البيت خَرْم ، لم ينبه عليه ، وقد تقدم في ١٣/٢٠٣ غير مخروم ، ونصّه : « فمَنْ يَلْقَ خيراً . . » .

وفي ١٠/٢١٠ :
« وتحلّسْنا الخوفَ » ، وقد كتب في التعليق على الفعل : « في ع : استحلسنا » ، ولم يبين أيّهما الصحيح في سياق النص ، إذْ كان التحلّس غير الاستحلاس . ففي معاجم اللغة : « ما تحلّس منه بشيْ ، وما تحلّس شيئاً : أي ما أصاب منه ؛ وتحلّس فلان لكذا وكذا : طافَ له وحام به ؛ وتحلّس بالمكان وتحلّزَ به إذا أقام به » . أما الاستحلاس ، فهو مصدر استحلس فلانٌ الخوفَ ، إذا لم يفارقه الخوفُ ولم يأمن . وهو ما أراده الشعبيّ في اعتذاره الى الحجاج حين عاتبه في خروجه مع ابن الأشعث فأجابه الشعبي : « إنا قد استحلسنا الخوفَ واكتحلنا السهر . . » ، وقد ذكر ابن منظور في « لسان العرب » عبارته هذه في (ح/ل/س) وفسرها بما ذكرتُ .

وفي ٢٢٤ / ١٦ : « قال عبدالملك : فما صنعتَ به يا شعبي ؟ قال : أوجعت ظهره حين جَوَّرَني في شعره » ، وقد علّق في الحاشية على « جَوَّرَني » بأنها : « كذا في صل ، وفي باقي النسخ : جوز بي » ، وبقوله« كذا في صل » ما يشعر بعدم ارتضاء ما في هذه النسخة ، وكأنّ « جوز بي » التي في النسخ الأخرى هي المرتضاة ، والعكس الصحيح ، وهو الوجه في كلام الشعبي ، وقد أراد أن الزوج الذي قضى عليه لامرأته عند اختصامهما اليه ، قد نسبه الى الجور حين سيّرَ فيه أبياته المشهورة :

فُتِن الشعبيُّ لمّا رفَعَ الطرفَ إليهـا

وقد زعم فيها أنه إنما قضى لامرأته ودانَهُ ، لأنه قد فُتن بما أبرزته له من جمالها الباهر.

وفي ١٢/٢٢٨ : « لا تستبدلَنّ صديقاً قديماً بصديق حديث ، فانه لا ينصحك» ، وأراه : « لا تستبدلَنّ صديقاً حديثاً بصديق قديم . . » ، ذلك أن الباء مع « استبدل » إنما تدخل على المتروك ، وهوهنا الصديق القديم ،فهو ينهاه أن يهجره الى صديق حديث ، لأن الصديق الحديث لا ينصحه .

وفي ٢٣٤ / ٨ : « . . قال : عندنا دَنٌ مكسور ترفوه لنا ، قال : إن هيأتَ لي سُلُوكاً من رمل رفيت لك دَنّك . قال : فضحك الشعبي حتى استلقى » . قلت : قوله « رفيت لك » خطأ ، صوابه « رفوت لك » ، ألا يرَى كيف قال أوّلَ مرّة « ترفوه » ؟ والعرب لم تقل في هذا الفعل « رفَى الثوب يرْفيه » ، وإنما قالت : رَفَوْتُه أرْفُوهُ

رَفْواً ، ورَفَأْتُه أَرْفَؤُهُ رَفْأً ، ولغة الهمز أعلى فيما حكى رُواة اللغة .

وفي ٢٣٨ / ١٩ : « كثير العلم ، عظيم الحلم ، قديم السلم ، من الإسلام بمكان . » قوله « قديم السلم » محتمل الصواب ، وأصوب منه « قديم السِّنّ » بآية ورود العبارة مكررة ثلاث مرات في حديث عبدالله بن سوار عن أبيه (في ٢/٢٣٩ و ١٢ و ١٤) : « إن كان لقديم السنّ ، كثير العلم ، وإنه من الإسلام بمكان » .

وفي ٢٤٨ / ١٦ : « في تسمية عمال مروان بن محمد سجستان » ، والصحيح : عمال مروان بن محمد على سجستان .

وفي ٣٠٨ / ١٥ : «دَوابّاً » ، وقد كتب في التعليق« كذا في الأصول كلها . »فأقرّت ، ولم تذكر صحتها . وهي « دَوَابَّ » بحذف تنوين الفتح.وقد كان لزاماً أن يُثبت الصحيح في المتن ، ويشار في الحاشية إلى الخطأ الذي ورد في الأصول .

وفي ٣١٥ / ٩ : « إن الأردُنّ أرض عمقة . » كذا رسمت « عمقة » بالعين المهملة ، وهي تصحيفُ « غَمِقَةٌ » بالغين المعجمة ، ومعناها: كثيرة المياه وطيبة الهواء .

وفي ٣٢٥ / ١٣ : «عمل فمن بفرائض الله .» والصواب: « فمن عمل بفرائض الله» ، وهو من تخليط المطبعة ، وقد تجاوزه النظر ، أو أهملت المطبعة تصحيحه .

وفي ٣٣٢ / ٥ : «فقيل له : إن هاهنا رجلٌ ..» وصوابه: «رجلاً» اسم «إنّ» ، متأخر .

وفي ٣٣٤ / ١٠ : « فقالوا : من أنت ؟ فقال : والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم لتقرظوني . » كذا بالتاء في « لتقرظوني » ، والصواب : « ليقرظوني » ، وبه يتضح وجه مراده ، فهو يقول في امتناعه عن تعريف نفسه لهم: «لا أخبركم لتحمدوني ، ولا أخبر غيركم ليقرظوني . » فالجملة الأولى للمخاطبين ، والثانية للغائبين . وبما ذكرتُ جاء هذا النص نفسه في تاريخ الطبري ٢٤٤٩/١ «ليدن» و ١٩/٤ ط «دار المعارف» بالقاهرة .

وفي ٦/٣٤٠ : « إن النار منع النوم مني » ، والنار من المؤنثات السماعية ، ولا يعرف تذكيرها ، فالصواب : « منعت » كما تكررت صحيحة في س ١٨ : « إن النار قد منعتني من النوم » ، وفي ١٣/٣٥٥ : « وتُتّقى النار بدون ما تصنع » .

وفي ٣٤٥ / ١٥ : « إن هذه الأجَمة يخاف عليك فيها الأسد.» وقد علق على هذه العبارة في الحاشية : « في د : منها » ، ومؤدى هذه الإشارة أن العبارة في د هي :

أن هذه الأجمة يخاف عليك منها الأسد » ، وهي غير سديدة أيضاً ، وصوابها : « . . يخاف عليك منها ، فيها الأسد » .

وفي ٣٨٠ / ١٢ : « فعزله حجاج » أي الحجاج بن يوسف الثقفي المشهور ، واسمه محلّى بـ « ال » ، ولا يذكر إلا مقروناً بها . وقد تكرر بعد على لصواب .

وفي ٣٨٩ / ٤ : « قال عمر بن عبدالعزيز لأبي بُرْدَةَ : كم أتى عليك ؟ قال أشُدّانِ : ثمانين سنة .» والصحيح : ثمانون سنة ، تفسير « أشدّانِ » ، وهو مرفوع .

وفي ٣٩٦ / ١٠ : « فاستنجدت العَينُ قضاعةَ وسليح . . » ، والصحيح : وسليحاً ، وهو اسم قبيلة يمانية ، مصروف .

وفي ٣٩٨ / ١٣ : « قرية تسمى كوكبا الى جنب داريّا . » وصحيح رسم كوكبا (كَوْكَبَى) بوزن فَوْعَلَى ، ذكر ياقوت أنّها « موضع » ، ولم يعين موقعه ، ثم ذكر بيتاً للأخطل شاهداً له ، وقد أفادنا الحافظ ابن عساكر ، بوصفها بأنها قرية ، وتحديده موقعها بجنب داريّا ، جديداً يستدرك على ياقوت .

وفي ٤٠٠ / ١٩ : « ما على أبي الهيذام سبيل إلا أن يظلمه » ، لعله : ما على أبي الهيذام سبيل أن يظلمه .

وفي ٤٠٤ / ٢ : « فعسكر عند قصر الحجاج من موقف الإبل إلى مضمار أهل دمشق . » ، والصحيح : قصر حجاج ، بتجريد حجاج من « ال » ، وهو غير الحجاج ابن يوسف، قال ياقوت : « قصر حجاج : محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب الى حجاج بن عبدالملك بن مروان » ، وقد نسب ياقوت القول الى الحافظ أبي القاسم ، وعني الحافظ ابن عساكر مؤلف هذا التاريخ .

وفي ٤٠٤ / ٣ تمام العبارة السابقة : « فأوقد أبو الهيذام على مانع خلاطه ، وهو جبل، وأوقد أهل اليمن على جبل دير مُرّان. » وقد تكررت عبارة(مانع خلاطه)في ٤٠٧/ ٢٧ وذكرت (خلاطة) منقوطة الهاء في فهرس الأماكن (ص ٩٢٩) ، وقد عُرّف « دير مُرّان » في التعليق ، وتُرِك « مانع خلاطة » ، وصيغته غريبة ، لم أجدها في كتاب ، وأراها محرفة عن لفظ لم أتبينه ، وأهل دمشق أدرى بمواضع غوطتها الغناء وما يحف

بها من جبال من بعيد ، حفّها الله بلطفه !

وفي ٤٠٩ / ١٤ : « عادوا الى دحوارة . » والصحيح : عاد إلى حوارة ، بتجريد الفعل من واو الجماعة ، و دحوارة صححت في فهرس الأماكن (ص ٩٢٣) بـ « حوّارة » ، وقد ذكرت في المتن مع جملة قرى في الغُوطة ، ولم يذكر ياقوت في رسم الحاء قرية في الغُوطة يقال لها « حوارة » ، فاذا صح النص في هذا التاريخ ، كانت من المستدرك عليه .

وفي ٤١٠ / ٣ : « فدس إسحاق قوماً لينْشبوا الحرب » ، وأراه : ليَشُبُّوا الحرب أو : ليُشبُّوا الحرب ، أي ليُوقِدوها ، والعرب تقول : شبَّ النارَ والحرب يَشُبُّها شَبّاً وشُبُوباً ، وأشبّها يُشبُّها إشْباباً . وجاء في كلامهم : نشبت الحرب بينهم نشوباً ، بمعنى اشتبكت .

وفي ٤١٥ / ١٤ :

لم أرَ كالهيْذامِ في الناس فارساً صَريحاً ولا عَبْداً شَبيهاً بِسابِقِ

وفي هذا البيت خرّم ، ولم ينبه عليه .

وفي ٤١٩ / ٢ و ٣ :

« لما رَأيْتُ حُماةَ القَوم قد دَلَفُوا
وقَدّمُوا رايتَيْ عَنْسٍ وخَولانا
وجالتِ الخَيْلُ أمْ كادَت تجولُ بنا
نادَيتُ مستنجداً : يا قيسَ عَيْلانا . »

والصواب : وجالتِ الخيل ، أو كادَتْ تجولُ بنا . . إذْ ليس هذا موضع « أم » المعادلة . وبعد هذا البيت :

فخذّموهم بأسياف مُفَلّلَةٍ وراثةً عن أبينا الشّيْخِ عَدنانا

وقد علّق في الحاشية على قوله : « فخذّموهم » بأنه : « كذا في صل ، وفي باقي النسخ : فجاوهم » . والتعبير بأنه « كذا في صل » يشعر بأنه غير صحيح ، وكان يجب تفسيره بعد إقراره ليفهم معناه ، وهو التقطيع ، ويشار الى فساد ما في باقي النسخ . تبقى عندنا لفظة « مُفلّلَة » التي وُصِفَتْ بها الأسيافُ ؛ وضبطت بما يشير إلى أنها اسم مفعول ، والأسياف المُفَلّلَة لا يتأتّى بها التقطيع ، فهي إمّا أن تضبط بصيغة

اسم الفاعل « مُفَلِّلَة » ، فيكون المعنى : مُفَلِّلَة لجموعهم ، أي مفرِّقة ومشتِّتة ، مضعّفُ فَلَّ القومَ يَفُلُّهم فَلاًّ ، إذا هزمهم ، فانفلّوا ، وهم قوم فَلٌّ : منهزمون ، وكتيبة فُلَّى : منهزمة . وإمّا أن تكون « مُعَلِّلَة » ، أي مُرَوّاة من الدماء : دماء قتلاها ، مضعّف عَلَّه يَعُلُّه إذا سقاه تباعاً . هذا أصله ، ثم استعمل في مثل هذا المعنى ونحوه .

وفي ٤٢٨ / ٣ :

عَيْنَيَّ جُودِي دَمْعَكِ التهتانِ سَحّاً وبكّي فارس الفرسانِ

وصيغة الشطر الأول مرفوضة لغةً ونحواً . فأمّا لغةً فلأنّ الفعل « جادَ » فعل لازم ، وتكونُ تعديته بالباء ، فيقال : جاد بماله أو بنفسه أو بدمعه ، ومنه قول الشاعر العباسي : « والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود » ، وليس في كلام العرب : جادَ مالَهُ أو نفسَهُ أو دمعَهُ . وأمّا نحواً ، فلأنه يمتنع أن يكون الموصوف منصوباً وصفته مجرورة كما جاء في هذا الضبط ، والتهتان : صوابه ها هنا « الهَتّان » . وعلى هذا كلّه تكون الصيغة الصحيحة : « عَيْنَيَّ جُودِ بدمعِكِ الهَتّانِ » بإسقاط الياء من « جودي » ليستقيم الوزن ، والعرب تفعل ذلك بأحرف العلة ، الألف والواو والياء في الشعر عند الاضطرار ، ومما حذفت منه الياء في الشعر ياء « هِيَ » في قول الراجز : « دارٌ لسَلْمَى إذْ هِ من هَواكا » ، أراد « إذْ هيَ . . » .

وفي ٤٤٩ / ٥ : « ولقتل أصحاب بئر معونة » ، وقد كتب في التعليق على لفظ « لقتل » : « كذا في صل ، وفي بقية النسخ : أقبل » ، ولم يجزم بصحة شيءٍ منهما ، والصحيح : « وقَتَلَةِ أصحابِ بئرِ مَعُونَةَ » ، عطفاً على قوله « يدعو على رِعْل » في قوله : « فكان رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يدعو على رِعْل وفالج وذَكْوان وعُصَيّةَ عَصَتِ الله ورسوله — وهم كلهم من بني سُلَيْم — وقَتَلَةِ أصحاب بئر معونة » أي : وعلى قَتَلَةِ أصحاب بئر معونة . دعا عليهم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أربعين ليلة » .

وفي ٤٧٧ / ١٠ :

« لله دَرُّ الليالي ! كيف تضحكنا خطوبُ شتّى أعاجيبٌ تبكّينا »

كذا بإضافة « خطوب » إلى « شتّى » ، وهو تعبير لا يستقيم في العربية . وقد علّق عليه في الحاشية بأنه « في هامش صل وحدها : منها خطوبٌ أعاجيبٌ . » وهذا هو الصحيح الذي كان يجب أن يؤخذ به ، ويثبت في المتن ، ثم يُدوَّن التعبير الفاسد في الحاشية أداءً لأمانة التحقيق .

وفي ٤٧٨ / ٦ : « الخير من هذا قول أبي الطُّفَيْل . » ، والصواب : خيرٌ من هذا.

٢ — الشكل :

وقد استنفد شَكْلُ الألفاظ التي تحتاج إلى الضبط من المحقق ومشاركيه مجهوداً كبيراً ، وهي مئون من الغريب غير المأنوس ومن أسماء الأعلام والمواضع ، وقد تفاوتت حظوظها من ذلك ، وربما بلغت العناية بالضبط في مواضع تحريك واو العطف ومِن الجارّة ولم الجازمة ، على حين قلت في مواضع أخرى فضبطت من الكلمة حرفاً واحداً أو حرفين وتركت من الحروف الأخرى ما كانت الحاجة الى تَعَرُّفه أقوى ؛ وغيرُ قليل من هذا التخفيف خَصَّ أعيانَ الأفعال الثلاثية التي لا تعرف إلا من طريق السماع الذي أثبتته المعاجم. ومن الألفاظ ما فاتته صحة الضبط كأمثاله مما نُبِّه عليه في جدول التصحيحات ، وليست مما يَغيب عن علم المحقق الفاضل وأصحابه ، ومن الخير أن أدلّ على هذه « الفوائت » بالصورة التي وردت عليها في الكتاب ، لتضاف إلى جدول المستدركات والتصحيحات إن كانت على سَداد وصواب :

في ٩٣ / ٢ : « تَخفُقُ » تُرك ضبط عين الفعل ، وقد سمع فيه الضم والكسر ، وفي لسان العرب : «وخَفَقَهُ بالسيف والسوط والدِّرَّة، يَخْفُقُهُ ويَخْفِقُهُ، خَفْقاً» .

وفيها / ٥ :

فيَسْلَمُ المرءُ بإسلامِهِ أو يقتَلُ المَرْءُ ولَمْ يـاتَلِ

والفعلان : يسلم ويقتل، معطوفان على أفعال منصوبة في أبيات تقدمت هذا البيت.

وفي ١٠١ / ٨ : « بأجْنادين » . بضبط الجيم وحدها ، وتكرّر ضبطها كذلك في ٤٣٨ / ٩ ، وضبطه الصحيح : « أَجْنادَيْنِ » و « أَجْنادِينَ » أيضاً ، قال ياقوت : « وأكثر أصحاب الحديث يقولون إنه بلفظ التثنية ، ومن المحصِّلين من يقوله بلفظ الجمع » .

وفي ١٧١ / ١٨ : « لقيت الشعبي بالسُّدة » كذا بضبط السين وترك ضبط الدال ، وهو يوحي بأنها مخففة ، وليست بمخففة .

وفي ١٨٥ / ٢٠ : « تنطُق » بضبط عين الفعل بالضم والكسر ، والصحيح الكسر ليس غير .

وفيها ١٨ و ١٩ ضبط « المُوق » بضم الميم ، وفي ١٨٦ / ٨ ضبط « المَوق » بفتحها ، فاختلف الضبط في موضعين متقاربين . والمُوق ، بالضم : اسم للحمق في غباوة ، ومصدر أيضاً ، والمَوْق : مصدر ليس غير ، والاسم – لا المصدر – هو المتعيّن في مورد النص.

وفي ٢٠٩ / ١٠ : « فجلس ذات يوم وقد برق ، فنظرت اليه . فعرفت ما يريد . » ترك ضبط « برق » وتفسيره ، وهو يحتمل أكثر من وجه من الضبط ، ومعانيه تختلف باختلافه .

وفي ٢١١ / ٧ : «وفي ما ألفناه . .» ، واصطلاح رسم الكتابة ، الذي يسمونه الإملاء خطأ ، في رسم « في » و « ما » : هو الإدماج : « فيما » .

وفي ٢١٤ / ٢٠ : « ولا من خَزْيَةٍ أتقنَعُ » كذا بضبط النون مفتوحة مخففة ، وهي مُشَدَّدَة .

وفي ٢٢٠ / ٧ : « أن يَسْمرَ . » ترك ضبط عين الفعل ، وهو الضم .

ومن هذا الضرب في ٢٢٧ / ٩ : « لم يطلبْهُ » . وفي س ١٠ « يطلبُه » ، وفي س ١٦ « فلم يطلبْه . » فقد انصرفت العناية فيها الى الحركات الإعرابية دون الحركات الصرفية ، فلم تضبط عين الفعل .

وفي ٢٢٩ / ١٦ و ٢٣٠ / ٥ و ١٠ : « يجيئون » ، وصوابه : يجيؤون .

وفي ٢٤٩ / ١٢ : « السُّلمي » ضبطت السين وتركت اللام ، وحقها أن تفتح ، وهي نسبة إلى « سُلَيْم » .

وفي ٢٥٤ / ٣ : «جُنْدب » ، ضبطت الجيم والنون ، وترك ضبط الدال ، وهي تفتح وتضم .

وفي ٣٠٢ / ٤ : « ما من أصحابي أحد إلا وقد وجدْت عليه » ترك ضبط عين الفعل كما ترك تفسيره ، وحقها أن تفتح . تقول العرب : وجَدَ عليه في الغضب يَجُدُ ويَجِدُ وَجْداً وجِدَةً ومَوْجَدَةَ ووِجْداناً : غضب .

وفي ٣٣٥ / ٦ : « وهو على دابّة ، ورَجُلُ من أهل الذمة يُظْلَمُ ، فنهى عنه .» كذا ضبطت أحرف « رَجُلُ » جميعاً ، وهذه المبالغة في الضبط قد توحي الى غير

العارفين صحة ضبط اللام غير منونة ، وهي من السهو الذي تخطّاه النظر .

وفي ٣٤٤ / ٩ — ١٠ : « يا أهل البصرة ، أكتبوا إليَّ من كل خُمُس رجلاً من القراء أشاورْهم في أمري ، وأستعين بهم على ما وَلاني الله عز وجل . » ، وقد ضبط الفعل « أشاورْهم » بإسكان آخره على أنه مجزوم بفعل الطلب : « أكتبوا » ، ثم رسم « أستعين » المعطوف عليه مرفوعاً على أنه غير داخل في حيّز الطلب ، وكلتا الحالتين محتملة في هذا المقام ، ولكن لا بُدّ من إلحاق المعطوف بالمعطوف عليه في الحكم .

وفي ٣٦٧ / ٥ : « فمجالسة أهل الذكر ولقى الإخوان » المراد : لِقاء الإخوان ، و « لقى » غير مألوف الاستعمال ومجهول الضبط ، فحقه أن يضبط بضم أوله وفتح ثانيه .

وفي ٣٧٢ / ٦ : « ونهاني عن القَسِّيّ والميثِرة . » كذا بكسرة تحت الثاء ، وإنما هي « المِيثَرَةُ » بكسر الميم وسكون الياء وفتح الثاء .

وفي ٣٧٥ / ٨ : « فان عادَ عَدْنا لابْن طفيَةَ » ضبطت الياء والهاء في « طفية » ، وتركت الطاء والفاء ، والأولى مضمومة والثانية ساكنة .

وفي ٤٠٠/ ١٥ : « جرَش»ضبطت الراء وحدها ، وتركت الجيم، وهي تُضَمّ .

وفي ٤٠٥ / ١٠ : « نعم ونعمة عيَن» . ترك ضبط « نعم » و « نعمة » ، وضبطت « عين » ضبطاً كاملاً بفتحتين وتنوين الجرّ . وهذه الجملة ليست مأنوسة ولا معروفة في الاستعمال اليوم ، فحقها أن تضبط . « ونُعْمَةُ العين : قُرَّتها » . وهي في كلام العرب لغات : « نَعْمَ ونُعْمَ عَيْنٍ ، ونُعْمَةَ عَيْنٍ ، ونَعْمَةَ عَيْنٍ ، ونِعْمَةَ عَيْنٍ ، ونَعامَ عَيْنٍ ، ونُعامَ عَيْنٍ ، ونَعامَةَ عَيْنٍ ، ونَعِيمَ عَيْنٍ ، ونُعامَى عَيْنٍ » ومعناها جميعاً : أفعَلُ ذلك كرامةً لك ، وإنعاماً بعينك ، وما أشبهه . قال سيبويه : « نصبوا كل ذلك على إضمار الفعل المتروك إظهاره . » عن لسان العرب .و « عَيْن » فيها جميعاً ساكنة الوسط ، وإذا فتح فقيل « عَيَن » صار لها معنى آخر ، وهو العَيْبُ ، يقال : بالجلد عَيَنٌ ، وهو عيب فيه .

وفي ٤٤٦ / ٧ : « ابلِغوني مَصرَعَ المنذر وحرامٌ » ، والصحيح : وحرامٍ ، أي :

ومَصْرَعَ حَرَامٍ ، وهو حرام بن ملحان بن عَدِيّ بن النّجّار ، وقد قتله عامر بن الطُّفَيْل .

وفي ٤٥٥ / ٦ : « وبه فَرَقٌ شديد . » ضُبِط طَرَفا « فرق » ، وتُرِك ضبط وسطها ، وهو أحق به ، لئلا يوهم تركه أنه ساكن فينقلب معناه ، وهو هنا مفتوح الراء ، ومعناه الخوف ، و ـــ الجزَع .

وفي ١٨/٤٨٣ : « كورة منف. » وحقُّ « مَنْفَ » أن تضبط ، ليعرف نطقها الصحيح.

وفي ٥١١ / ٦ : « ووجدت منخرَيْه . » ، وحقها أن تضبط أحرفها الأولى ، وقد وردت في كلام العرب في أربع صُوَر ، اقتصر بعض اللغويين على واحدة منها ، وهي « المَنْخِرُ » ، وبها وردت الرواية في حديث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : أنه « أُتِيَ بسكرانَ في شهر رَمَضانَ ، فقال: لِلْمَنْخِرَيْن . » دعاءٌ عليه ، أي: كَبَّهَ الله لِمَنْخِرَيْه .

وفي ٥١١ / ١٧ : « فأخذ بحبوَة ردائي » كذا بضبط الواو وحدها ، وضبط الحاء والباء لازمانِ ، والحِبْوَةُ والحُبْوَةُ ، لغتان : الثوب الذي يُحْتَبَى به ، أي : يشتمل به ، وجمعها : حِبىً ، وحُبىً .

هذا ، وقد حصل اضطراب في رسم بعض الألفاظ ولكن بقِلّة . فرسمت « مئة » في ١٠٤ / ٥ « مائة وقية » وفي ٤٠٣ / ٥ : « مائتي رجل » ، وفي ٤٨٢ / ٩ : « وكان في مئتين من العطاء . » ، وكذا في ٤٨٣ / ١٦ : فكان في مئتين » ، وكتابة « مِئَة » من غير ألف هي الراجحة . ورسمت مركبةً في ١٥٦ / ١٥ و ١٩ : « خمسمائة » ، ومنفصلة في ١٦٤ / ٢٦ : « أربع مئة . » ، وهذا الثاني هو الصحيح الذي ارتضاه أهل التحقيق . ـــ وفي ٤٨٧ / ٦ : « الصغاني » ، وكتب في فهرس الأسانيد : « الصاغاني » ، بزيادة ألف بعد الصاد ، وكلاهما مرويٌّ ، غير أن التطابق هنا شرط محقق . ـــ وفي ٤٨٥ / ٣ : « عَيِّذالله » رسم بتشديد الياء وكسرها ، وقد جاء النّصُّ في (ص ٥٠٥) على تخفيف ياء « عيذ » وإسكانها عن أبي نصر بن ما كولا ، ثم أعيد رسمه في ٥٠٦ / ٣ مشدّد الياء .

ملاحظات يسيرة نزرة ، لا تكاد تذكر بجنب الضبط الدقيق المتقن ، لما لا يحصى

عَدَداً من الألفاظ ، فلعلها جديرة بأن تلحق بأمثالها مما دوّن في جدول المستدركات والتصحيحات .

٣ ــ التعليقات :

وهي ركن مهم من قواعد التحقيق العلمي الحديث ، طرزت بها حواشي المجلدة ، فأثبت اختلاف النسخ ، مع التوضيح والترجيح ، وشذت مواضع قليلة اجتُزِيْ فيها بتدوين الاختلاف وسُكت عن تبيان الصواب . . ودُوِّنَتْ لكل ترجمة من التراجم في الغالب ، وعددها (٦٥ ترجمة) ، أسماء المصادر التي ترجمت صاحبها ، باستقصاء مقرون بأرقام الأجزاء والصفحات ، وهو عمل مُضْنٍ وشاقّ . . كما دُوِّنت أيضاً شروح لكثير من الألفاظ الغريبة ولأعلام الرجال والمدن ، والتزم الايجاز في كل ذلك مسايرةً لطبيعة الكتاب، وقلما خُرِجَ الى الإطالة في مواضع كان يغني فيها الاختصار. على أن من الألفاظ الغريبة ،وأعلام المدن والمواضع ، ما لم يكن لها نصيبُ نظائرها من التفسير والتعريف ، فتركت والنفس تستشرف الى تعرُّف مدلولاتها ومعانيها .

ومن الألفاظ الغريبة التي لم تفسر كما فسرت نظائرها : الجبّان أي الصحراء (٢٣ـ ٢٣) . والصائفة والصوائف (٤٠ ـ ٤ ، وغيرها) ، والكير (٤٣ ـ ١١ ، وغيرها) ، والأخدع (٦٥ ـ ١٨) ، والإبل المهارى وأعراض السواد (٧٤ ـ ١١) ، وشخاب هاد « ؟ » (٧٤ ـ ١٢) ، وخواص «؟» (٧٦ ـ ٤) ، وحرمَرت « ؟ » (١٧٤ ـ ٥ و ٧) ، والحروري والقَدَري والمُرْجِئِيّ والخشبي(١٨٣ ـ ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١) ، وأخرم سندي (١٨٤ ـ ٥) ، وكِنْف علم (١٩٨ ـ ١٢) ، والتحسير (١٨٦ ـ ١٠ ، ١٦) ، والعَبُّوق (١٨٧ ـ ٢) ، وأثرم الثّنيتَيْن (٢٦٢ ـ ٥) ، والمِغفر (٢٦٧ ـ ١٤ ومواضع أخرى) ، وما ألوت الإسلام (٣٠٢ ـ ١٠) ، والتُّرْس (٣٠٩ ـ ١٦ ، و ٣١٠ـ٢٤)، والشّنّ (٣١٠ ـ ٢٠) ، وجونة (٣١١ ـ ١) ، وأسحرنا (٣١٣ ـ ٤) ، ونُعتْبِك (٣٢٤ ـ ١٣) ، ولَهَزَ (٣٣٧ ـ ٤) ، والنِّفاقُ (٣٣٧ ـ ٤) ، ويسلؤونها (٣٣٧ـ ١٣) ، وأسود سالخ (٣٤٨ ـ ٢) ، وبَرِماً وكَرِثاً (٣٥٤ ـ ٣) ، وزُهم (٣٦٢ـ٣) ، والصغو (٣٩٧ ـ ٣) ، والزَّواقيل (٣٩٨ ـ ١٢) ، ومُعَذَّرة فرسه (٤٠٣ ـ ١٥) ،

وأنفال (٤١٨ - ١٧) ، وسرحوا ظهرهم وبعثوا في سرحهم (٤٤٥ - ٧) ، وكانت بهم عليه جِدَةٌ (٤٥٥ - ٥) ، والدَّبيلة (٤٤٧ - ١١) ، وأحفظه (٤٧٧ - ١٢) .

ومن أعلام المدن والمواضع التي لم تعرف كأشباهها ونظائرها التي عُرِّفت في التعليقات : المدائن (٢٣ - ١٤ ومواضع أخرى) ، وصِفّين (٢٩ - ١٧) ، والجوزجان ومرو (١٤١ - ٢) ، وصيدا وبوصير (٨٦ - ٨ ، ٩) ، واليرموك (٩٨ - ٧ ومواضع أخرى) ، وأجنادين ومرج الصُّفَّر (١٠١ - ٨،٩) ، وبيت لِهْيا (١١٤-١٧) ومؤتة (١٣٢ - ١٦ و ١٣٣ - ٦ ، ومواضع أخرى) ، وجلولاء (١٤١ - ٧ ومواضع أخرى)، وبيسان(٢٦٢ - ١) ، و ايلياء (٣٠٤ - ١٥) ولم تدون في « فهرس الأماكن »، والغَوْر (٣٢٢ -١٥) ، والرحبة (٣٣٦ - ١) وغير ذلك من أسماء قد كان يحسن أن تفسر وتُعَرَّف تحقيقاً للمماثلة ، أذكر ذلك وإنْ كان لي رأي آخر فيشأن هذه التعليقات جملةً ، خاصٌ بهذا التاريخ ذي المجلدات الثمانين ، سأذكره بعدُ مقروناً بسببه .

وقد أصبت في هذه التعليقات المفيدة الممتعة ألفاظاً استوقفتني ، لعلّ في إيرادها وبيان ما يَرِدُ عليها نفعاً .

ففي ص ٥ / س ٥ من الحواشي : « وأكثر المصادر على أن جدّه عبيدالله ، بينما ينفرد الأنساب بأنه عبدالله . » فقد استعملت فيه « بينما » بغير استعمالها في كلام العرب ، فوضعت موضع : « على حين » أو « في حين » ، ولا أعرف هذا في شيْ من الفصيح الصحيح ، وإنما أعرف أن « بَيْنا » ومثلها « بينما » كما قرر النحاة واللغويون — ظرف زمان بمعنى المفاجأة ، يرفع ما بعدها على الابتداء والخبر ، ويكون لها جواب يقترن بإذا ، أو إذْ ، أو يتركان ، وأمثلتُها في فصيح الشعر والنثر الأصيلين أكثر من أن تحصى .

وفي ص ١٩٥ / ٣ ورد في بعض الأسانيد اسم « علي بن اسحاق المادَراني » بتحقيق نسبته بالنون ، وكتب عليه تعليق طويل ، خلاصته : « أن هذه النسبة في بعض المصادر — ومنها أنساب السمعاني — الى (مادرانا) من أعمال (البصرة) ، وفي مصادر أخرى هي (المادرائي) نسبة الى (مادريا) ، وأن (مادريا) هي (مادرانا) نفسها » .

وفي تحقيق هذه النسبة ، (وقد كان يمكن اختصارها بسطر أو سطرين) ، لا بُدَّ من الرجوع الى تهذيب أنساب السمعاني لابن الأثير ، أعني اللباب في تهذيب الأنساب وهو مطبوع سهل المنال ، وإلى معجم البلدان ، ذلك أن كتاب الأنساب للسمعاني نشر مصوراً عن نسخة مخطوطة فيها غموض كثير ، وفي تهذيبه تقويم له ، وقد جاء لقب علي بن اسحاق هذا فيه : (المادَرَائي) ، لا (المادراني) ، نسبة إلى (مادَرَايا) لا إلى (ما درانا) ، ونصه (٣ / ٧٨) : « المادرائي ، بفتح الميم وسكون الألف وفتح الدال المهملة والراء وسكون الألف الثانية وفي آخرها ياء تحتها نقطتان : هذه النسبة الى (مادرايا) ، قال (يعني السمعاني) : وظنّي أنها من أعمال البصرة . ينسب اليها جماعة ، منهم : أبو الحسن علي بن اسحاق بن محمد بن البختري المادرائي البصري . » فهذا نصّ قاطع جازم بأنه (المادرائي) ، لا (المادراني) . ويعضده ياقوت في معجم البلدان ، غير أنه عنده (الماذَرائي) بالذال المعجمة ، نسبة الى (ماذَرايا) ، ونصه : « ما ذَرايا : مثل الذي قبله (يعني مثل « ماذَران » من حيث الضبط) ، إلا أن الياء ها هنا في موضع النون هناك . قال تاج الاسلام أبو سعد (وهو السمعاني) : هي قرية بـِ (البصرة) ، ينسب اليها الماذَرائيّون كتاب (الدولة الطُّولُونية) بـ (مصر) : أبو زينور وآله . » ولم يرتض ياقوت تعيين السمعاني موقع (ماذَرايا) فقال : « قلت : وهذا فيه نظر ، والصحيح أن (ماذَرايا) قرية فوق (واسط) ، من أعمال (فَمِ الصِّلْح) ، مقابل (نهر سابس) . والآن قد خرب أكثرها ، أخبرني بذلك جماعة من أهل (واسط) » . ثم إن ما جاء في التعليق من أن (مادريا) هي (مادرانا) نفسها يـَرِدُ عليه :

١ ــ أن (مادريا) و (مادرانا) المذكورين في التعليق ، محرفان . فالأولى « مادريا » صحتها : (مادَرَايا) بحسب نص ابن الأثير ، أو (ماذَرَايا) بحسب تحقيق ياقوت ، وكلتاهما بزيادة ألف بعد الراء . والثانية « مادرانا » ، صحتها : (ماذَرَان) بالذّال المعجمة والنون في آخرها بلا ألف بعدها .

٢ ــ أن (ماذَرَايا) هي غير (ماذَرَان) قطعاً ، وليستا بلداً واحداً . فـ(ماذَرَايا) المنسوب اليها (الماذَرائي) المذكور هي قرية فوق (واسط الحجاج) بـِ (العِراق)

على ما أسلفت القول عن ياقوت . أما (ماذَرّان) ــ وليست (مادرانا) ــ فهي بلدة في (إيران) على مرحلة من (هَمَذان) ، وليس (للماذَرّائي) المذكور صلةٌ مّا بها .

وفي ص ٢٣٤ : « كان الشعبي يُنشِد :

أرى أناساً بأدنى الدينِ قد قنعوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدُّونِ

فاستغنِ بالله عن دين الملوك كما اسـ ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ »

وقد استوقفني التعليق على ذلك بأن « البيتين لأبي العتاهية في (عيون الأخبار) . . » ، والشعبي توفي في سنة ١٠٣ هـ ، وأبو العتاهية توفي في سنة ٢١١ هـ ، فنسبة البيتين إلى أبي العتاهية ممتنعة عقلاً اذا صحت الرواية عن الشعبي ، وقد كان يحسن التنبيه على ذلك ، فليس القراء جميعهم يعرفون هذا .

وفي ٢٤٩ / ٥ : « فالتقوا بـ (جابَلْقَ) رستاق أصبهان . » وقد علّق على (جابَلْقَ) بما يأتي : « جابلق أحد رستاقات أصبهان ــ معجم البلدان » ، فأعيد ما في الأصل ولم يُزَدْ شيء يستلزم هذا التعليق. وخيرٌ من هذه الإعادة أن يشار الى الخبر التاريخي الذي وردت هذه العبارة فيه أنه ورد في معجم البلدان ، وينبّه على إسقاط عبارة (ابن يزيد) من نسب داوود المذكور في هذا الخبر ، إذا أُريد المزيد من المقارنة .

وفي ٤٠٩ / ٧ : « ثم باتوا في (صَكّا) . . » ، ورسمها الصحيح : (صَكّى) . وقد كتب في التعليق عليها : إنها « تسمى اليوم (شقا) ، وهي مركز ناحية في (محافظة السُّوَيْداء) ، تبعد ٩ كم عن (شهبا) . وقد كانت قديماً تصكّ (؟) بها النقود » . كأنه أُريد أنها سميت (صَكّى) لهذا السبب . وهو بعيد . لأن العرب قالوا : سَكّ النقود بالسين المهملة ، ولم يقولوا : صَكّها ، بالصاد . ومعناه : طبعها على السِّكّة ،والسِّكة كما في النهاية في غريب الحديث والأثر ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، وغيرها : حديدة منقوشة كتب عليها، يضرب عليها الدنانير والدراهم. وفي الحديث ، وقد ذكر في (بأس) و(سكك) من النهاية: « أن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلم ، نهى عن كسر السِّكّة الجائزة بين المسلمين ، إلا من بأس . » وأراد بالسكة الدنانير والدراهم المضروبة ، سمي كلّ واحد منها « سِكّة » لأنه طبع بالحديدة المُعَلّمةله ، ويقال لها : السّكُ أيضاً. قال ابن الأثير فيتعليل النهي عن كسر الدنانير

والدراهم : « أي لا تكسر إلا من أمرٍ يقتضي كسرها : إما لرداءتها ، أو شكٍّ في صحة نقدها . . وقيل : كانت المعاملة بها في صدر الإسلام عدداً ، لا وزناً ، فكان بعضهم يقصّ أطرافها ، فنُهُوا عن ذلك » .

وفي ٤٠٩ / ١٦ : « فدمّرَ عليها ولم يدع فيها شيئاً» . وقد علّق على دَمّر بما يأتي: « ودَمّره ودمر عليه بمعنى – اللسان » ، ولم يذكر فيه تفسيره : أهلكه . وفي اللسان وغيره أيضاً : « دَمَرَ عليهم يدمُرُ دَمْراً ودموراً : دخل بغير إذن . وقيل : هجم » . وهذا المعنى الأخير هو الذي أراه موائماً في سياق الخبر المذكور فيه .

وفي ٤٣٣ / ١ : « عامر بن لوين الأشعري » . وقد علق على « لوين » : أن « الحافظ ابن عساكر سيصحح لفظه بـ « لدين » في آخر الخبر » . قلت: وقد تقدم تصحيحه له قبل ذلك أيضاً في ٤٣١ / ١٩ .

وفي ٩٥ / ٣ ورد اسم (عَمَوَاس) ، فلم يُعَرَّف ، ولكن عُرِّف عند تكرره في ١٠١ ، ثم تكرر في مواضع أخرى ، فلم يُحَلْ على تعريفه حيث عُرِّفَ . وكلُّ ما عُرِّف من أسماء المواضع أول مرة ، ثم ذكر مرة أخرى أو أكثر ، عُومل كذلك .

٤ – الفهارس :

وفي خاتمة الطواف بهذا التحقيق – الذي استقام لأصحابه بالجهد المضني الشاق في كشف الخطوط الغامضة ، وتوفير الضبط ، وتفسير الغريب ، وتعريف المجهول على الوجوه التي أسلفت – نلتقي خمسة عشر فهرساً صُنعت للتراجم الخمسة والستين ، والأعلام ، وشيوخ المؤلف ، وشيوخ ابنه ، والأسانيد ، والكتب والرسائل ، والسماعات ، وجدول السماعات في المخطوطة « الأصل » ، والتجزئة ، ثم الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والأمثال ، والشعر ، والأماكن ، والأقوام . وقد قارب حجمها مع مراجع التحقيق أن يكون عِدْلَ حجمَ المجلدة ، فان صفحاتها ٤٢٧ ، وصفحات المجلدة ٥٢٧ .

وصنعُ هذه الفهارس من الصعوبة بمكان ، يقدره العارفون ، ولا إخال أحداً ينازع في قيمتها وفوائدها في تيسير الحصول على ما يبتغيه الباحثون في غاية السهولة ، وتوفيرها ركن من أركان التحقيق العلمي الحديث وشروطه ، ولكن يجب أن تقدّر

بقدرها ، فيصنع لكل كتاب ما يلائمه بلا إفراط ولا تفريط . وما كان من الكتب جزءاً واحداً أو جزءين أو بضعة أجزاء ، وكان إلحاق كل جزء منها بالفهارس لا يؤدّي إلى تأخير نشر جملة الكتاب زمناً مديداً أو لا يحول دون الاستمرار فيه ، فلا ضير من ذلك . وما كان منها في عظم هذا التاريخ الكبير ، ذي المجلدات الثمانين ، فلا جرم أن صنع الفهارس العامة لكل جزء منه على هذا النحو من الاتساع والامتداد ، يعوق نشره كله ، إذ يكون من كل منها كتاب في حجم الجزء ، فتصبح المجلدات الثمانون — ستين ومئة مجلدة ، أي يتضاعف حجمه ، فيتضاعف معه الجهد والزمن والنفقات ، وينتهي الأمر الى انقطاع النشر لا محالة ، وإنّما الحاجة إلى الكتاب نفسه ، لا إلى فهارسه .

ونحن اذا رجعنا الى هذا التاريخ العظيم ، ولاحظنا جملة ما نشر منه على هذه الشاكلة من التوسع في الفهارس وغيرها ، خلال ثلاثين عاماً (١٩٥١ — ١٩٧٩) ، لم نجد منه غير أربع مجلدات ، وإحداها قسم من مجلدة ، فاذا ضربنا عدد مجلداته الثمانين بهذا المعدل من السنين كان حاصل الضرب لدينا عشرين عاماً وخمس مئة عام ! وقيام هذا الوضع ، يستدعي إعادة النظر في جملة الموقف ، للخروج من حرجه والتماس أقصر السبل التي توصل الى نشر هذا التاريخ في سرعة تطوي هذه الأعوام العشرين والخمس مئة طيّاً في أعوام لا تتجاوز عقداً واحداً من السنين !

ولعل ذلك يتحقق بوسيلتين :

الوسيلة الاولى : أن يحدث لهذا التاريخ الكبير ديوان خاص ، يندب الى الاشتغال فيه عشرون عالماً محققاً متفرغاً ، وجملة منهم من كبار أساتذة الجامعات في القطر العربي السوري ممن تخصصوا في التاريخ العربي الإسلامي وحذقوا العربية وفنونها ، على أن يجزل لهم العطاء ، وتحفظ للجامعيين حقوقهم كافة ، وتزاد عليها جوائز تقديرية سَنيّة لكل محقق ، ويعهد إلى كل واحد منهم أربع مجلدات تحدد مدة إنجاز تحقيقها بخمسة أعوام ، ويؤازرون بعشرين مؤازراً من خريجي الجامعات العربية السورية ممن لهم ممارسة للتحقيق ، يعاونونهم في النسخ والمقابلة والمراجعة ، وتجزل لهم الرواتب ،

ويمنحون جوائز تشجيعية تشاكل الجهد الذي يبذلون . وإخال أن هذا التفرغ التام ، حين يندب إليه أمثال الأساتذة الثلاثة الذين جاهدوا وجهدوا في تحقيق المجلدات الأربع مشكورين ومقدرين ، وعبّدوا الطريق للسالكين (وهم : د . صلاح الدين المنجد ، والأستاذ محمد أحمد دهمان ، و : د . شكري فيصل (، سيكفل إنجاز نشر هذا التاريخ العظيم في زمن جِدّ قصير ، كما يضمن له الصحة السابغة والسلامة من العَيَن والعيب ، بما يتوافر للمحققين من الفسحة في الزمن ، والتفرغ لهذا التحقيق وحده ، وهو الشرط الأول في هذه المهمة الخطيرة .

والوسيلة الثانية : أن ينشر النصّ « بعظمه ولحمه وجلده » ، ولا يُكسى بأيّ شِعار كانَ أو دِثار ، ضماناً للإسراع في نشره ، ولكن مُوَفىً له ضبط ما لابد من ضبطه من الأعلام المجهولة النطق ومن الكلم الغريب غير المأنوس في الاستعمال اليوم ، وبقدر محدد ، وبنظام دقيق كل الدقة ، ومُوَفّراً له كذلك النقط والفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب والأقواس المتنوعة للآيات والأحاديث والأمثال ، لتوضيح النص ، وتلغى التعليقات إلا ما يلزم من إثبات اختلاف النسخ في المواضع الحرجة التي تتطلب التثبت والترجيح ، فان هذا أمر متعيّن في التحقيق ، وتلغى كذلك الشروح والتعريفات ، ويقتصر من الفهارس على فهرس واحد لموضوعات المجلدة ، ويؤجل صنع الفهارس العامة الى ما بعد نشر المجلدات كافة ، فتفرد في كتاب مستقل على غرار ما صنع المستشرقون فيما نشروا من الكتب العربية المتعددة الأجزاء أمثال الأغاني وتاريخ الطبري وغيرهما مما قلّت أجزاءه عن ربع أجزاء هذا التاريخ ، فقد قصروا جهدهم كله على النص وحده ، ولم يلحقوا بالأجزاء إلا فهرس موضوعاتها في صفحتين أو ثلاث ، فلما تسنى لهم نشرها كافةً عمدوا الى صنع الفهارس العامة لها مستقلة في كتاب . وهنالك « قضية الطبع » ، وهي شائكة ومعقدة ، فلا بُدّ من أن يحسب حسابها عند أول الشروع في هذا الأمر ، وأن تُعَدّ لوازمها إعداداً كاملاً ، ليتساوق العمل في وقت واحد : العمل في التحقيق ، والعمل في الطبع ، بلا تلكّؤ ولا تباطؤ .

والأمر – قبل هذا كله – يفتقر إلى مؤازرة الدولة ، له ، ولعله لا يستغني عن مشاركة اتحاد المجامع العلمية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الإنفاق ..

ذلك أن هذا التاريخ الثقافي العام هو حاجتها ، وهو من أغنى مصادر البحث التي تستعين بها وتستمد منها في تأليف المعاجم وتدوين التاريخ الثقافي . فاذا تسنّى هذا كله ، فلن ينصرم عقد واحد من السنين حتى تكون المجلدات الثمانون في متناول الايدي، وعلى طرف الثمام من الباحثين : ينعمون بمادتها الأولية الغَنيّة الأصيلة فيما ينشؤون من الدراسات التاريخية والثقافية المستطرفة ، وفيما يرجى أن يكتبوه من موادّ محررة من شوائب الضعف ومن تدليس النفوس المريضة ودسائس أصحاب الأهواء ، لـ (دائرة المعارف العربية الإسلامية الكبرى) التي طال الأمد على ارتقابها فلم يتحرك لها أحد ، وهي مطلب من مطالب التقدم العلمي الحضاري عظيم الجَدْوَى ، لا يجوز القعود عنه ، وأراها أولَى وظائف المجامع والجامعات ودواوين البحوث العلمية كافة ، وهي لا تجهل أن الأمم المتحضرة ، كالسكسونيين واليابانيين والروس ، وقد سبقت فصنعت الطريف العجيب في تأليف (دوائر المعارف الكبرى) التي يضمونها أوصاف حضاراتهم وعلومهم وآدابهم وفلسفاتهم وفنونهم وكل ما أبدعوه وابتكروه من مطالب الحياة، بل لقد صنع شَرْوَى هذا الصنيع مَنْ هم دونهم بمراحل بعيدة في العَدَد والعُدَد والمقدرات ، وأعني شراذم الصهاينة ، فدَوَّنوا ونشروا (دائرة المعارف العبرية الكبرى) ، ولم نصنع كالذي صنعوا ، ولم نقدم على تدوين (دائرة المعارف العربية الإسلامية الكبرى) ، مع توافر عَدَدِنا وعُدَدِنا وقُدُراتنا ، لغياب الإرادة والاتفاق على أمر جامع كهذا الأمر ، وإنه لحديث ذو شجون ، له موضع آخر .

تلكم مراجعات ، وأمنيات . .

مراجعات في أشياء نزرة ، لا أزعم لنفسي العصمة من مثلهافيما أكتب وأحقق وأطبع ، ولعلي لم أسدد وأقارب فيما أسلفت منها ، فأنا أرحب بالتعقيب عليها ، ولا أتأخر عن نشره ، حمايةً للعلم وحرمته ، وحفظاً لأمانته في الأعناق .

وأمنيات . . حرصي على تحققها من حرص أحبابي الأجلاء أقطاب (مجمع اللغة العربية بدمشق) ، الذين تسامت هممهم الى نشر هذا التاريخ العظيم ، فعملوا الشيْ الكثير له ، وأبلغوا على قدر انبساط الذرع في خِضَمّ مشاغلهم ، وهي كُثْر ومتشابكة ، وقد قَلّ فيها العامل كما قلّ الناصر . . ولكن تغلّب منهم العقل والرأي ، فدبروا فأحسنوا

التدبير ، وعملوا فصدقوا ، وأعطوا هذا العطاء الغزير الثرّ في هذه المجلدات الأربع والخمسين من مجلتهم العظيمة الرصينة الحافلة بأثمن كنوز المعرفة البشرية ، من قديم وجديد ، وطارف وتليد ، ثم في مئات . . نعم ، مئات من روائع ما ألّف أوّلونا وغيرهم أحياناً في اللغة والأدب والشعر والنقد والسِّيَر والرِحَل والتاريخ والجغرافيا وعلوم البحار ، وما لم يحضرني الآن من العلوم الأخرى ، فأَغْنَوْا وأَقْنَوْا ، وأعجبوا فأطربوا ، وأحسنوا فقُدِّروا وشُكِروا . ومن يرزق الإخلاص والصدق والجد مع العلم والرأي يصعد الى هذا المرتقى ، ويبلغ الذروات .

محمد بهجة الأثري
(عضو المجمع)



أراء وأنباء

اعمال المجمع العلمي العراقي وانجازاته خلال دورته الاولى
(١٩٧٩/٥/٢٠ ـ ١٩٧٩/٦/٢٦)

تأسس المجمع العلمي العراقي الجديد بموجب القانون المرقم ١٦٣ لسنة ١٩٧٨ الذي صدر في ٤-١٠-١٩٧٨ فحل محل المجامع الثلاثة التي كانت قائمة في العراق قبل تأسيسه . وباشر اعماله بعد تعيين اعضائه بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٧١ والمؤرخ ١٥-٤-١٩٧٩ .

يتكون المجمع من ثمانية وثلاثين عضوا عراقيا ممن عرفوا بعمق الاختصاص وسعة الخبرات ، واتزان التفكير ، ونفاذ البصيرة ، وهدوء النفس ، وسمو الخلق ، والرغبة الذاتية في العمل على تنمية ثقافة الامة بما يكفل رقيها ويحقق لها المكانة السامية في المجتمع الدولي ، وعلى مر الزمن ، فهم يهدفون العمل فيما يضمن التقدم والرقي والبناء . وقد اختيروا من ذوي الاختصاص في ميادين متعددة ، تشمل اللغة العربية وادابها ، واللغة الكردية ومقوماتها ، واللغة السريانية وتراثها ، كما تشمل مختصين في تاريخ الأمة وحضاراتها وثقافتها ، وفي القانون ، والاقتصاد والادارة ، والتربية ، والعلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وعلوم الطب والزراعة ، فالمجمع تتمثل فية اختصاصات متعددة تعبر عن كيان الأمة الثقافي واتجاهاتها الفكرية ، وهذا التنوع تمليه اوضاع الامة وطموحاتها الثقافية التي تهدف الى التنمية الشاملة ، دون الاقتصار على جانب واحد أو جوانب محدودة ، وان كلمة «العلم» المتصلة باسمه « المجمع العلمي» تعبير عن الشمول الثقافي لرسالته .

وقد ذكرت المادة الثانية من قانون المجمع الاغراض الواسعة التي عليه ان يسعى لتحقيقها ، وهي تشمل النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي والادبي ، والمحافظة على سلامة اللغات الثلاث : العربية والكردية والسريانية بالعمل على إنماء كل منها ووفائها بمطالب الفكر ، و الحياة ، ثم العمل على احياء

التراث العربي والاسلامي ، والعناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه ، ونشر البحوث الأصيلة . وكل هذه اغراض واسعة بقدر ما هي حيوية في حياة الامة .

ان سعة اغراض المجمع تتطلب وسائل منوعة لتحقيقها ، وقد اشارت المادة الثالثة من قانون المجمع الى بعض هذه الوسائل ، وهي وضع المعجمات اللغوية والعلمية ، ونشر الكتب والوثائق والنصوص، واصدار المجلات الدورية والدوريات واقامة الندوات، وانشاء المكتبات .

ولما كان على المجمع الا يقنع بعزلة فكرية فقد اكدت المادة الثالثة ايضا على واجبه في توثيق الصلات بالمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها، والدعوة الى التأليف والترجمة .

والواقع ان المجمع العلمي مع انه « عراقي » في تسميته وتكوين اعضائه ومكان عمله الا انه يدرك ان عمله ورسالته لا يقتصر اثرها على العراق وحده ، بل يمتد الى الامة العربية جمعاء، نظرا لوحدة غاياتها واهدافها وطموحاتها، ولما كان الفكر والثقافة وهما ميدان عمل المجمع ، مشاعاً ومشتركاً بين كل ابناء الامة، وله الاثر الاقوى والابقى في رسم توجهاتهم وتقرير مستقبلهم . وهذا يفرض عليه تتبع الاعمال والانجازات الثقافية والفكرية والعربية ، والمساهمة في توجيهها بما يفيد الامة ويزيد من تماسكها ويعجل في نموها وتقدمها وازدهارها .

ولتحقيق الانفتاح ، قرر المجمع تتبع ما ينشر من كتب تراثية محققة ، واعمال مترجمة ، والعمل على تزويد مكتبته بها ، وعلى نشر قوائم سنوية بها ليطلع عليها المعنيون، فتزداد معرفتهم ، ويتوفر كثير من الجهد الذي يضيع بتكرر النشر والترجمة بسبب الجهل بما يتم انجازه في هذا الميدان .

وقد اتم الاتصال بمجمعي اللغة العربية في دمشق وفي الاردن ، واكد استعداده للتعاون في العمل والتنسيق في الخطط ، وتلقى من كل من المجمعين ما يظهر ترحيب كل منهما بذلك ، وبدأت خطوات عملية في ذلك ، فطلب مجمع اللغة العربي الاردني نسخا من مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف وطلب نسخا من المصطلحات

التــي اقرها المجمع العلمي العراقــي ، فارسلت اليــه . ووجهت الدعوة الى مجمع اللغة العربية في دمشق لقدوم رئيسه واربعــة من اعضائه الى العراق ضيوفا على المجمع العلمي العراقي لبحث تنسيق اهداف واعمال المجمعين ، وقد استجاب مجمع دمشق مرحبا بالدعوة وطالبا تعيين موعد ملائم لتنفيذها . ويعمل المجمع على الاتصال بالمؤسسات العربية التي بمستواها ، والتي تتصل معه بالاهداف والعمل ، وهو يهدي كثيرا من مطبوعاته للمؤسسات ــ العلمية العالمية والباحثين المختصين في ميادين عمل المجمع في العراق وخارجه .

والمجمع يعد قائمة بالاعضاء المؤازرين ، من العراقيين والعرب وغيرهم ممن عرفوا بالعلم والفضل والعمل في الميادين الثقافية التي يعنى بها ويهتم بتنميتها .

وقد استعان عدد من لجانة بخبراء اختصاصيين يساهمون فيما يقوم به المجمع من دراسات دقيقة متعمقة في الميادين التي اقرها ،وبالمستوى الذي ينشده . كما انه وضع قواعد ذات ضوابط تبيح الافادة من الباحثين بنشر اعمالهم وابحاثهم التي تتفق مع خطط المجمع ، وتنسجم مع معاييره واهدافه .

ويعتزم المجمع تكليف بعض اعضائه بتتبع الدراسات والاعمال العلمية واجهزتها وتنظيماتها في البلاد الاخرى، مما له صلة او ذو فائدة في دراسة الميادين التي يعنى بها ويعمل على تنميتها .

وقام مجلس المجمع خلال دورته الحالية بتقديم استشارات الى وزارة الصناعة ودرس مسودة قانون بيت الحكمة المحالة اليه من قبل وزارة التربية،ودرست بعض لجانه قضايا علمية احيلت عليه من جهات متعددة .

ومجلس المجمع المكون من اعضائه ، ينظر في الامور العامة ويناقشها ، ويصدر قرارات نافذة باسمه ، وقد نصت المادة الثامنة عشرة على وجوب اجتماعه مرتين في الشهر على الاقل ، ولكن كثرة القضايا الواجب تقريرها في وضع اسس العمل الجديد اقتضته ان يعقد بعض الجلسات اسبوعيا .

عقد مجلس المجمع خلال دورته الحالية سبع جلسات اتم فيها انتخاب ديوان الرئاسة ، وتحديد عدد اللجان واختصاصات بحوثها ، وتنظيم عملها وتوزيع الاعضاء

عليها ، والف عددا من اللجان المؤقتة لتضع تقارير يستنير بها في بعض القضايا المتشعبة المعروضة عليه ، واقر عددا من الأمور الادارية والتنظيمية ،ودرس موضوع وتنظيم الندوة المزمع عقدها عن بغداد ومؤرخها الخطيب ،ودرس مقررات لجنة التأليف والترجمة والنشر واقرها بصيغتها المرفقة ، كما درس مقررات لجنة المجلة .

ودرس المجلس ايضا تطبيق قانون سلامة اللغة العربية استجابة الى طلب وزارة الصناعة.

ديوان الرئاسة :

اتم مجلس المجمع في جلسته الاولى انتخاب اعضاء ديوان الرئاسة طبقا لاحكام المادة الحادية عشرة ، وبموجبه اصبح ديوان الرئاسة يضم السادة : الدكتور صالح احمد العلي (رئيسا) الاستاذ طه باقر (نائب رئيس اول) الدكتور محمود الجاليلي (نائب رئيس ثان) الاستاذ عزيز عقراوي ، المطران سنحاريب زكا عيواص الدكتور سعدون حمادي ، الدكتور جميل الملائكة .

وقد عقد ديوان الرئاسة ثلاث جلسات درس فيها عددا من الامور التنظيمية والادارية كتوزيع اللجان والخبراء ، وطبع الكتب ، كما اقر عددا من المقررات المالية ،وانتخب ديوان الرئاسة الدكتور نوري حمودي القيسي امينا عاما للمجمع العلمي العراقي .

اللجان :

ان الانجاز الناضج السريع للمتطلبات العلمية الاختصاصية يتطلب توزيع العمل على لجان يقوم كل منها بدراسة ميدان خاص بما يحقق اهداف المجمع واغراضه ،وقد اقرت المادة السابعة عشرة من قانون المجمع تأليف اللجان ،وحددت اشتراك كل عضو بما لا يزيد على ثلاث لجان دائمة ، واجازت لكل لجنة الاستعانة بخبراء يشاركون في عملها وبالنظر لاهمية عمل اللجان في تحقيق رسالة المجمع فقد عني مجلس المجمع بدراسة عدد اللجان وتوزيع الاعضاء عليها ،وأقر بعد دراسة دقيقة تكوين اللجان الاتية : لجنة اللغة العربية وادابها ، لجنة التراث الفكري العربي ، لجنة التراث العلمي العربي ، لجنة الحضارة والفلسفة ، لجنة القانون والسياسة ، لجنة التربية وعلم النفس ، لجنة الزراعة ، لجنة العلوم الفيزيائية ، لجنة العلوم الرياضية والهندسية ، لجنة الكيمياء ،

وكونت كل من هيئتي اللغة الكردية واللغة السريانية لجاناً فكونت الاولى منها لجانا لدراسة اللغة الكردية والتراث الكردي والمجلة، اما هيئة اللغة السريانية فأرتأت ان تكون حاليا لجنة واحدة . وقد وزع الاعضاء على هذه اللجان .

وقد سارالعمل على اساس هذا التنظيم الذي يمكن تعديله في المستقبل اذا ارتئي ان مثل هذا التعديل يساعد على زيادة الكفاءة واتقان العمل .

وللحفاظ على سمـــة المجمع والطابع العام لانتاجـــه مع الافادة من خبرات الاختصاصيين فقد اقر مجلس المجمع لكل لجنة ان تختار ما لا يزيد على ثلاثةخبراء من خارج المجمع للمشاركة في الابحاث والدراسات ، وأقر للهيئة الكردية اختيار اربعة خبراء لكل لجنة ، نظرا للتكوين الخاص للهيئة ، وكون عدد من اعضائها من يقيمون خارج بغداد ، وقد ارتأت بعض اللجان الاكتفاء باعضاء المجمع ، واختار البعض الاخر خبراء ضمن الاسس المذكورة انفا .

وتطلب العمل تكوين لجان موقتة تقوم كل منها بدراسة قضية معينة وتقديم تقرير عنها الى مجلس المجمع ، فالفت لجنة للتنسيق مع المؤسسات العلمية الاخرى،وثانية لدراسة تنظيم اللجان ، وثالثة لتقديم تقرير عن الندوة التي يزمع المجمع القيام بها عن بغداد ومؤرخها الخطيب ، واربعة للتحضير العلمي للندوة المذكورة . ولجنة لاعداد مسودة النظام الداخلي الذي ينظم عمل المجمع ، وقد عقدت كافة اللجان تقريبا جلسات اختارت كل منها لها مقررا ، ووضعت خطة عامة وخطة مرحلية للعمل ، وعقد بعضها اكثر من جلسة لمتابعة دراسة وتطبيق الخطة المرحلية .

إن بعض هذه اللجان عملها علمي محدد ، وبعضها يتصل عمله بالمجمع عموما ، وهي لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ولجنة المجلة،ولجنة الندوات التي ارتئي قيامها بالعمل عند تنفيذ عقد الندوة ، وفقد درست لجنة المجلة يتعلق بالمجلة واما لجنة التاليف والترجمة والنشر فقد عقدت عدة جلسات وضعت فيها قواعد شاملة عرضتها على المجلس فاقرها

حظى المصطلح العلمي باهتمام معظم اللجان ، فاعتبرته من اول ما تعنى به في

خطتها المرحلية ، فقررت كل من الهيئتين الكردية والسريانية العمل على اعداد معجم باللغة التي تعنى بها ، وقررت لجنة الطب اعداد معجم لطب الاسنان ، ومعجم للتمريض ، وكذلك تكملة معجم علم النفس والامراض العقلية .

وقررت لجنة التاريخ اعداد قائمة بالمصطلحات التاريخية وتحديد مفاهيمها ومقابلها باللغات الاجنبية ، واستكمال مصطلحات التاريخ القديم والحضارات القديمة ..

وعملت لجنة العلوم الرياضية والهندسية على انجاز جانب من المصطلحات في الهندسة المدنية ، اما لجنة العلوم الزراعية فقررت العمل في انجاز مصطلحات الري الحقلي ، وقررت لجنة الفيزياء العمل على انجاز المصطلح العلمي في مجالي الفيزياء والرياضيات ، وقامت لجنة الكيمياء بالاستمرار بالعمل في مشروع معجم المصطلحات الكيميائية واختارت لجنة اللغة العربية ولجنة الحضارة والفلسفة عددا من الكتب التراثية لاستخراج مصطلحاتها ووضع تعريفاتها العلمية بحسب التسلسل المعجمي .

واقترحت لجنة الكيمياء التعاون مع المجامع العلمية العربية في مجال تثبيت المصطلح العلمي ، واكدت لجنة الطب على وجوب استعمال الحسابة في المصطلحات .

واكدت كل من لجنتي الهندسة والكيمياء على عقد ندوة خاصة بالمصطلح العلمي تدرس فيه وضعه واقراره وتطبيقه وبيان اهميته في حقل التعريب .

اكدت كل من الهيئة السريانية ولجنة اللغة العربية ، ولجنة التراث العربي ولجنة التراث العلمي العربي ولجنة التاريخ ولجنة الطب . على ضرورة اقتناء المجمع المراجع والمصادر الاساسية وعلى اهمية الحصول على فهارس خزائن الكتب ، واعداد قوائم باسماء المخطوطات من امهات الكتب ، والعمل على الحصول على صور هذه المخطوطات وتكليف الباحثين من اعضاء المجمع على العمل على نشرها .

واكدت كل من لجنة التاريخ ، والتراث العلمي العربي ، والفيزياء على اعداد قوائم بالكتب الاجنبية الجديرة بالتعريب مما تلائم اغراض المجمع ، والعمل على ترجمتها الى العربية .

قررت لجنة التراث الادبي دراسة ماكتب عن تاريخ بغداد ، ودرست هي ولجنة

التاريخ عن المصادر والوثائق ومدى واهميتها في دراسة تاريخ العرب .

وقررت لجنة التراث العلمي العربي التركيز مرحليا على دراسة مؤلفات حنين والكندي ، وكتب جالينوس وابقراط ، وتاريخ العلماء .

وقررت لجنة الفيزياء دراسة وتحديد بعض الاتجاهات المهمة في الفيزياء والرياضيات لاهميتها ولغرض جلب انتباه المؤسسات ذات العلاقة .

عملت اللجان على تحقيق الخطط المرحلية التي رسمتها لنفسها ، وهي في سبيل متابعة اعمالهاوتطوير برامجها بما يضمن المساهمة فيتحقيق اغراض المجمع واهدافه .

ان وجود اللجان وعدد ما يمكن ان يشارك فيه العضو محدد بنص القانون غير ان عدد اللجان واختصاصاتها وبرامج كل منها ، وطريقة عمله ، ومدى انجازاته كلها متروكة للاوضاع العامة للمجمع ، ولذلك يمكن اعادة النظر فيها لتوفير اكبر فرصة لها في العمل على تحقيق أغراضها . ولكنها تبقى اساس العمل العلمي المفصل الدقيق في المجمع ، وتبقى مكانتها وانجازاتها قائمة على مدى مساهمة اعضائها وان رئاسة المجمع وديوان الرئاسة فيه يدركان اهمية اللجان ومنجزاتها ، ويعملان على توفير كافة المستلزمات الممكنة لها ، ويقبل كل تطوير في اعمالها .

البناية :

يضم المجمع حاليا بنايتين رئيسيتين لكل منهما عدد من الغرف الملحقة وفي كل منهما طابق واسع تحت الارض يستعمل مخزنا للكتب والاثاث وتتكون كل من البنايتين الرئيسيتين من طابقين ، يحتوي الطابق الاول في احداهما على قاعتين احد اهما للمحاضرات والاخرى للاجتماعات ، يمكن فتحهما على بعضهما ليكونا قاعة واسعة واحدة . ويحتوي هذا الطابق ايضا على مكتبة واسعة ، وقاعة للمطالعة وغرف للاعضاء .

اما الطابق الاعلى فيتكون من جناحين يضم احدهما غرفا للرئاسة والامانة العامة والادارة والمحاسبة وما يتبعها ويضم الجناح الثاني قاعتين صغيرتين يمكن فتحهما على بعضهما ليكونا قاعة واحدة ، كما يضم غرفا للاعضاء وغرفة للشعبة الفنية .

اما البناية الثانية ، وكان يشغلها المجمع العلمي الكردي سابقاً فيحتوي الطابق الاسفل

منها على خمس غرف تشغلها حاليا الادارة ، وعلى قاعة واسعة للاجتماعات .

وفي الطابق العلوي من البناية الثانية غرفتان وقاعتان للمكتبة ، وغرفتان للامين العام والباحث العلمي وثلاث عشرة غرفة للاعضاء

والبنايتان مجهزتان بآلات لتكييف الهواء ومزودتان ببدالات تلفون لسد حاجات ادارة المجمع واعضائة .ان عدد الغرف المخصصة لاعضاء المجمع هي تسع وعشرون غرفة وهي اقل من عدد اعضائه المقيمين في العراق والذين يساهمون باعماله ونشاطاته .

والمجمع تعوزه غرف ملائمة لاجتماعات اللجان التي تكون اساس العمل العلمي المتخصص في المجمع .

وفي المجمع حاليا اثنتاعشرة غرفة ملحقة، يشغل اربعة منها هيئة اللغة السريانية ومكتبتها وهي مؤثثة ومبردة كلها، اما الغرف الباقية فتشغلها مكائن الطباعة ومستلزماتها. وهي عموما عتيقة غير مستكملة للشروط الصحية ولا تفي بما تحتاجه المطبعة من مستلزمات.

المكتبة :

تتكون مكتبة المجمع الحالية من مجموع مكتبات المجامع الثلاث الملغاة ، وبسبب ضيق المكان فقد ابقيت كل من المكتبات الثلاث في مكانها السابق ، وابقى موظفوها واعتبرت اجزاء من المكتبة الكبيرة .

ويدير المكتبة الرئيسية التي كانت للمجمع العلمي العراقي ملاحظ وكاتبان ، اما المكتبتان الآخريان ففي كل منهما ملاحظ واحد ، ان مجموع موظفي المكتبة بفروعها الثلاثة هو خمسة فقط .

تضم المكتبة بفروعها الثلاثة ٤٨٫٤٨٠ كتابا باللغة العربية ، واللغات الاجنبية وهي موزعة كما يلي :

	الكتب العربية	الكردية	الاجنبية	السريانية
المكتبة العربية	٢٤٠٠٠	—	٦٠٠٠	—
مكتبة الهيئة الكردية	٩٠٠٠	١٥٠٠	٦٥٠٠	—
مكتبة الهيئة السريانية	٨٦٠	٦٥	٣٣٠	٢٣١

اي ان مجموع الكتب العربية ٣٣٨٦٠ ، والكتب الاجنبية ١٢٨٣٠ والكردية ١٥٦٥ والسريانية ٢٣١ وبعض الكتب مكررة في المكتبات الثلاثة ، كما ان هذه الكتب تتباين في تاريخ ودقة طبعها فضلا عن تعدد مواضيعها .

وتضم المكتبة (٤٥٦) من الدوريات العربية ، و (٤٨) من الدوريات الاجنبية وهي متباينة في اهميتها ونطاقها والاعداد المتوفرة من كل منها ، ولكنها عموما مجموعات غير كاملة .

وبالرغم من كثرة عدد كتب المكتبة ، فانه يعوزها كثير من الكتب والدوريات الاساسية ، بالعربية والاجنبية ، التي تتصل بالعمل العلمي المجمعي ، وخاصة ما طبع في المغرب وفي الاقطار الغربية .

كما ان الدوريات ذات الاهمية الاساسية في العمل المجمعي هي اما غير كاملة واما مفقودة .

وتضم المكتبة سجلات مدونة فيها جميع كتبها ودورياتها ، كما ان فيها فهارس لبعض الكتب والدوريات .

ومن المعلوم ان اكمال فهارس الكتب وتصنيفها ضروري لضمان الافادة منها في الدراسة والبحث . وهذا يتطلب زيادة عدد الموظفين المؤهلين لادارة هذه الاعمال .

مكتبة المخطوطات والمصورات :

في المجمع حاليا (٣٢) كتاب مخطوط ، و (١١٤٧) مخطوطة مصورة و(٥٠٠) رقيقة مصورة كتب .

والمجمع يدرك اهمية المخطوطات في تأدية رسالته ، ويتجلى هذا في تأكيد معظم اللجان على ضرورة الحصول على فهارس المخطوطات وعلى مصورات المخطوطات المهمة ، وتيسير الافادة منها ، والعمل على نشرها .

ويعمل المجمع على الحصول على رقيقات او مصورات المخطوطات اما مباشرة او عن طريق شرائها ممن يمتلكونها ، وهي تقدر عند الشراء كلفة الحصول على المخطوط وتبذل فيه تبعا لتلك الكلفة ولاهمية المخطوط المصور .

يعمل المجمع على صيانة المخطوطات ومصوراتها ورقيقاتها ، وييسر الافادة منها، وقد تبنى الفهرس الذي اعده الاستاذ ميخائيل عواد وتملكه وقرر طبعه .

وفي المجمع حاليا مقرأه واحدة للرقيقات ، وقارئة مستنسخة واحدة ويشرف على مجموعة المخطوطات والمصورات موظف واحد .

الشعبة الفنية :

في المجمع حاليا شعبة فنية لتصوير المخطوطات واستنساخها وطبعها ، يعمل فيها ثلاثة موظفين ، وهي تحوي الاجهزة التالية : —

١ — جهاز المايكروفلم .

٢ — جهاز استنساخ الكتروني .

٣ — جهاز استنساخ بالورق الحساس .

٤ — جهاز قارئ طابع .

وقد قامت الشعبة الفنية خلال دورة المجمع الحالية(من ٢٠-٥-١٩٧٩ الى ٢٣-٦-٧٩ بنقل (٥٠٠٠)ورقة من الرقيقات الى الورق ، وباستنساخ (٣٠٠٠) ورقة بجهاز الاستنساخ ، عدا الاستجابة للطلبات اليومية المتعددة للادارة .

تقوم الشعبة الفنية بالتصوير لمكتبة المجمع ، ولاعضاء المجمع ، وقد صور للاعضاء ما يزيد (١٠٠٠) ورقة وصورة لوثائق ومقالات يتطلبها عملهم العلمي وتقوم الشعبة الفنية ايضا بتلبية حاجات بعض الباحثين من غير اعضاء المجمع وقد صورت خلال الدورة الحالية خمسة كتب ضخمة لبعض الوزارات والكليات والباحثين كما قامت بتصوير عدد من البحوث والمقالات لطلبة الدراسات العليا في بعض الكليات .

ان الخدمات الواسعة التي تقوم بها هذه الشعبة للدراسات الاكاديمية تتطلب زيادة العناية بها وتوسيعها .

المطبعة :

في المجمع مطبعة تحوي المكائن التالية : —

ماكنة مونوتايب عدد (١)

ماكنة انترتايب عدد (١)

ماكنة طبع عدد (٢)

ماكنة قص الورق عدد (٢)

ماكنة ربط الاسلاك عدد (٢) احداهما عاطلة .

وقد انجزت المطبعة خلال الدورة الحالية طبع مجلة المجمع مع مستلات الكتاب ، وجزء من كتاب العباب الزاخر ، ومعجم عربي كردي انكليزي وكتاب دفاع عن نالي ، وتقوم الان بطبع كتاب الوشي المرقوم ، وفهرس مخطوطات ومصورات مكتبة المجمع العلمي ، وكتاب درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة للمقريزي .

وفي المطبعة حاليا (١٠) من الموظفين والعمال والفنيين وبالرغم من انجازات المطبعة ، فانها بحاجة الى توفير المكائن الحديثة الضرورية والى توسيع ملاكها ، والى بناية صحية ملائمة لاغراضها .

الدكتور صالح احمد العلي
(رئيس المجمع)

قــانون

المجمع العلمي العراقي

رقم (١٦٣) لسنة ١٩٧٨

قرار رقــم ١٣١٦

باسم الشعب

مجلس قيــادة الثــورة

استنادا الى احكام الفقرة (آ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور الموقت •

قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٤ ــ ١٠ ــ ١٩٧٨ •

اصدار القانون الآتي

رقم (١٦٣) لسنة ١٩٧٨

المادة الاولى ــ

ينشأ بموجب احكام هذا القانون مجمع يسمى **(المجمع العلمي العراقي)** يكون مقره في بغداد ، وتكون له شخصية معنوية واستقلال مالي واداري ، ويرتبط بوزير التعليم العالي والبحث العلمي •

المادة الثانية ــ

يسعى المجمع العلمي العراقي ، الى تحقيق الاغراض الآتية : ــ

١ ــ النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي والادبي •

٢ ــ المحافظة على سلامة اللغات : ــ

آ ــ العربية والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون •

ب ــ الكردية بالعمل على نمائها ووفائها بمطالب الحياة •

جـ ــ السريانية بالعمل على نمائها وحفظ التراث السرياني •

٣ ـ احياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والآداب والفنون .
٤ ـ العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه .
٥ ـ نشر البحوث الاصيلة وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب والفنون .

المادة الثالثة ـ

يتخذ المجمع العلمي العراقي الوسائل الملائمة لتحقيق أغراضه ، وبخاصة الوسائل التالية :ـ

١ ـ وضع معجمات لغوية وعلمية .
٢ ـ نشر الكتب والوثائق والنصوص القديمة .
٣ ـ اصدار مجلات ونشرات .
٤ ـ توثيق الصلات بالمجامع العلمية والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية في البلاد العربية وغيرها .
٥ ـ الدعوة الى التأليف والترجمة في المواضيع التي يختارها .
٦ ـ اقامة الندوات للتدارس .
٧ ـ انماء مكتبات المجمع واستكمال شؤون الطباعة فيه .

المادة الرابعة ـ

١ ـ يتألف المجمع من :
آ ـ أعضاء عاملين ، وعددهم ثمانية وثلاثون عضوا .
ب ـ أعضاء مؤازرين .
جـ ـ أعضاء شرف .
٢ ـ تنبثق من بين الاعضاء العاملين هيئتان :ـ
آ ـ **هيئة اللغة الكردية** ـ وقوامها تسعة أعضاء ممن لهم اطلاع واسع وتضلع في اللغة الكردية وآدابها .
ب ـ **هيئة اللغة السريانية** ـ وقوامها خمسة أعضاء ممن لهم اطلاع واسع وتضلع في اللغة السريانية وآدابها .
٣ ـ يكون لكل من هيئة اللغة الكردية وهيئة اللغة السريانية ، رئيس ينتخبه

أعضاء الهيئة من بينهم بالاكثرية المطلقة .

٤ ـ يكون لكل من الهيئتين ، موظف متفرغ بدرجة مدير ، يتولى ضبط محاضر الجلسات وشؤون المتابعة ، ويرتبط بالامين العام للمجمع من الناحية الادارية .

المادة الخامسة ـ

١ ـ يشترط في العضو العامل ، أن يكون عراقيا لايقل عمره عن ثلاثين عاما، وله اطلاع حسن في قواعد اللغة العربية ، وان تتحقق فيه على الاقل احدى الصفات التالية :ـ

آ ـ اطلاع واسع في فرع أو أكثر من فروع المعرفة وتتاج أصيل فيه .

ب ـ اتقان اللغة العربية وتضلع في احدى اللغات الحية أو القديمة ، وقدرة على تحديد المصطلحات واختيارها ، مع مراعاة ما جاء في الفقرتين (آ ، ب) من البند (٢) من المادة الرابعة من هذا القانون .

٢ ـ يشترط في العضو المؤازر ، ان يكون ذا اطلاع حسن في قواعد اللغة العربية ، أو في لغة الهيئة الخاصة به ، واحاطة بالغة في فرع من فروع المعرفة ، وله نتاج حسن فيه .

٣ ـ يشترط في عضو الشرف ، ان يكون ممن قدم خدمة جليلة للعلم ، وتتم عضويته بترشيح أحد أعضاء المجمع العاملين ، وموافقة الاكثرية في جلسة صحيحة ، ولا تكون جلسة الانتخاب ، الا اذا حضرها ثلثا الاعضاء العاملين على الاقل .

المادة السادسة ـ

١ ـ يرشح العضو العامل ، بتزكية مكتوبة من عضوين عاملين ، يعرضان فيها صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية أو الادبية ، ويتم انتخابه بالاكثرية المطلقة للاعضاء العاملين ، وبالاقتراع السري .

٢ ـ يصدر مرسوم جمهوري ، بتعيين العضو العامل بعد انتخابه .

المادة السابعة ـ

ينتخب العضو المؤازر ، بتزكية مكتوبة من عضوين عاملين ، يعرضان

فيها صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية أو الادبية أو اللغوية لعضوية المؤازرة ، وتتم عضويته ، بموافقة أكثرية الاعضاء الحاضرين بالانتخاب السري في جلسة صحيحة ، ولا تعتبر جلسة الانتخاب صحيحة ، الا بحضور ثلثي الاعضاء العاملين على الاقل .

المادة الثامنة ـ

اذا خلا مكان عضو عامل ، يعلن الرئيس ذلك في أول جلسة ، ويقرر المجمع ملأه في مدة لاتتجاوز ستة أشهر .

المادة التاسعة ـ

١ ـ على العضو العامل ، أن يساهم في أعمال المجمع ، ويواظب على حضور جلساته ولجانه التي يشارك فيها .
٢ ـ يعد العضو مستقيلا ، اذا تخلف عن الحضور ست جلسات متواليات بدون عذر مشروع .

المادة العاشرة ـ

يجب أن يستكمل المجمع ثلثي عدد الاعضاء العاملين خلال مدة لاتتجاوز ستة أشهر ، من تاريخ نفاذ هذا القانون .

المادة الحادية عشرة ـ

١ ـ للمجمع ديوان للرئاسة ، يتألف من الرئيس ونائبين ، أول وثان ، ورئيس هيئة اللغة الكردية ، ورئيس هيئة اللغة السريانية ، وعضوين عاملين .
٢ ـ ينتخب ديوان الرئاسة من بين الاعضاء العاملين بجلسة صحيحة وبالتصويت السري ، لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

المادة الثانية عشرة ـ

لرئيس المجمع ، الاختصاصات والصلاحيات المخولة للوزير المختص في جميع القوانين والانظمة ذات العلاقة .

المادة الثالثة عشرة ـ

يقوم النائب الاول مقام الرئيس عند غيابه ، فاذا غابا كلاهما قام النائب

الثاني مقام الرئيس ، فاذا غابوا قام أكبر الاعضاء سنا مقام الرئيس •

المادة الرابعة عشرة ـ

١ ـ يكون للمجمع أمين عام ، يختار من بين أعضاء المجمع أو من غيرهم بترشيح من ديوان الرئاسة •

٢ ـ يكون الامين العام ، مقررا لديوان الرئاسة ومسؤولا عن تدوين محاضر جلسات المجمع ومقرراته وحفظها وتبليغ دعوات اجتماعه وتنظيم مراسلاته •

المادة الخامسة عشرة ـ

يتولى الشؤون الادارية والمالية في المجمع ، مدير عام ذو شهادة عالية في القانون أو الادارة ، وخبرة لاتقل عن خمس عشرة سنة في مجال اختصاصه ويمارس الصلاحيات الممنوحة لرئيس الدائرة ، بموجب القوانين والانظمة ذات العلاقة •

المادة السادسة عشرة ـ

يعمل ديوان الرئاسة على تحقيق أهداف المجمع، وفقا لما نص عليه القانون، ضمن اطار ترسيخ وتعميق الاتجاه الوطني والقومي للثقافة والآداب والعلوم ، على هدى مباديء حزب البعث العربي الاشتراكي ، وله في سبيل ذلك الصلاحيات التالية :ـ

١ ـ وضع الخطة التفصيلية العامة ذات العلاقة بتحقيق أهداف المجمع العلمي العراقي ، وتطوير وسائل العمل على تحقيقها •

٢ ـ متابعة تنفيذ الخطة العامة من خلال ماتقدمه لجان المجمع من تقارير دورية بهذا الشأن •

٣ ـ اعداد الميزانية السنوية واحالتها ، الى المجمع لاقرارها •

٤ ـ الموافقة على عقد المؤتمرات العلمية والادبية ، واقامة الاحتفالات والمساهمة في المؤتمرات العلمية والادبية ، وايفاد الاعضاء في كل ما له علاقة بأهداف المجمع •

٥ ـ تنظيم شؤون المجمع الادارية والمالية ، وفق نظامه الداخلي •

٦ ـ تخويل الرئيس بعض صلاحياته .

المادة السابعة عشرة ـ

١ ـ للمجمع لجان دائمة ، تختص كل منها بفرع من فروع المعرفة .

٢ ـ للمجمع ان يؤلف لجاناً مؤقتة من الاعضاء العاملين أو من سواهم ، يعهد اليهم ببعض الاعمال .

٣ ـ يؤلف المجمع لجانه الدائمة والمؤقتة من الاعضاء العاملين ، ويجوز له ان يضم اليهم من يختارهم من غيرهم ، وتنتخب كل لجنة مقرراً لها من الاعضاء العاملين .

٤ ـ لايجوز أن يشترك العضو العامل في أكثر من ثلاث لجان .

المادة الثامنة عشرة ـ

١ ـ يبدأ المجمع اجتماعه السنوي الاول في النصف الاول من شهر تشرين الاول .

٢ ـ يجتمع المجمع مرتين في الشهر على الاقل ، للنظر في شؤونه العلمية ، وفي تقارير اللجان وأعمالها .

٣ ـ للمجمع عطلة صيفية ، تبدأ في أول تموز ، وتنتهي بنهاية أيلول .

المادة التاسعة عشرة ـ

يتم نصاب المجمع ، بحضور أكثر من نصف الاعضاء العاملين ، مع مراعاة ما جاء في المواد (الخامسة والسادسة والسابعة) من هذا القانون ، وتتخذ القرارات بأكثريتهم ، وترسل نسخ من القرارات ، الى وزير التعليم العالي العلمي للاطلاع .

المادة العشرون ـ

١ ـ يكافأ رئيس المجمع والاعضاء العاملون ، بمخصصات مقطوعة ، للرئيس (ألف دينار) ، وللعضو العامل (ستمائة دينار) ، وتدفع المكافأة مقسطة على أربعة أقساط سنوية .

٢ ـ يكافأ الاعضاء المؤازرون والخبراء عن جلسات اللجان التي يدعون للعمل فيها مكافآت يقدرها ديوان الرئاسة .

المادة الحادية والعشرون ـ

تتكون ميزانية المجمع من منحة الحكومة السنوية ، ومن واردات المجمع

ووفر السنين السابقة ، ومن التبرعات التي يقبلها المجمع .

المادة الثانية والعشرون ـ

يحل المجمع العلمي العراقي ، والمجمع العلمي الكردي ، ومجمع اللغة السريانية ، اعتباراً من تاريخ نفاذ هذا القانون ، وينتخب وزير التعليم العالي والبحث العلمي تسعة أعضاء عاملين ممن تتوفر فيهم شروط العضو العامل المنصوص عليها في المادة الخامسة من هذا القانون ، وينتخب هؤلاء الاعضاء أعضاء آخرين بقدر عددهم ، ثم ينتخب الاعضاء الثمانية عشر ، عشرة غيرهم ، ثم ينتخب هؤلاء الاعضاء جميعاً العدد الباقي ، وترفع الاسماء الى وزير التعليم العالي والبحث العلمي ، لاستصدار مرسوم جمهوري بذلك .

المادة الثالثة والعشرون ـ

على المجمع أن يضع له نظاماً داخلياً في مدة لا تزيد على سنة واحدة ، اعتباراً من نفاذ هذا القانون .

المادة الرابعة والعشرون ـ

تنتقل ملكية الاموال المنقولة وغير المنقولة وجميع حقوق والتزامات المجمع العلمي العراقي ، والمجمع العلمي الكردي ، ومجمع اللغة السريانية المنحلة ، الى المجمع العلمي العراقي الجديد ، وتحول اليه ملاكاتها وما هو مخصص لها في الميزانية العامة .

المادة الخامسة والعشرون ـ

يلغى قانون المجمع العلمي العراقي رقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣ ، وقانون المجمع العلمي الكردي رقم (١٨٣) لسنة ١٩٧٠ ، وقانون مجمع اللغة السريانية رقم (٨٢) لسنة ١٩٧٢ ، وجميع تعديلاتها .

المادة السادسة والعشرون ـ

ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ، ويتولى الوزراء المختصون تنفيذه .

احمد حسن البكر
رئيس مجلس قيادة الثورة

الاسبـاب الموجبـة

بالنظر لاهمية التنسيق والتكامل بين المؤسسات العلمية المتخصصة وذات المهمات المتشـابهة ، ولما دلت عليه تجربة المرحلة السـابقة من بعثرة للجهود والطاقات والخبرات لتعدد المجامع العلمية في الوطن الواحـد ، فقد أرتؤي وضع اطار تنظيمي موحد لهذه المجامع يؤمن التنسيق والتكامل فيما بينها ، مع الحفاظ على الغايات الوطنية والعلمية الاساسية التي قامت من أجلها المجامع السابقة .

فقد شرع هذا القـانون .

قرار تعيين رئيس واعضاء المجمع العلمي العراقي

تنفيذا لقرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٧١ والمؤرخ في ١٥ ــ ٤ ــ ٩٧٩ تقرر مايلي :

اولا ــ يعين الدكتور صالح احمد العلي الاستاذ في كلية الاداب بجامعة بغداد رئيسا للمجمع العلمي العراقي .

ثانيا ــ يعين السادة التالية اسماؤهم اعضاء عاملين في المجمع العلمي العراقي :

١ ــ الدكتور سعدون حمادي
٢ ــ محمود شيت خطاب
٣ ــ عزيز عقراوي
٤ ــ الدكتور احمد سوسه
٥ ــ الدكتور مسارع الراوي
٦ ــ الشيخ عبدالكريم المدرس
٧ ــ محمد بهجة الاثري
٨ ــ موسى عبدالصمد
٩ ــ طـه باقر
١٠ــ الدكتور يوسف حبي
١١ــ الدكتور محمود الجليلي
١٢ــ الدكتور ناجي عباس احمد
١٣ــ الدكتور منذر ابراهيم الشاوي
١٤ــ الدكتور جواد علي
١٥ــ الدكتور جميل سعيد
١٦ــ الدكتور عبدالعال الصكبان
١٧ــ الدكتور عبدالعزيز البسام
١٨ــ سنحاريب (زكا) عيواص
١٩ــ كوركيس عواد
٢٠ــ الشيخ محمد الخال
٢١ــ ضياء شيت خطاب
٢٢ــ الدكتور جوامير مجيد سليم

٢٣ـ الدكتور علي المياح
٢٤ـ يوسف خيدو البازي
٢٥ـ الدكتور جميل الملائكه
٢٦ـ الدكتور يوسف عزالدين
٢٧ـ الدكتور جلال محمد صالح
٢٨ـ الدكتور زكي صالح
٢٩ـ الدكتور علي عطيه عبدالله
٣٠ـ الدكتور جابر الشكري
٣١ـ الدكتور حسن كتاني
٣٢ـ الدكتور نجيب خروفه
٣٣ـ ميخائيـل عواد
٣٤ـ الدكتور نوري القيسي
٣٥ـ الدكتور فخري محمد صالح الدباغ
٣٦ـ الدكتور كامل حسن البصير
٣٧ـ اندراوس صنـا

الكتب المهداة الى المجمع العلمي العراقي
خلال النصف الاول لسنة ١٩٧٩

(كتب الفقه)

السلسبيل في معرفة الدليل حاشية على زاد المستقنع (١ ـ ٣) ـ تأليف الشيخ صالح بن ابراهيم البليهي ـ السعودية ١٣٩٦ هـ

شرح ادب القاضي (١ ـ ٢) ـ تأليف الخصاف ، تحقيق محيي هلال السرحان ـ بغداد ١٩٧٧ ، ١٩٧٨

عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ـ تأليف نائل حنون ـ بغداد ١٩٧٨ .

الفتح الوامض على المنح الفائض في علم الفرائض ـ تأليف ابن القرەداغي ـ بغداد ١٩٧٨ .

فقه الامام الأوزاعي (١ ـ ٢) ـ تأليف د. عبدالله محمد الجبوري ـ بغداد ١٩٧٧

الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية ـ تأليف علي حسين الجابري ـ بيروت ١٩٧٧

محاضرات في الحديث الشريف واحكامه ـ تأليف د. ابي اليقظان عطية الجبوري ـ القاهرة ـ

مناهج التشريع الاسلامي في القرن الثاني الهجري (١ ـ ٢) ـ تأليف د. محمد بلتاجي ـ السعودية ١٩٧٧

نحو تربية مؤمنة ـ تأليف د. محمد فاضل الجمالي ـ تونس ١٩٧٧

الهدى والبيان في اسماء القرآن ـ تأليف الشيخ صالح بن ابراهيم البليهي ـ السعودية ١٣٩٧ هـ

(كتب القضاء)

الدولة القانونية والنظام السياسي الاسلامي ـ تأليف د. منير حميد البياتي ـ بغداد ١٩٧٨

مبدأ سيادة القانون ـ تأليف سمير خيري توفيق ـ بغداد ١٩٧٨

النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي ـ تأليف عبدالرزاق علي الانباري ـ بغداد ١٩٧٧

(كتب الفلسفة)

الجديد في فلسفة صدرالدين الشيرازي ـ تأليف موسى الموسوي ـ بغداد ١٩٧٨

فلسفة الشريعة ـ تأليف د. مصطفى ابراهيم الزلمي ـ بغداد ١٩٧٩

(كتب اللغـة)

احصائيات جذور معجم لسان العرب (باستخدام الكمبيوتر) ــ تأليف د. علي حلمي موسى ــ الكويت ١٩٧٢

اقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة ــ تأليف د. فاضل مصطفى الساقي ــ بغداد ١٩٧٧

تكملة المعاجم العربية (الجزء الاول) ــ تأليف رينهارت دوزي ، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ــ بغداد ١٩٧٨

العربية بين امسها وحاضرها ــ تأليف د. ابراهيم السامرائي ــ بغداد ١٩٧٨

قاموس الموسيقى العربية ــ د. حسين علي محفوظ ــ بغداد ١٩٧٥

كتاب الأفعـال ــ تأليف الحسن بن محمد الصـاغاني ، تحقيق احمد خـان ــ باكستان ــ ١٩٧٧

محاضرات في علم النفس اللغوي ــ تأليف د. حنفي بن عيسى ــ الجزائر ــ

المحيط في اللغة (الجزء الثاني) ــ تأليف اسماعيل بن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ــ بغداد ١٩٧٨

معجم شواهد العربية (١ ــ ٢) ــ تأليف عبدالسلام هارون ــ مصر ١٩٧٢ .

(كتب الأدب)

الادب الاندلسي في عصر الموحدين ــ تأليف د. حكمة علي الاوسي ــ بغداد ١٩٧٦

الافكار والاسلوب (دراسة في الفن الروائي ولغته) ــ تأليف أ. ف. تشيتشرين، وترجمة د. حياة شرارة ــ بغداد ١٩٧٨

التشبيهـات القرآنية والبيئـة العربية ــ تأليف واجـدة مجيد الأطرقچي ــ بغداد ١٩٧٨

ثقافة المتنبي وآثرها في شعره ــ تأليف هدى الأرناؤوطي ــ بغداد ١٩٧٨

حماسة الظرفاء من اشعار المحدثين والقدماء (الجزء الثاني) ــ تأليف عبدالله بن محمد الزوزني ، تحقيق محمد جبار المعيبد ــ بغداد ١٩٧٨

خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء العراق (الجزء الثالث القسم الثاني) ــ تأليف عمادالدين الأصبهاني الكاتب ، شرح وتحقيق محمد بهجة الأثري ــ بغداد ١٩٧٨

دفاع عن شعراء ــ تأليف توفيق الفكيكي ــ بيروت ١٩٧٥

ديوان عبدالمحسن الكاظمي ــ جمع رباب الكاظمي ــ بغداد ١٩٧٨

ديوان العشاري ــ نظم الشيخ حسين العشاري ، تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف ووليد عبدالكريم الأعظمي ــ بغداد ١٩٧٧

سوح واسفار (نماذج مختـارة من الأدب المرئي والمسـموع) ــ تأليف جميل الجبوري ــ بغداد ١٩٧٩

الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ـ تأليف د. محمد حسين الأعرجي ـ بغداد ١٩٧٨

المجموعة الكاملة لقصص محمود احمد السيد ـ جمع د. علي جواد الطاهر والدكتور عبدالآله احمد ـ بغداد ١٩٧٨

مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الاسلامية في أدبه ـ تأليف د. علي عبدالحليم ـ السعودية ١٣٩٥ هـ

من امثال البادية والريف ـ تأليف عطا رفعت ـ بغداد ١٩٧٨

الوشحات والأزجال (١ ـ ٢) ـ اعداد جلول يلس وامقران الحفناوي ـ الجزائر ـ

نقاد الادب (دراسة في النقد الانجليزي الوصفي) ـ تأليف جورج واسون ، وترجمة د. عناد غزوان اسماعيل وجعفر صادق الخليلي ـ بغداد ١٩٧٩

(كتب التاريخ)

آل وهب من الأسر الادبية في العصر العباسي ـ تأليف د. يونس احمد السامرائي ـ بغداد ١٩٧٩

ابو الطيب المتنبي في آثار الدارسين ـ جمع د. عبدالله الجبوري ـ بغداد ١٩٧٩

ابو الوليد ابن الأحمر ـ تأليف عبدالقادر زمامة ـ الدار البيضاء ١٩٧٨

ادارة العراق في صدر الأسلام ـ تأليف رمزية عبدالوهاب خيرو ـ بغداد ١٩٧٨

اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ـ تأليف د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي ـ بغداد ١٩٧٩

اهل اليمن في صدر الاسلام ـ تأليف د. نزار عبداللطيف الحديثي ـ بغداد ١٩٧٨

تاريخ افريقيا الشمالية ـ تأليف شارل اندري جوليان ، ترجمة محمد مزالي والبشير ابن سلامة ـ تونس ١٩٦٩ .
وترجمة محمد مزالي والبشير ابن سلامة ـ تونس ١٩٦٩

تاريخ الجزائر في القديم والحديث (١ ـ ٣) ـ تأليف مبارك بن محمد الهلالي ـ الجزائر ١٩٦٣ ، ١٩٦٤

تاريخ حوادث بغداد والبصرة من ١٧٧٢ ـ ١٧٧٨ م ـ تأليف الشيخ عبدالرحمن السويدي البغدادي ، وتحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف ـ بغداد ١٩٧٨

تاريخ علوم الطبيعة ـ تأليف د. محمد عبداللطيف مطلب ـ بغداد ١٩٧٨

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ـ تأليف ابن ابي صاحب الصلاة وتحقيق د. عبدالهادي التازي ـ بغداد ١٩٧٩

تحفة الوزراء منسوب الى ابي منصور عبدالملك الثعالبي ـ تحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار ـ بغداد ١٩٧٧

الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (١٨٣٠ ـ ١٨٥٥) ـ تأليف ابي العيد دودو ـ الجزائر ١٩٧٥

حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ـ تأليف د. احمد سوسة ـ بغداد ١٩٧٧

حقيقة البابية والبهائية ـ تأليف د. محسن عبدالحميد ـ بغداد ١٩٧٧
دراسات في تاريخ العرب القديم ـ تأليف د. محمد بيومي مهران ـ السعودية ١٩٧٧
الديارات ـ تأليف علي بن محمد الشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ـ بغداد ١٩٦٦
الزراعة والاصلاح الزراعي في عصر صدر الاسلام ـ تأليف د. عواد مجيد الاعظمي ـ بغداد ١٩٧٧
سلوك المالك في تدبير الممالك ـ تأليف احمد بن محمد بن ابي الربيع ، تحقيق ناجي التكريتي ـ بيروت ١٩٧٨
شرح الصولي لديوان ابي تمام (١ ـ ٢) ـ تأليف ابي بكر محمد بن يحيى الصولي تحقيق خلف رشيد نعمان ـ بغداد ١٩٧٧ ، ١٩٧٨
شعر ابن المعتز (القسم الثاني) ـ صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق د. يونس احمد السامرائي ـ بغداد ١٩٧٨
شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ـ تأليف احمد بن ابراهيم الحنبلي ، تحقيق ناظم رشيد ـ بغداد ١٩٧٨
صفي الدين الارموي مجدد الموسيقى العباسية ـ تأليف د. عادل البكري ـ بغداد ١٩٧٨
صورة العرب والاسرائيليين في الولايات المتحدة الامريكية ـ تأليف د. نادية سالم ـ القاهرة ١٩٧٨
العالم ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ـ المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية ـ سوريا ١٩٧٤
عبادة بن الصامت الانصاري ـ تأليف وليد عبدالكريم الاعظمي ـ بغداد ١٩٧٩
العبيد في العراق القديم ـ تأليف صالح حسين الرويح ـ بغداد ١٩٧٧
عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الاعجمية (٢ ـ ٣) ـ تأليف د. ناجي معروف ـ بغداد ١٩٧٨
عيون التواريخ لمحمد بن شاكر الكتبي (الجزء الثاني عشر) ـ تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داوود ـ بغداد ١٩٧٧
غسان كنفاني ـ تأليف د. افنان القاسم ـ بغداد ١٩٧٨
الفكر السياسي العربي والاسلامي بين ماضيه وحاضره ـ تأليف د. فاضل زكي محمد ـ بغداد ١٩٧٦
قتادة بن النعمان الانصاري ـ تأليف وليد عبدالكريم الاعظمي ـ بغداد ١٩٧٩ .
كتاب الجواهر الحسان في نظم اولياء تلمسان ـ تأليف ابو مدين شعيب ـ الجزائر ١٩٧٤
ملاحظات على وفيات الاعيان ـ تأليف د. علي جواد الطاهر ـ بيروت ١٩٧٧
ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ـ تأليف د. احمد سوسة ـ بغداد ١٩٧٨

نظام الحسبة في الاسلام ــ تأليف عبدالعزيز بن محمد بن مرشد ــ السعودية .
يونس السبعاوي ــ تأليف خيري العمري ــ بغداد ١٩٧٨

(كتب الجغرافيـا)

افريقيا دراسة عامة واقليمية (لاقطارها غير العربية) ــ تأليف د. أحمد نجم الدين فليجة ــ بغداد ١٩٧٦/١٩٧٧
البحث الجغرافي (مناهجه واساليبه) ــ تأليف د. صفوح خير ــ دمشق ١٩٧٨
كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ــ تأليف د. شاكر خصباك ــ بغداد ١٩٧٨
معجم اليمامة (الجزء الاول) ــ تأليف عبدالله بن محمد بن خميس ــ السعودية ١٩٧٨

(كتب العلـوم)

تاريخ طب الاطفال عند العرب ــ تأليف د. محمود الحاج قاسم محمد ــ بغداد ١٩٧٨
التسمم الغذائي ــ تأليف د. خلف صوفي ــ بغداد ١٩٧٦
دور التكنولوجيا السياسية في تخلف الدول ــ تأليف منير الله ويردي ــ بغداد ، ١٩٧٨
الرياضيات العامة الجبر والتحليل (القسم الثاني) ــ تأليف ش. بيزو ، وترجمة د. عدنان الحموي ــ دمشق ١٩٧٨
طرق صيانة وترميم الاثار والمقتنيات الفنية ــ تأليف عبدالمعز شاهين ــ مصر ١٩٧٥
كتاب الجواهر وصفاتها ــ تأليف يحيى بن ماسوية وتحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف ــ مصر ١٩٧٧
الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ــ باشراف د. محمد كامل حسين ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

(كتب الاقتصاد)

اقتصاد النفط العراقي ــ تأليف د. طارق شكر محمود ــ بغداد ١٩٧٨ .
التخطيط الاقتصادي ــ تأليف غي‌كير ، وترجمة د. جواد محمد علي الحكيم ــ بغداد ١٩٧٨
النظام المحاسبي الموحد في الوحدات الاقتصادية العاملة في النشاط الزراعي ــ تأليف عبدالرزاق خالد الحيالي ولويس شكوري دانو ــ بغداد ١٩٧٨ .

(كتب الاجتماع)

دراسات في علم النفس الحديث ــ تأليف دحام الكيال ــ بغداد ١٩٧٧

مبادىء الادارة العامة ــ تاليف د. حسين الدوري والدكتور عاصم الاعرجي ــ بغداد ١٩٧٨

(كتب المعاجم)

مصطلحات الجغرافيا والفلك في التعليم العام (انجليزي ــ فرنسي ــ عربي) ــ جامعة الدول العربية / مكتب تنسيق التعريب ــ الدار البيضاء ١٩٧٧

المعجم الكهربائي الالكتروني (انجليزي ــ افرنسي ــ روسي ــ عربي/ ج ٢) ــ اعداد وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية ــ سورية ١٩٧٥

معجم المسرحيات العربية والمعربة (١٨٤٨ ــ ١٩٧٥) ــ تاليف يوسف اسعد داغر ــ بغداد ١٩٧٨

(كتب الفهارس)

علم المكتبات (الادارة والتنظيم) ــ تاليف عبدالله انيس الطباع ــ بيروت ١٩٧٢

الكتب والمكتبات (المدخل الى علم المكتبات والمعلومات) ــ تاليف عامر ابراهيم القنديلجي وآخرون ــ بغداد ١٩٧٩ .

كشاف مصادر دراسة ابي العلاء المعري ــ تاليف مصطفى صالح ــ دمشق ١٩٧٨

الفهرس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١٦٦

٣٠٠٠ / ١ / ١٩٨٠مطبعة المجمع العلمي العراقي